الأمة

Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد الثالث والخمسون - السنة الخامسة - جمادى الأولى ١٤٠٥هـ شباط (فبراير) ١٩٨٥م

معطيات الواقع والدور المطلوب في حوار مع: الدكتور عبد الله عمر نصيف

المنهج العصري في سلفية الامام عبد الحميد بن باديس

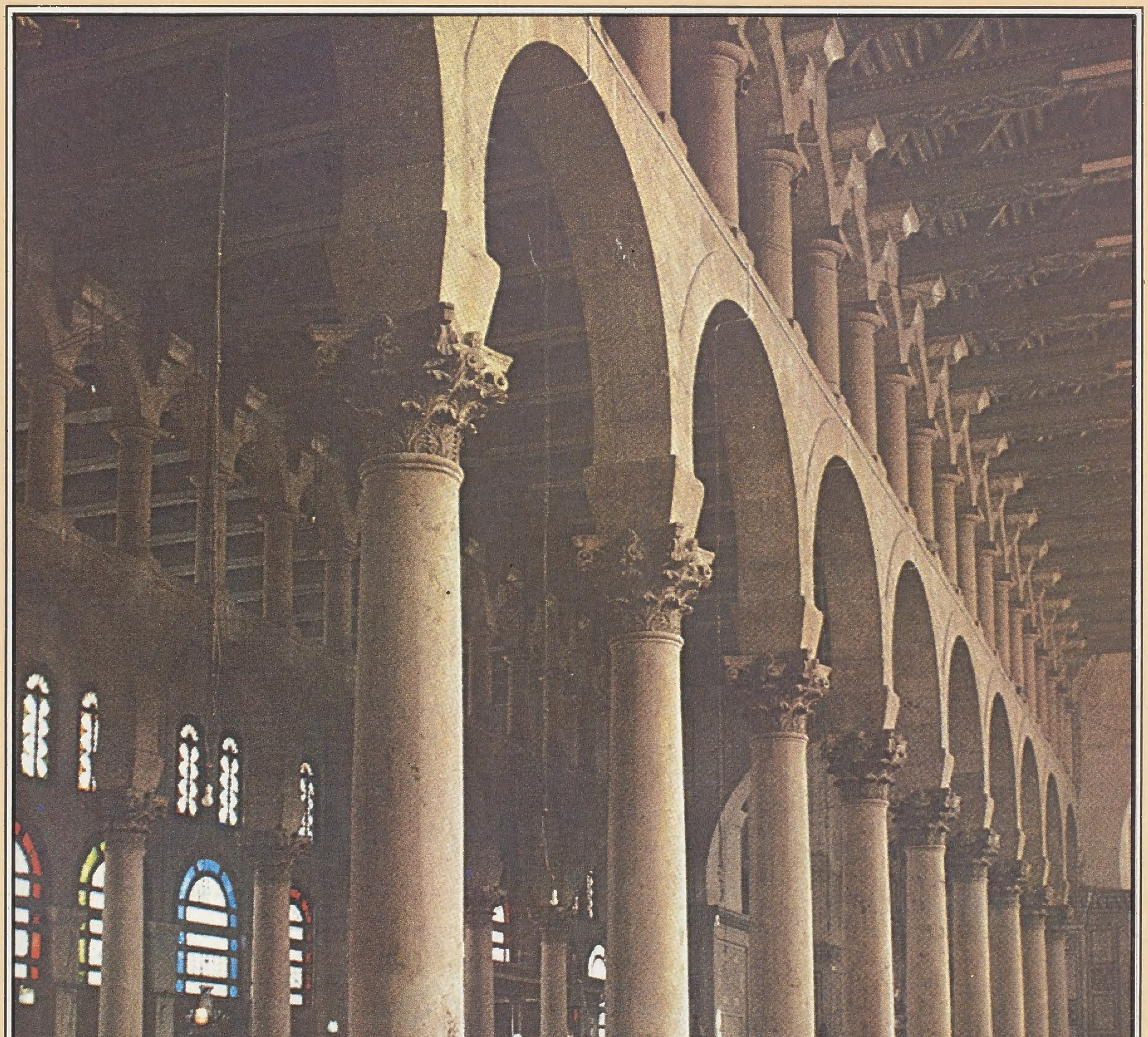

■ الجامع الأموي بدمشق - ٨٦ هـ ■

1266596/X

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة
Al Ummah
إسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

المشرف العام
عبدالرحمن بن عبدالله آل محمود
President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير
يوسف عبدالرحمن المظفر
Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير
عمر عبيد حسنة
Editonal Director
Ummar Ubaid Hasna

من المحرر

« عملية موسى » والشتات العربي

■■ إن قضية نقل خمسة وعشرين ألفاً من يهود « الفلاشا » من أثيوبيا إلى فلسطين المحتلة، والتي أسموها « عملية موسى »، والظروف التي تمت فيها لم تعد خافية على أحد، حتى إن تقارير الأمم المتحدة كشفت أن نظام « هيلا مريام » الماركسي قبض ثمن تهجير « الفلاشا » صفقة أسلحة بقيمة ثلاثمائة مليون دولار أمريكي ليواجه بها خصومه، وأن حكومة العدو زودت هذا النظام في الربع الأخير من العام الماضي (١٩٨٤م) بشحنة كبيرة من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، وقطع غيار الدبابات، ومدافع عيار (١٠٥ - ١٢٠ملم) وأن وفداً عسكرياً إسرائيلياً يضم أربعة عشر خبيراً من العاملين في الصناعات العسكرية والجوية قد أمضوا قرابة الشهرين في أثيوبيا بعد أن تعهدت دولة العدو بتقديم مساعدات لتحسين فعالية الجيش الأثيوبي ...

وليس غريباً على نظام أثيوبيا الماركسي أن يوافق على السماح ليهود « الفلاشا » بالهجرة إلى دولة العدو، فقد سبقه إلى ذلك الاتحاد السوفييتي الذي أمدها بالعنصر البشري ولا يزال يمدها، على الرغم من أن الاستعمار الاستيطاني كان الأخطر في القضية الفلسطينية ...

ولقد أكد « شمعون بيريز » تصميم حكومة العدو بشدة على مواصلة عملية « إنقاذ » يهود أثيوبيا، رغم الصعوبات كلها، وقال : [إن الحكومة ستستكمل « عملية موسى » إلى أن تتم عودة آخر يهودي أثيوبي إلى وطنه !! إننا أبناء شعب واحد، ولا يمكن لأي قوة في العالم أن تبقينا منفصلين، وإن أشقاءنا من يهود أثيوبيا ينتظرون الهجرة إلى إسرائيل !! منذ ألفين وستمائة عام ...] كما أشاد بـ « مناحيم بيجن » الذي كان أول من اتخذ قرار بدء عملية الإنقاذ !!

وأفادت التقارير أن « الوكالة اليهودية » والسلطات الإسرائيلية تقومان بنقل أعداد كبيرة من يهود أثيوبيا إلى فلسطين المحتلة من أجل إقامة شريط استيطاني لهم في جنوبي لبنان، وتوطين أعداد منهم في المستعمرات الاستيطانية التي أنشأتها سلطات الاحتلال في الضفة الغربية ... ويقول أحد هذه التقارير : إن قادة منظمة « أرض إسرائيل الآن » يعتزمون التوجه إلى جنوبي لبنان تمهيداً لتحديد المناطق التي ستقام فوقها وحدات سكنية ... وإن « حركة العودة » ستشارك في حملة التوطين هذه .

وقالت جريدة « ها آرتس » : إن إنقاذ هؤلاء المنكوبين أثبت مرة أخرى ما نحن قادرون عليه عندما يتعلق الأمر بتحقيق المثل الأعلى الصهيوني الذي يتمثل في إنقاذ يهود !!

والأمر المحزن حقاً - في عالمنا العربي والإسلامي - أن لا يرى بعض كتابنا وصحفيينا وساستنا الأبعاد الخطيرة لحركة عدونا، وإنما يرى فيها فرصة مواتية لزيادة الاتهام وتعميق أخاديد الخلاف والتمزق والمزايدات السياسية ؛ ولا تتعدى المشكلة في نظره : الاهتمام بمدى تمكن المجتمع الإسرائيلي من تقبل هؤلاء اليهود من أصحاب البشرة السوداء !! ويلتقط من هنا وهناك بعض الأقوال والمواقف لبعض حاخامات يهود التي تدعو إلى رفضهم أو إلى إعادة تهويدهم . وكيف يمكن أن يحتملهم المجتمع الإسرائيلي الذي يعاني من الأزمات الاقتصادية الخانقة، والتضخم المالي الرهيب، والتمييز العنصري !!

أما صور الشتات والتمزق العربي، وتهجير العقول والإمكانات، ومطاردة الكفاءات، وتصفية الخلافات بالاغتيالات والصدامات المسلحة، والعد التنازلي الذي تنحدر إليه القضية المقدسة حتى أصبحت المنظمة الواحدة منظمات، وحركة التحرير حركات، والأمة الواحدة أميمات ... فهذه أمور لا تستحق الدرس والمعالجة ؟!

لقد أصبح بأسنا بيننا شديداً، تحسبنا جميعاً وقلوبنا شتى، وعدونا يتابع تمكنه من رقابنا، فهل نسمح أن تستمر فينا فلسفة الهزائم ومسوغاتها، أم لا بد من مكاشفة جماهير الأمة بالحقائق لتبصر طريقها وتتوقف ممارسات التدليس ؟ فأين « عملية موسى » اليهودية من عمليات « أبو موسى » والصدامات المسلحة في مخيمات الفلسطينيين في لبنان، وإراقة الدماء العربية المسلمة ؟ ومتى ينتهي زمن الشتات العربي ؟! ■■

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

التحرير والإدارة
Editorial Offices & Administration

هاتف - (بدالة)	:	٤٤١٥١٠
رئيس التحرير	:	٤٤٧٠٢٢
مدير التحرير	:	٤٤١٨٣٠
القسم الفني	:	٤٤١٨٨٧
هيئة التحرير	:	٤٤٧٣٠٠
تلكس	:	٤٩٩٩ الأمة د هـ
برقياً	:	الأمة الدوحة
ص . ب	:	٨٩٣ الدوحة - قطر

Tel.: (PABX) 441510	DOHA
Chief Editor	447022
Editorial Director	441830
Editing Staff	441887
Editor Staff	447300
Telex:	4999 Al Ummah DH
Cables:	Al Ummah DOHA

Mailing Address:
P. O. Box 893 DOHA QATAR

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة - قطر

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
«	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤ العين
«	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
«	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
«	□ « « «	الدمام
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص . ب ١٠١١ مطرح سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
«	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مراد - الجزائر
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٢٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨ - ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
	ISLAMISCHES ZENTRUM	BILAL MOSCHEE 51 AACHEN W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND
بلجيكا	AL-IMENSPRL	B.D.M. LEMONNIER 196 1000 BRUXELLES, BELGIQUE.

ثمن النسخة

قطر	٣	ريالات	لبنان	٢٠٠	قرش
السعودية	٣	ريالات	مصر	٢٠٠	مليم
الكويت	٢٠٠	فلس	السودان	٢٠٠	مليم
البحرين	٢٠٠	فلس	ليبيا	٢٠٠	درهم
الامارات	٣	دراهم	الجزائر		ديناران
عمان	٢٠٠	بيسة	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس	المغرب		درهمان
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس	دول آسيا وافريقيا		نصف دولار امريكي
العراق	٢٠٠	فلس			
الأردن	٢٠٠	فلس			
سوريا	٢٠٠	قرش			

● في الامريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي او ما يعادله .

صورة الغلاف

■■ لقد قامت دعوة ابن باديس على أساس من فهمه الدقيق لعقيدته الإسلامية وتجارب المجاهدين قبله ، ووضع لتحقيق دعوته منهجاً قائماً على أساس من وعيه العميق بطبيعة شعبه وروح عصره وواقع بيئته وظروفها ، وأعاد أسلوب الإعلام الذي استخدمه المسلمون الأولون فكانت منابر المساجد تعلن القرارات الخطيرة في الشؤون الدينية والسياسية والاجتماعية ، وأنشأ الصحافة فكانت : المنتقد والبصائر والسنة والشريعة والصراط والشهاب ، واستمرت «البصائر» تؤدي رسالتها بعد وفاته رحمه الله ■■

□ الغلاف بريشة : الفنان عصام عزوز □

الإخراج الفني **مجدي نجيب**

الاشتراك السنوي Annual Subscription

للأفراد

● في قطر ٣٠ ريالاً قطرياً .

● في الدول العربية والأسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً او ١١ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .

● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكياً أو ما يعادلها .

● Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.

● America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

● في قطر : ٧٥ ريالاً قطرياً

● في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً

● في الامريكيتين واوروبا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً .

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

في هذا العدد

● كلمـة الأمـة ٤
● (قضيـة للمناقشـة) :
أين الخلل ؟!! .... الدكتور عباس محجوب ٨
● تعبيرات خاطئة .... عبد الفتاح ابو غدة ١٤
● بطاقة من قـارىء ١٧
● حديقة الأمة ١٨
● تجديد القديم .. وتقويم الجديد .... صالح عبد الله العبيري ٢٠
● (كتـاب في مقـال) :
أصحاب الامتيازات في الاتحاد السوفييتي ....
عرض وترجمة الدكتور نبيل صبحي ٢٦
● صغـيرتي (شعـر) .... عصام الدين هنداوي غريب ٣٢
● المنهج العصري في سلفية الإمام ابن باديس
.... الدكتور أحمد سيد محمد ٣٣
● (قصـة قصيرة) :
هـذا من فضـل ربي .... مصطفى إبراهيم النادي ٣٦
● حول الإسلام في أفريقيا .... الدكتور عبد العلي عبد الحميد ٣٨
● مؤسسات المسلمين بين معطيات الواقع والدور المطلوب
في حـوار مع الدكتور عبد الله عمر نصيف ٤١
● يا رافعاً علم الجهاد (شعـر) عبد الرحمن صالح العشماوي ٤٨
● (استطـلاع) :
جامع عمـرو بن العاص : أول العمائر الإسلامية في أفريقيا
.... عبد الغني محمد عبد الله ٤٩
● (عجـائب المخلوقات) : الطيور الجارحـة ٥٦
● (العلـم والحيـاة) :
فـالق الأكبـاد .... الدكتور غريب جمعة ٥٨
● مكتبـة الأمـة ٦٢
● من وحي كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله
.... ربيعة السارح (أم عبد الله) ٦٤
● تصريحـات وأقـوال ٦٧
● (نـدوات ومؤتمـرات) :
معنى الحياة وقيمتها بين الإسلام والأديان والمذاهب الأخرى
محاضرة للدكتور محمد كمال جعفر ٦٨
● (الأسـرة المسلمـة) :
معاول الهدم في الأسرة المسلمة .... محمد الصالح عزيز ٧١
● أيها المؤرخون : لا تظلموا العثمانيين .... زياد ابو غنيمة ٧٤
● نحو وعي قـرآني متجدد .... بدر الدين [بن حسن] ٧٨
● بريـد الأمـة ٨١
● بأقـلام القـراء ٨٤
● شـؤون المسلمـين في العـالم ٨٦
● مع الصحافـة في العـالم ٩٢
● مسابقة العـدد الثالث والخمسـين ،
وحل مسابقة العدد الحادي والخمسين وأسماء الفائزين ٩٤
● (خواطـر وأفكـار) :
سـيروا على بركة الله .... الدكتور أحمد شـوقي عرفة ٩٦

أيـن الخـلل ؟

■ في عملية نقد الذات أو مراجعة النفس ومحاسبتها يحتاج العاملون للإسلام إلى وقفة ناقدة ونظرة فاحصة ومحاسبة منطقية ، وهذا أمر طبيعي لأن الذين يعملون يخطئون ؛ ولأنهم كذلك فهم بحاجة إلى مراجعة دائمة تنبع من الإحساس الذي يغرسه الدين في المسلم من أن البشر خطاؤون وخير الخطائين التوابون ، ولا تكون التوبة إلّا بمراجعة ومحاسبة واعتراف بالتقصير .

إن افتقاد العمل الإسلامي للقدوة المؤثرة أتاح الفرصة للكثيرين أن يكونوا في قيادة العمل وهم يفتقدون كثيراً من الشروط التي تؤهلهم لحمل أمانة القيادة .... (ص : ٨) ■

أصحاب الامتيـازات في الاتحـاد السـوفييتي

■ شاهد من الأهل يصف كيف تتحطم وتهوي أصنام الشرائع ، البشرية وكيف يدوسها مروجوها بالأقدام عندما يتسلمون سدة الحكم ويجلسون على رقاب الشعوب بقوة السلطة الغاشمة بحديدها ونارها وبطشها وإرهابها .. فالماركسية التي تدعي نظريتها أنها تحارب الطبقية واستغلال الإنسان للإنسان ، تقيم عندما تحكم طبقة جديدة ذات امتيازات لم تعرفها الأمم المغرقة في الظلام ، تستعبد وتستغل الكادحين .

أول من فضحها الماركسي اليوغسلافي المُنَظِّر « ميلوفان دجيلاس » في كتابه « الطبقة الجديدة » الذي صدر عام ١٩٥٧م ، وجاء الآن الماركسي السوفييتي « ميكائيل فوسلنسكي » ليعرض مخازي الماركسيين الحاكمين .... (ص : ٢٨) ■

جامع عمـرو بن العـاص

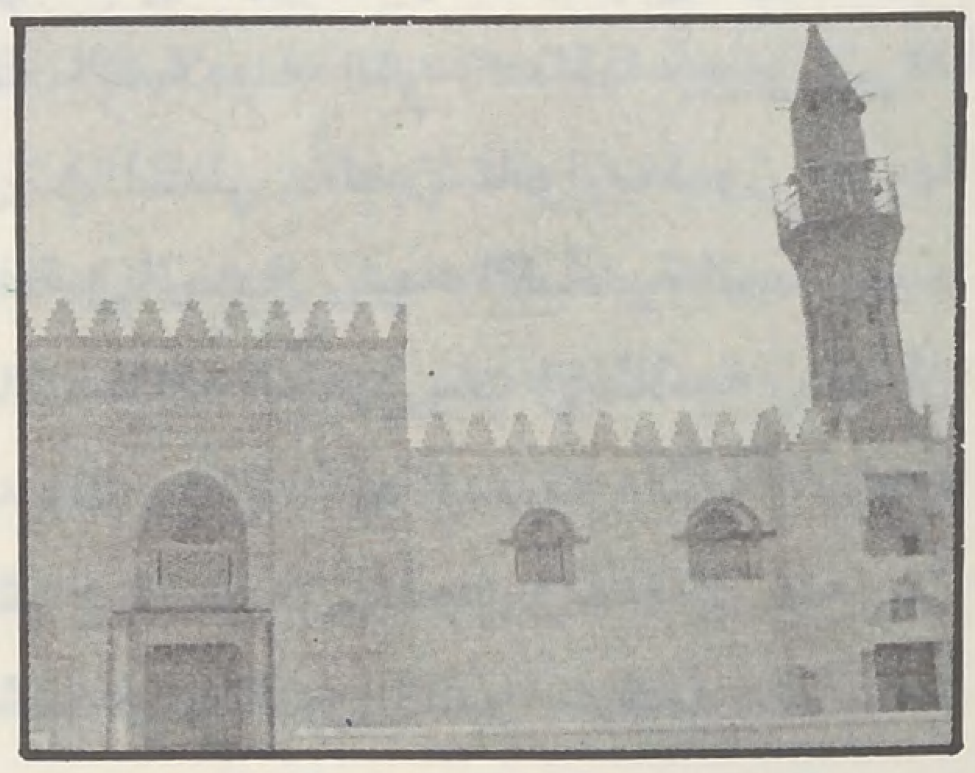

■ صحيح أن حركة النقد الفنية الحديثة لا تهتم كثيراً بفنوننا الإسلامية ؛ برغم أن الفنون الإسلامية من أعظم الفنون ومن أطولها عمراً في التاريخ ، وليس هناك من شك في أنها بلغت مبلغاً كبيراً من السمو والرقي الفني . ويقف نقاد الفنون وأساتذة تاريخ العمارة الغربيين بشيء من الخجل أمام تلك العمائر الإسلامية لكونهم لم ينصفوها ، فتلك الروائع الفنية في قبة الصخرة والمسجد الأقصى والمسجد الأموي - باعتبارها قد أقيمت في عصر إسلامي مبكر - قد حيرت العقول الفنية فذهبت فيها وفي تفسير فلسفاتها الفنية الإسلامية مذاهب شتى .... (ص : ٤٩) ■

كلمة الأمة

هل يحقق الق

□□ « لا ينام الأفغاني عن الثأر ، ولا يقبل أن يطأ الأجنبي أرضه ، ولا يواطىء العدو على استقلال بلده ، فمع أن بعض القبائل المجاورة للهند كانت شديدة الاختلاط بأحوال الإنكليز فإنها لم تواطىء الإنكليز على بلادها ، ولم تمكِّن لهم من أرضها كما صنع كثير غيرها ... » [شكيب أرسلان في حواشيه على « حاضر العالم الإسلامي »] .

هذا القول يمكن أن يعتبر إلى حدٍ بعيد المفتاح الذي يُمكِّن من إدراك أبعاد المواجهة الجهادية في القضية الأفغانية تاريخياً ، كما انه يلقي الأضواء الضرورية لتفسير كثير من صور المواجهة ، والقدرة على استمرار المعركة والصمود أمام أعتى صور البغي والطغيان التي تمتلك أحدث ما ابتكره العقل البشري من وسائل التدمير والفتك ؛ ويمكننا القول : إن الجهاد الإسلامي في أفغانستان ـ بإيمانه الكبير ووسائله القتالية البسيطة ـ استطاع أن يدمي أنف الجيش الروسي ويمرغ وجهه في التراب ، وليس من شك أن أفغانستان استعصت تاريخياً على الغزاة والمستعمرين كلهم ، ولم تقبل إلَّا الإسلام وأهله ، حتى إن بريطانيا في أوج عظمتها عجزت عن الاستقرار والثبات هناك ، وألحق بها الأفغانيون أفدح الخسائر حيث خسرت جيشاً كاملاً قوامه ستة عشر الف جندي ، واضطرت إلى الاعتراف لأفغانستان بالاستقلال في النهاية ، ولعلَّ في هذا دليلاً وأملاً يؤكده واقع السنوات الخمس حيث تمكَّن المجاهدون من المواجهة المستمرة ـ برغم أسلحة العدو المعقدة والظروف الصعبة التي يعيشونها ـ والاحتفاظ بتسعين بالمائة من الأراضي الأفغانية ، وإيقاع الهزيمة بكبرى القوى العالمية في أكثر من موقع ؛ لقد دللوا بإيمانهم على أن الإنسان هو الذي يحمل السلاح ، وليس السلاح هو الذي يحمل الإنسان ، فهم يحملون السلاح أمَّا عدوهم فالسلاح يحمله ، وأي نصر أكبر من هذا يمكن أن يتحقق ، أو يمكن أن يُطلب إليهم تحقيقه !! في الوقت الذي عجزت بعض الجيوش في عالم المسلمين ـ عندما حاولت دخول المعارك ببدائل فكرية مستوردة ، ورايات جاهلية عميَّة ـ عن الصمود أمام عدوها في معارك جزئية لِستّ ساعات ، أو ستة أيام ...

لقد أدركت الشيوعية أن بوابة العالم الإسلامي ستبقى موصدة في وجهها ، فكان لا بد لها من إيجاد المداخل من خلال المسلمين أنفسهم ، حيث أُخضعت البعثات العسكرية والتعليمية لصناعة فكرية وتدريبية خاصة ليكون أفرادها بعد عودتهم إلى بلادهم أدوات التبعية الفكرية التي تستدعي العمالة السياسية بالضرورة ؛ ومن خلال بعض المبادىء الإسلامية التي تدعو إلى التكافل والعدالة الاجتماعية تتسلل منها لتحاول خداع بسطاء المسلمين بأن الدعوة الشيوعية ليست غريبة عن طبيعة ما دعا إليه الإسلام ، ولا بد من الاعتراف بأن الماركسية استطاعت زراعة أعشاب ضارة في الحقل الإسلامي تدعو إلى ما يسمى بـ « اليسار الإسلامي » تستورد جميع الشعارات والمصطلحات الشيوعية ، وتلحق بها كلمة « إسلامي » ، وتمارس القراءة الانتقائية للتشريع والتاريخ الإسلامي بأبجدية ماركسية ، وبذلك تقيم ركائز التبعية الفكرية والعمالة السياسية كما أسلفنا ...

وحسبنا أن ندرك المخاطر المستقبلية لترحيل حوالي خمسة وعشرين ألف طفل أفغاني إلى الاتحاد السوفييتي لغسل أدمغتهم ، وتنشئتهم على المبادىء الماركسية ، (الزمن يغير كل شيء ففي السنوات العشر أو العشرين المقبلة سوف ينظر الجيل الأفغاني الجديد إلى وجودنا بصورة مغايرة [النيوزويك]) ونحن في العالم الإسلامي لا نزال بعد خمس سنوات من المواجهة والصمود في وضع لا نحسد عليه ، نجود لكن بالمزيد من الكلام ، وبعضنا قد يجود بفضلات أمواله وطعامه ، ويسيطر علينا الخزي والعجز ، ونحسن عملية البكاء على الأطلال التي بدأها بالأندلس أبو عبد الله الصغير ويلتزمها اليوم أحفاده كلهم بوفاء وأمانة !!

فأين المدارس الابتدائية والثانوية ؟ وأين الجامعات التي تفتح أبوابها لإيواء أبناء المسلمين الأفغان ، تحصنهم بالثقافة الإسلامية وتحول دون تذويبهم في المبادىء الماركسية ؟! إن خطوة عملية على الطريق الصحيحة لا تعدلها أنهارٌ من الدموع ...

إن أفغانستان ـ التي تعتبر من الناحية الجغرافية والبشرية امتداداً طبيعياً للمنطقة الإسلامية التي احتلتها روسيا ـ قد استعصت على القياصرة في الماضي : الذين كانوا يحلمون بضمها والوصول إلى المياه الدافئة في الخليج ، فجاء القياصرة الجدد باسم الشيوعية ، وضموا هناك مختلف الجمهوريات الإسلامية ، ذلك أن محاولاتهم واعتداءاتهم بدأت مبكرة ، فقد صادروا ماشية المسلمين المنتمين إلى قبائل « الكزاخ » عام ١٩٢٦م ، واستشهد كثير من المسلمين على أيدي الشيوعيين الذين تمكنوا ـ فيما بعد ـ من

ـــــياصرة الجدد الحلم القديم!؟

■ سيـــاف : لقد أهمل آباؤنا أمر الجهاد في بخارى وسمرقند ففاجأهم العدو على حدودهم وفرشهم ■

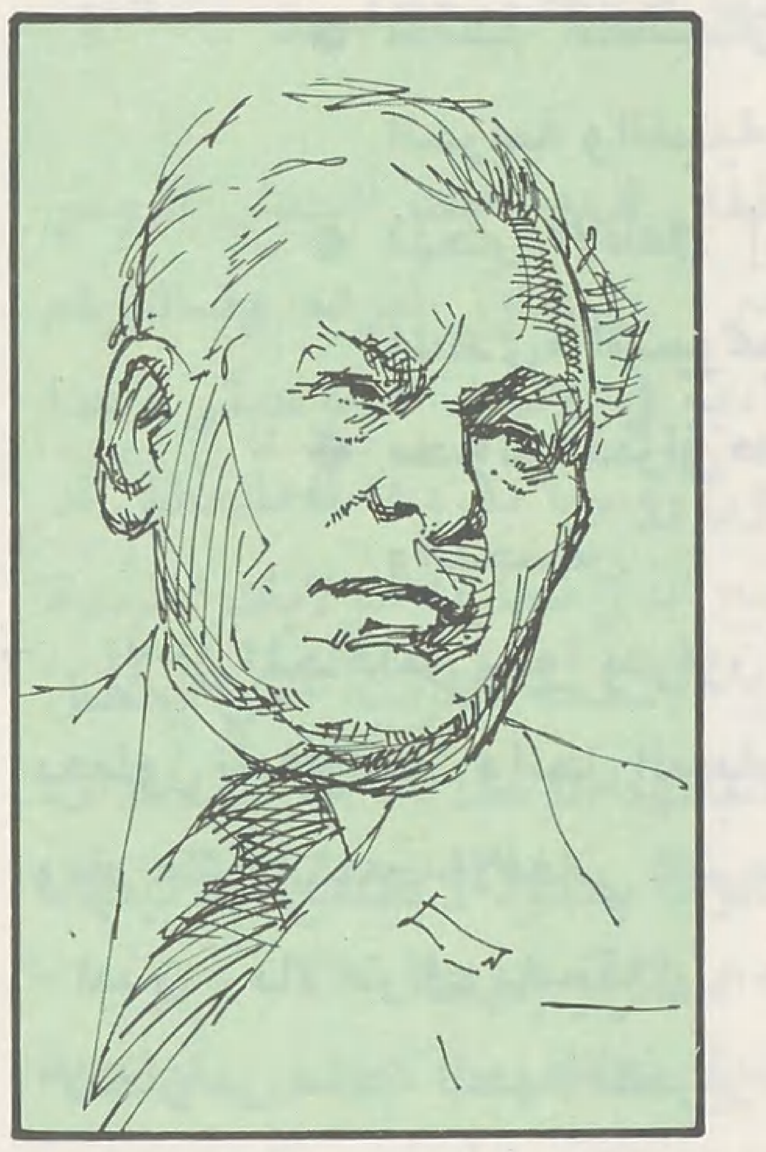

■ تشيرنينكو ■ كـان وراء قـرار الغـزو العسكـري لأفغانستان

الاستيلاء بالقوة على مساحة من هذه المنطقة تتجاوز ثلث مساحة الاتحاد السوفييتي ، ثم كان التخطيط السوفييتي البعيد لوضع أفغانستان في فلكه ، لأن مجيء البديل الإسلامي سوف يكون مصدر خطر دائم على الوجود السوفييتي ، وذلك بإيقاظ الوعي الإسلامي في الجمهوريات الإسلامية التي احتلها واستعبدها ... وقبل الغزو الروسي بعشرين عاماً كانت روسيا تعد الخطط ، فأنشأت مطاراً في بطن الجبل في أفغانستان عند الحدود هو مطار « شندند » وهو اكبر مطارات آسيا ، وهو الذي يدعم الاحتلال اليوم .. إنه التفريط الذي يدفع المسلمون ضريبته اليوم حيث كانت البعثات العسكرية والتعليمية التي ذهبت إلى الاتحاد السوفييتي ورُبيت على أعين الشيوعيين هي الجسر الشيوعي الذي عبرت عليه روسيا ، والذراع الذي لا تزال تستخدمه تحت اسم « الحزب الشعبي الديمقراطي » .

ونحب هنا أن نذكِّر ـ لعلَّ الذكرى تنفع المؤمنين ـ بأن حـركة التحـرير الجـزائـرية التي تعتبر الحـركـة « الأنموذج » لحركـات التحرر الإسلامي في العصر الحديث ، والتي قدمت من الشهداء ما يربو على المليون شهيد [الرقم الذي قدَّمه الجهاد الأفغاني نفسه] ، والتي واجهت فرنسا زمن جبروتها الاستعماري ومن ورائها قوات حلف الأطلسي بأسلحته المتطورة ـ والتي تشبهها إلى حد بعيد ، ومن أكثر من وجه حركة الجهاد الأفغاني ـ [٥٠٪ من القوات التي نواجهها الآن ليست من روسيا ولكنهـا من دول حلف وارسو (سيـاف)] بإيمـانها وتضحياتها ومواجهاتها ،تنبهت لخطورة الموضوع فأرسلت مجموعات من الطلبة للدراسة والتحصيل في مدارس وجامعات العالم الإسلامي ، فحققت لهم الحماية الثقافية والنمو العلمي ، وكثير منا لا يزال يذكر زملاء له على مقاعد الدراسة من الإخوة الجزائريين ، فهل تفتح أبواب مدارسنا وجامعاتنا لأطفال المسلمين الـذين تسرقهم الشيوعية وتصنعهم على عينها ؟! وبذلك نقدم خطوة عملية هي جهد المقل .

وقد تكون مشكلة المسلمين في أكثر من منطقة في العالم أن اليقظة والصحوة تجيء متأخرة ـ على مستوى الأفراد والجماعات ـ في مرحلة التنفيذ لكل المخططات المبيتة للعالم الإسلامي ، ولسنا بحاجة إلى الشواهد على مستوى الأفراد والجماعات فهي أكثر من أن تحصى ، وكثيرون في عالمنا الذين يتجرعون آلامهم ، ويفرغون طاقاتهم في البكاء على فرص كان بالإمكان اغتنامها ، وسلطات كان بالإمكان استخدامها في أكثر من موقع من مواقع العمل الفاعل : لقد التهمت روسيا الجمهوريات الإسلامية وسامت المسلمين هناك الخسف والهوان ، ووصلت طلائع النازحين والمهاجرين إلى معظم انحاء العالم الإسلامي ليكونوا نذير خطر ، لكن العالم الإسلامي استمر في غطيطه دون أن تكون عنده القدرة على استشراف آفاق المستقبل والإعداد لها ، وقضمت أطرافه الواحد بعد الآخر ، واليوم تتكرر المشكلة نفسها في أكثر من بقعة في العالم الإسلامي ، في فلسطين وأفغانستان والقرن الافريقي ... « لقد اهمل آباؤنا واجدادنا امر الجهاد في بخارى وسمرقند ، وكان الواجب يقتضيهم ان يخرجوا للقاء العدو خارج أسوارهم » . « على جميع المسلمين اليوم ، الذين يعيشون في المناطق القريبة ، أن يواجهوا عدوهم في افغانستان لانه يقف الآن وراء ابوابهم وخارج قراهم وإلَّا فاجأهم داخل حدودهم وعلى فرشهم » [عبد رب الرسول سياف] .

لقد كان في احتلال السوفييت للجمهوريات الإسلامية عبرة ودرس لأولي الأبصار ، ولا تزال ـ للأسف ـ تتحقق فينا نحن المسلمين

هل يحقق الق

مقولة : « أكلت يوم أكل الثور الأبيض » إن معظم المهاجرين الأفغان هم من البخاريين الذين سبق لهم أن تركوا بلادهم إلى أفغانستان بعد الاحتلال السوفييتي لأرضهم ، وتركوا القتال في بخارى ، والآن يتركون القتال في أفغانستان » [جلال الدين حقاني نائب القائد العام] . لقد أدرك المجاهدون الأفغان أهمية الثورة على الأرض نفسها « نطلب إلى المهاجرين الأفغان الموجودين في أوروبا وإيران وباكستان والسعودية ودول الخليج العودة إلى البلاد ، وعدم اختيار الحياة خارج الأرض » [حقاني] ولا شك أن روسيا خلال السنوات الخمس مارست الوسائل القذرة كلها ، فعلى المستوى العسكري استعملت جميع أنواع الأسلحة الكيماوية الحارقة والسامة على حد سواء ، وكانت تظن في البدء أن بإمكانها إنهاء القضية خلال ستة أشهر أو سنة على الأكثر ، واستعانت لذلك بقيادات من الذين اشتركوا في عملية اقتحام تشيكوسلوفاكيا والمجر ، ومن ألمانيا الشرقية ... كما أنها سعت ابتداءً إلى وضع شخصيات شيوعية في السلطة بأسماء ومظاهر إسلامية ، وعندما فشلت في هذه الخطة ولم تتحقق سيطرتها عن بعد ـ كما هو حاصل في بلاد أخرى كثيرة ـ قامت بالغزو المباشر بمائتي ألف جندي أو يزيد ، وهي في سبيل تحقيق أهدافها في السيطرة على أفغانستان تحاول اختراق صفوف المجاهدين بوسائل مختلفة ، وعن طريق طرح حلول خادعة ، ولقد مارس « أندروبوف » رجل المخابرات العريق إثارة الفتنة ـ على طريقة المخابرات دائماً ـ ضمن صفوف الشعب الأفغاني ، وحاول إقامة واجهات إسلامية لإجهاض حركة الجهاد ، كما أنه أشار على حكومة « كابل » بتشكيل بعض الجمعيات الدينية والاحتفال ببعض المظاهر الإسلامية وبناء بعض المساجد ، ولما أعيتهم الحيلة ، ونفق رجل المخابرات « أندروبوف » عادوا إلى اعتماد الحل العسكري و « سياسة الأرض المحروقة » ، ذلك أن « تشيرنينكو » الرئيس الجديد للاتحاد السوفييتي واحد من الذين كانوا وراء قرار الغزو العسكري لأفغانستان ، لذلك يحاول الروس الآن ضرب القرى وتدميرها لإجبار الناس على الهجرة إلى داخل المدن ، وبذلك يزداد العبء على المجاهدين ويفتقدون الملجأ والمأوى ، كما أن الروس يقومون الآن بحرق الغابات لتنكشف أمامهم مواقع المجاهدين ...

لقد فقدت روسيا وحلفاؤها إلى الآن حوالي مائة ألف جندي أو يزيد خلال سنوات الحرب رغم هجماتها العسكرية الشرسة ، لذا فهي تفكر ببدائل جديدة لإحكام سيطرتها على أفغانستان بعد أن أعيتها الحيلة ، ومن هذه البدائل :

- انسحاب القوات السوفييتية إلى الشمال قرب الحدود السوفييتية ، واحتلال الشمال فقط ، ثم التحرك منه إلى داخل أفغانستان بالتدريج بعد فصل الشمال عن الجنوب .
- تقسيم أفغانستان تقسيماً عرقياً ، وإلحاق قسم بالهند ، وقطع الطريق على باكستان إلى البحر .
- تقسيم أفغانستان ـ حسب اللغة ـ بين لسان « البشتو » واللسان « الفارسي » .
- تقسيم أفغانستان حسب التوزعات والانقسامات الحزبية والقبلية .
- تهجير الأطفال إلى روسيا وتربيتهم هناك وفق المبادىء الشيوعية .
- محاولة اختراق صفوف المجاهدين عن طريق العمالة والتجسس ...

إلَّا أن المجاهدين باتوا يدركون طبيعة الروس ، فإذا قالوا : إنهم يعملون للمفاوضات والحل السياسي ، فهم مخادعون وغير صادقين ، ولقد عاش الشعب الأفغاني أكثر من مرة خداعهم ، فقد سبق أن وعد « لينين » بالاعتراف باستقلال « خيوة وبخارى » بشرط أن يخرج الأفغان من ساحة الجهاد لتحرير الجمهوريات الإسلامية آنذاك ، ثم كانت الاتفاقية حبراً على ورق !!

ومن الحقائق التي لا يعوزها الدليل أن بلاد المسلمين عامة مرشحة دائماً لتصفية الحسابات الدولية ودفع ثمن الوفاق الدولي ، فهل يتحصل ذلك لأن بعض مسلمي اليوم يمتلكون التضحية ويفتقدون البصارة الكافية ، لذلك توظف تضحياتهم وتستغل دماؤهم في أكثر من موقع على المستوى الإقليمي والعالمي ؟! حيث لم يكن غزو روسيا لأفغانستان بعيداً عن الوفاق الدولي ، بل لعلَّه يكون من أوضح صوره ، ذلك أن الصحوة الإسلامية التي بدأت طلائعها هنا وهناك بعد سنوات القهر والاحتلال والغربة الطويلة ، لا بد من محاصرتها وقص أجنحتها من الخارج ومحاولة احتوائها والانحراف بها من الداخل ، ومن المسلمات أن ندرك أن روسيا وأمريكا على حد سواء متفقتان على وجوب التصدي للبديل الإسلامي الذي ينتظره الشعب في أفغانستان وفي غيرها من بلدان العالم الإسلامي ، لذلك لا يستطيع أحد أن يدَّعي أن غزو روسيا لأفغانستان كان بعيداً عن الوفاق الدولي ، أو كان في غيبة أمريكا ، ولا شك أن أمريكا تشارك في جني أعظم ثماره ، إنها تحقق من وراء ذلك عدة أغراض : فهي ترمي روسيا في منطقة من أشد مناطق العالم كفاحاً وجهاداً ، والواقع دلل على أن ورطة روسيا وضحاياها في أفغانستان لم يضعها أحد في الحسبان ، ولا نظنها كانت بعيدة عن علم أمريكا التي تعرف الكثير عن هذا الشعب ، وتعلم أن روسيا لا يمكنها هضم القبائل الأفغانية ، فلقد قال الرئيس الأمريكي الأسبق « نيكسون » معلقاً على غزو روسيا لأفغانستان : « القبائل الأفغانية أظهرت شجاعة مدهشة ، ولا شك

...سيطرة الجدد الحلم القديم؟!

أن موسكو ستدرك أن هضم أفغانستان عملية صعبة، وقد سبق للأفغان أن ألحقوا الهزيمة بالبريطانيين ثلاث مرات في القرن التاسع عشر في وقت كانت فيه بريطانيا أقوى دول العالم، ولن يتمكن السوفييت أبداً من السيطرة على هذه القبائل بشكل كامل!! وستظل هناك معارضة دائمة في الجبال ...».

إنها لقمة الزقوم التي تقدمها أمريكا وتحاول روسيا اليوم ابتلاعها.

والحقيقة أن المجاهدين الأفغان أدموا أنف الجيش الروسي فعلاً، وأوقعوا فيه القتل والأسر، وتجاوز أمرهم وتأثيرهم أفغانستان إلى الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر تكون روسيا بغزوها أفغانستان قد حالت دون البديل الإسلامي الصحيح الذي تحاربه الولايات المتحدة وروسيا على حد سواء، وقد تكون الأسلحة الفردية التي يحصل عليها المجاهدون في الحرب هي وسيلتهم الوحيدة، أما المساعدات التي تقدم إليهم ـ ظاهراً ـ فهي محكومة بحدود لا تسمح لهم بإنهاء الاحتلال السوفييتي وإنما تضمن استمرار إنهاكه...

ولا شك أن الشعوب الإسلامية تمتلك من عوامل المواجهة والصمود والنهوض ورفض كل أشكال الاحتلال والتبعية ما تفتقده كثير من شعوب العالم، لذلك كان لا بد ـ استكمالاً للوفاق الدولي، والكفر ملة واحدة ـ لمواجهتها من إقامة مفارز حراسة، وأنظمة قمع، وجيوش ـ لحماية تلك الأنظمة وليس لحماية الوطن ـ غريبة عن جسم الأمة بعقائدها وشعاراتها، يوكل إليها تعقب المسلمين ودعاة الإسلام حتى يستمر التحكم الأجنبي في بلاد المسلمين، ويحال بينهم وبين استعادة مكانتهم: والحقيقة أن هذه الوسيلة المكشوفة أخفقت في أفغانستان أيما إخفاق، فقد عجز نظام «كابل» المدعوم دولياً عن تحقيق أي تقدم خلال هذه السنوات الخمس، بل على العكس من ذلك فإن كثيراً من الضباط والجنود التحقوا بصفوف المجاهدين بمجرد أن أتيحت لهم الفرصة.

والصعوبة الكبرى التي يواجهها السوفييت حالياً هي مع جنود الجيش الأفغاني، فإذا كانت موسكو لا تزال قادرة على ضبط قواتها وتسويغ وفاة أكثر من عشرة آلاف جندي سوفييتي أمام ذويهم، فإن الوضع يختلف تماماً حيال موقف القوات الحكومية الأفغانية، فقد لمست القيادة السوفييتية في أفغانستان أن قوات «كارمل» خفَّ حماسها في التعاون مع الغزاة السوفييت، وسجلت في الآونة الأخيرة عمليات هروب بالجملة من الجيش الأفغاني، وانضمام عدد من هؤلاء إلى المجاهدين، وبلغ حذر السوفييت من حلفائهم حداً من النفور والتشنج حتى إنهم امتنعوا عن تسليحهم وإمدادهم بالذخائر الحيَّة خلال التدريبات خوفاً من أن يلجأ بعض هؤلاء إلى استعمالها ضدهم...

والحقيقة أن قضية أفغانستان وقضية فلسطين هما المحك الذي أسقط الكثير من الأقنعة، ذلك أن «اليسار» في العالم الإسلامي لم يستطع التخلص من التبعية السياسية، وعلى الرغم من كل دعاواه وادعاءاته للوطنية فقد كان عاجزاً حتى عن المواقف الإنسانية، وعاجزاً عن الانسجام مع مقدماته، وقد تكون مشكلته التي يعاني منها أنه لا يرى إلَّا بعين واحدة، ولا يستطيع أن يرى إلَّا عدواً واحداً، ذلك أن الذي يتحدث عن الغزو الاستعماري الشيوعي يجب أن يكون بالضرورة عميلاً أمريكياً!! فالذبح والدمار في أفغانستان إنما يتم على الطريقة التقدمية، بينما كان في «فيتنام» استعماراً وغزواً رجعياً!

لقد استطاع اليسار في دول أوروبا ـ وهو أكثر تحرراً ـ أن يقف مع الجهاد الأفغاني، ويدين الغزو الشيوعي لأفغانستان كما أدان الغزو الأمريكي لـ «فيتنام» والغزو الشيوعي لـ «يوغوسلافيا» و«بولندا»، أما اليسار في العالم الإسلامي فقد كانت قضية الانتصار لـ «فيتنام» عنده مقدمة على قضية المسلمين المركزية ـ فلسطين ـ وأما اليوم فهو في وضع لا يحسد عليه؛ فلا مجال عنده للحديث عن الغزو السوفييتي لأفغانستان المسلمة لأنه سيكون ـ حسب زعمه ـ على حساب قضية فلسطين!! أما مساهماته التاريخية في تمييع مفاهيم القضية الفلسطينية وتضييع هويتها وترويض أهلها على القبول بوجود عدوهم فلنا معه حديث آخر إن شاء الله.

نعود إلى القول: إن أفغانستان التي لم يستطع أحد زحزحتها عن إسلامها تاريخياً لا يمكن أن تتنازل عنه، وإن خمس سنوات من الصمود أمام كبرى القوى العالمية يمكن أن يستمر خمسين سنة أخرى أو يزيد، ما دام العدو موجوداً، وعلى الرغم من استخدام أشد الأسلحة فتكاً وتدميراً، وأقذر الوسائل لاختراق صفوف المجاهدين، وتقديم مليون شهيد، فقد وطَّن المجاهدون النفس على الحرب الطويلة، إن صور الاطمئنان التي يراها الإنسان على وجوه المجاهدين على اختلاف أعمارهم، وتحملهم الظروف القاسية بكل الرضى، وبناءهم المعاهد العلمية والمؤسسات التعليمية بالوسائل البسيطة التي تعني فيما تعني الاستعداد للمواجهة طويلة الأمد لأعظم دليل على ذلك...

إن هذه المنطقة التي أنجبت الكثير من الأئمة الفقهاء والمحدِّثين، وساهمت في إثراء العلوم والثقافة الإسلامية ليس من السهل اختراقها والقضاء عليها بسبب من العملاء أو بغزو من الدخلاء، والمجاهدون مؤمنون بأن النتائج موكولة إلى الله، وأن المسلم مكلَّف بأن يتقن المقدمات من خلال الإمكانات المتاحة، ويبصر الظروف المحيطة ويستفيد من الدرس التاريخي، ويستحضر البعد الغيبي كعامل من عوامل الصمود والنهوض، ولينصرنَّ الله من ينصره. □□

حوار أول

■■ التاريخ الطويل للعمل الإسلامي يشهد بأنَّ الذي تحقق من الجهد والنتائج كثير، وما كان يُفترض فيه أن يتحقق كثير أيضاً، وفي عملية نقد الذات أو مراجعة النفس ومحاسبتها يحتاج العاملون للإسلام إلى وقفة ناقدة، ونظرة فاحصة، ومحاسبة منطقية، وهذا أمر طبيعي لأن الذين يعملون يخطئون، ولأنهم كذلك فهم بحاجة إلى مراجعة دائمة تنبع من الإحساس الذي يغرسه الدين في المسلم من أن البشر خطَّاؤون وخير الخطَّائين التوَّابون، ولا تكون التوبة إلَّا بمراجعة ومحاسبة واعتراف بالقصور البشري ■■

بقلم: الدكتور عباس محجوب

أين الخلل؟

قد يتوهم الناس ـ من انتصارات يحققونها وابتلاءات يجتازونها ـ انهم على الجادة لم يخطئوا، وعلى الهدى لم ينحرفوا، وفي كينونة ليس افضل منها ولا احسن.

ولكي نحدِّد بعض جوانب الخلل في مراجعتنا تفرض البداية علينا ان نحدِّد عملين مختلفين يبرزان على ساحة العمل الإسلامي: عمل غير رسمي تعمل فيه معظم الجماعات الإسلامية: وعمل إسلامي رسمي تقوم به هيئات ومنظمات، تتعاون بقدر مع الجماعات غير الرسمية قد يقل وقد ينعدم.

ونبدأ بالعاملين للإسلام غير الرسميين الذين يستقطبون الساحة، او يفترض فيهم ذلك، لنحدِّد بعض مظاهر الخلل من خلال التجارب الذاتية، والواقع المعاش سائلين الله المثوبة وحسن الجزاء فيما هو ثواب وحق، والمغفرة والعفو فيما حسبناه صواباً وهو ليس كذلك، ولعل اول مظاهر الخلل يتمثل في:

[١] اضطراب المفهومات

ونقصد بذلك أنَّ العمل الإسلامي لم يتوصل إلى تحديد مفهوماته على مستوى المصطلح، أو على مستوى تحديد كثير من المصطلحات كمصطلح: الجماعة ـ الأمة ـ القومية ـ التصور ـ الفكر الإسلامي ـ الثقافة الإسلامية ... وغير ذلك من مصطلحات اجتهد افراد في وضع مفهومات لها، واصبح سمة لبعض الكتَّاب الذين فرضوا بعض المصطلحات في محاولة لتميز الفكر الإسلامي بقاموسه اللغوي الخاص، كما فعل علماء المسلمين في ميدان العقيدة والفقه وعلوم الحديث وغيرها، حيث تميز كل منها بقاموس خاص محدد المصطلحات والمفهومات.

اما بالنسبة للجانب الثاني فإنَّ التاريخ المعاصر للعمل الإسلامي لم يحسم مفهومات الدعوة والداعية، أو الجماعة، أو الطائفة.

فبالنسبة للدعوة والداعية تتارجح الآراء بين من يربطونها بالانتماء العضوي، وبين من يربطونها بالتخصص، أو العمل في ثغر من ثغور الإسلام، ومن يطلقونها على كل عامل في مجال الإسلام ـ اما الطائفة فالامر معها قديم، فالرسول ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم، حتى ياتي امر الله» او كما قال ﷺ، فمن هم الذين يشكلون هذه الطائفة؟ هل هم العلماء ام الزهَّاد؟ هل هم جماعة واحدة ام جماعات متعددة؟

لم تحسم هذه المسالة لا في الماضي ولا في الحاضر، ولعلَّ الإمام احمد هو الذي قال: إن لم يكونوا اهل الحديث فلا ادري من هم؟ والإمام النووي في شرح مسلم ذكر جماعات مختلفة ولم يلزم أن يكونوا جماعة واحدة أو مجتمعين في مكان واحد، وفيما اذكر فإن الشاطبي تعرض لذلك فذكر جماعات ورجَّح الطائفة بانها التي بايعت إماماً لدولة المسلمين.

والذين يعملون مع الشباب يلحظون كثرة الأسئلة التي تطالب بتحديد الجماعة التي يعمل معها الشباب بين عدد من الجماعات تختلف في الأهداف والمناهج والأساليب، ولعلَّ الأنسب والاقرب للمنطق والواقع ان نعترف بجهد الجماعات كلها في العمل للإسلام على تفاوت في الأجر، وان نربط مفهوم الجماعة كمصطلح بالذين بايعوا إماماً لدولة مسلمة، لأن هذا التحديد يساعد في امرين:

(أ) الخروج من حرج ادعاء جماعة من الجماعات الإسلامية ايًّا كانت بانها تمثل جماعة المسلمين.

(ب) تبعاً لذلك يتم وضعُ حدّ للنقاش الذي يدور حول من يخرج على هذه الجماعة.

فقصور الفهم جعل بعضهم لسبب أو لآخر يربط بين الخروج من هذه الجماعات وما يترتب على ذلك من حكم شرعي، خاصة في مستوى بعض القيادات التقليدية، فلو ادركت الجماعة ـ ايًّا كانت ـ انها «جماعة من المسلمين» وليست «جماعة المسلمين» لما رتَّبوا على الخروج منها ايَّ ماخذ شرعي يُفرض على الناس.

وقد ترتب على اضطراب المفهومات والتصورات اضطراب الأفعال والتصرفات، والتمادي في التاويلات والتبريرات، وانتشرت ظاهرة الجراة في الفتوى دون دليل عقلي أو نقلي، واصبحت تصرفات الأفراد والقيادات ـ وفق تلك التصورات ـ من الأمور الذي يظن الكثير انها تعبديَّة يلزم العمل بها والتقيد بها، وهذا بالتالي ترتب عليه تقديس اقوال بعض الأفراد، واساليبهم التي واجهوا بها ظروفهم، وعالجوا بها مشكلات مجتمعاتهم، واضرب مثالاً بعيداً لذلك يمكن قياس ما اقصد عليه، ففي مناهج بعض الجامعات الإسلامية دراسات مطولة عن الاديان والفرق المختلفة التي واجهها علماء السلف في عصرهم، وحالوا دون انتشارها، وكشفوا ما فيها من انحراف وقصور عن منهج

■ ميزة هذه المناقشة أنها تفسح المجال لوجهات النظر المتنوعة ، حتى المتعارضة منها أحياناً ، ليتحقق للمسلمين بشكل عام ، وللعاملين في الحقل الإسلامي بشكل خاص رؤية خصبة لجميع جوانب الأزمة التي يعاني منها الواقع الإسلامي .. وليبصروا ما يدور بعقل النخبة ، أو من يسمون بالقيادة الفكرية ، من طرائق للعلاج .

ونعود إلى التذكير بأن لا مجال للتخوف على القضية الإسلامية من الحوار وبيان العلل والأمراض التي يعاني منها الجيل المسلم بحجة أن ذلك يسهل على الأعداء مهمتهم في حربهم للإسلام والمسلمين ، وإنما التخوف من إلغاء الحوار واستبقاء الأمراض التي تمكن للعدو منا على كل حال ... ولو أخذ المسلمون هذا في اعتبارهم تاريخياً لتعطلت كل حسبة ، وانطفأت كل فاعلية ، وغابت كل رقابة ، ولانقلب العمل الإسلامي إلى لون من الكهانة وضرب من التعصب يساهم في الابقاء على الأخطاء ، وحماية الانحراف .. والله تعالى يقول : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ (التوبة : ٧١) ■

[التحرير]

الإسلام ومقاصد الشرع ، فكيف نركز على دراسة تلك الفرق والملل ، ونحن نواجه تحديات جديدة تتمثل في مذاهب عقيدية حديثة ، وملل وافكار منحرفة ، وديانات متباينة متعاظمة ؟

إن كل جيل مطالب بمواجهة التحديات المعاصرة له ، ومقاومة العقائد والأفكار المطروحة امامه ، وهذا لا يمنع دراسة القديم المشابه دراسة عبرة ومعرفة ، وليست دراسة تخصص وتفرغ .

[٢] ضعف التربية والتعليم للأفراد

العمل الإسلامي يرتكز على دعامتين اساسيتين ، تعلّم الدين ومعرفته والتفقه فيه ، ثم ممارسته في واقع الحياة سلوكاً يومياً ، ومنهجاً حياتياً .. فمسايرة الجانب النظري في المعرفة للجانب العملي في السلوك هو الذي يحقق التوازن في التربية ، والعلم القليل الممارس سلوكاً افضل من العلم النظري الكثير ، وهو المنهج الذي نشا عليه اصحاب رسول الله ﷺ حيث ذكر ابن مسعود انّهم كانوا يتعلمون الآيات العشر ثم يطبقونها في سلوكهم ، ثم يتعلمون غيرها ، والذي يعوق العمل الإسلامي اننا نجد كماً هائلاً من المعرفة النظرية ، وندرس مناهج نظرية كثيرة غير انَّ انعكاس المعرفة على سلوك الأفراد قليل ، ولعلّ ذلك راجع إلى عوامل عدّة نذكر منها :

(١) عدم فعّالية المناهج التي تربّي الأفراد وتعلمهم ، لأنَّ التركيز على كم المعرفة لا كيفها ، كما انَّ المناهج تفقد كثيراً من الاعتبارات المتعلقة بمستوى الأفراد العلمي واعمارهم وخبراتهم ، واستعداداتهم ، وخلفياتهم في مجال العمل الإسلامي .

(٢) التركيز في كثير من الأحيان على جانب دون آخر ، فقد يطلب الجانب السياسي او الفكري او العقدي بينما تغفل جوانب هامة يمكن ان تبني قاعدة صلبة للفرد المسلم ، وقلّ ان تجد اهتماماً باللغة العربية وآدابها ، وهي وعاء الدين ولغة القرآن ، الجهل بها والضعف فيها تعطيل لفهم الدين ودراسة القرآن ومعرفة السنَّة ، إذن فالخلل ليس في التوازن بين النظري والتطبيقي ، بل في داخل النظري حيث لا يوجد هذا التوازن في المعرفة النظرية في مجال الفقه والعقيدة وعلوم الحديث والقرآن وغير ذلك .

(٣) افتقاد القدوة المؤثرة التي يتوازن فيها الفكر النظري مع الممارسات السلوكية ، وقد وجدت في تاريخ العمل الإسلامي نماذج هيمنت على ساحة العمل ولا تزال ، وكان النتاج المتوقع ان تتكرر هذا النماذج في كل حقبة وفترة لان المنهج الذي اوجد تلك النماذج العالية هو المنهج نفسه والمصدر نفسه ، فما الذي جعل جيل العمالقة جيلاً لا يتكرر ؟

السبب واضح وهو ضعف التعامل مع المنهج الذي خرَّج الأوائل ، ثم تقديس تلك النماذج واجترار افكارها واساليبها دون النظر إلى المتغيرات التي بدّلت وجه الحياة ، واوجدت واقعاً جديداً يحتاج إلى طريقة في التعامل جديدة ، وفكرٍ متطورٍ يتناسب معه .

بل إن الأمر وصل إلى جعل الماضي إرثاً يختص به اناس دون الآخرين ولو لم يكن معهم من العلم واسباب القيادة والفقه ما يؤهلهم لذلك .

وقد جاء ضعف العلم نتيجة لانصراف المتعلمين عن اخذ العلم من مظَانه ، والمعاناة في سبيله حتى اصبح العلم كله في كتيبات صغيرة وافكار ومحاضرات ، وحتى اصبح في ساحة العمل من يرون في انفسهم اهلية الفتوى وإصدار الأحكام بعيداً عن يسر هذا الدين وعمق الفقه الإسلامي الذي احتوى حركة الحياة كلها بتناقضاتها ، وتقلباتها ، واختلاف آرائها ونظرتها ، وكان نتاج هذه الفتاوى : التطرف في الراي ، والرفض للآراء المختلفة في الأمر الواحد ، ثم التطرف في الاتجاه بصفة عامة .

افتقاد العمل الإسلامي للقدوة المؤثرة اتاح الفرصة للكثيرين ان يكونوا في قيادة العمل ؛ وهم يفتقدون كثيراً من الشروط التي تؤهلهم لحمل امانة القيادة والتوجيه ، وذلك لظهور مؤهلات جديدة للقيادة قد لا يكون لها وزن في ميزان الإسلام إلَّا مع توفر المؤهلات الإسلامية للقيادة وذلك مثل : الأقدمية ، والمكانة الاجتماعية او المؤهل العلمي وغير ذلك من المؤهلات التي دفعت إلى القيادة بعض من لا فقه لهم في الدين ولا خبرة لهم في علوم الدنيا ، ولا باع لهم في مجاهدات الروح وتزكية النفوس وصحة القلوب .

وندرة القيادة الرشيدة للعمل الإسلامي تظهر في اماكن كثيرة ، مما ادّى في كثير من الأحيان إلى غياب الاحتكام لموازين الإسلام في تقويم الأشخاص ، وغياب ادب الإسلام في الحوار والمجادلة وتبادل الراي ، واعتبار المناصحة نوعاً من العقاب المر والنقد

أيـن الخلل ؟

• الذي يعوق العمل الإسلامي أننا نجد كماً هائلاً من المعرفة النظرية وندرس مناهج نظرية كثيرة ؛ غير أن انعكاس المعرفة على سلوك الأفراد قليل .. •

الجارح ، كما أن الروح « الإقليمية » - للأسف - لم تزل تظهر بين حين وآخر في صفوف بعض العاملين للإسلام ، في حين كان الواجب الاقتراب من تحقيق رابطة الإسلام الخالدة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات : ١٠) والاستعلاء بالإيمان وروابطه على نزعات نفوسهم وتقاليد المجتمعات من حولهم ...

ولقد سبق لي أن ذكرت شيئاً حول هذا في محاضرة ألقيتها في مخيم الطلبة المسلمين الصيفي في بريطانيا عام ١٩٨٢م ، ولعلَّ في هذه الكلمات قراءة لما في نفسي ولما ذكرته في تلك المحاضرة : « ذلك أن بعض الجماعات والأشخاص قد تعرض لهم ظروف خاصة في أزمان خاصة ، فيحاولون تفسير الإسلام ، وإسقاط مدلولات آياته وأحاديثه على ظروفهم ، والقطع بما ذهبوا إليه ، وعدم الاكتفاء بذلك ، وإنما تعميم هذا التفسير على عالم المسلمين ، وعالم العاملين للإسلام بشكل عام ، والذي لا يرى تفسيرهم هذا يمكن أن يكون خارجاً عن الطاعة ، ومفارقاً للجماعة التي نهى رسول الله ﷺ عنه إلى درجة قد تبيح دمه ...!! » .

وكذلك الكلمات الآتية :

« ... وقد يكون من أسباب تكريس الخطأ وقوع بعض النماذج في العمل الإسلامي في حمأة التعصب الحزبي نتيجة لضغط المجتمعات ، وردود الأفعال ، وتحويل الآراء الاجتهادية إلى مذاهب سياسية ، والتجمعات الإسلامية إلى طوائف حزبية .. أو بمعنى آخر : الارتكاس في مدلول المناصرة والعودة إلى المفهوم الجاهلي بسبب من غفلة أو غياب للبعد الديني الإيماني ، وبذلك يكرس الظلم ، ويكرس الخطأ ، وينتصر بعضنا ويتحزب لمن يواليه مظلوماً أو ظالماً بدل أن يأخذ على يديه .

وقد سبق أن أشرنا أنه من الخطأ العقيدي والتاريخي والثقافي والحضاري والدعوي - إن صح التعبير - ربط الإسلام بجنس أو لون أو عرق ، أو جماعة ، أو جيل أو زمان معين وإنما لا بد من التأكيد أن الرسول ﷺ وحده هو محل الأسوة والقدوة التي تربت على عين الله عز وجل ، وتسديد وحيه ، وأن القيم هي المقياس وليس الأشخاص ، والسبيل إلى الصواب والتصويب أن نعرف الحق لنعرف رجاله ، وأن يبقى ميزاننا الحق وليس الرجال ... » (نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ، عمر عبيد حسنة : ٥٠ - ٥١) .

[٣] الإفراط والتفريط

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ فهذه الأمة خصها الله تعالى بالوسطية والاعتدال في الدين دون إفراط أو تفريط ، ولعل سلبيات العمل العام هي التي تقود الناس إلى اتجاهين متباينين في التفكير والتفسير والتقدير ، فالشريعة مصدرها واضح ، ومقاصدها معروفة ، غير أن الناس يتعاملون مع النصوص والأدلة بتفسيراتهم الخاصة ، وتقديراتهم الشخصية ، فيقابَلُ الأمر الواحد عند بعض الناس بالشدة التي حذَّر منها الرسول ﷺ بينما يقابل الأمر نفسه بالتسيّب والتساهل خاصة في الأمور المتعلقة بالحلال والحرام ، فالرسول ﷺ يقول لنا : « الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبِهات » كما في رواية البخاري ، فبعضهم يكثرون الجدل في هذه المشبهات ، وقد يتعدونها إلى الجدل في الحلال البيِّن ، وما ذلك كله إلَّا لغياب الفقه في الدين حتى ولو وجد العلم به .

ومن مظاهر الإفراط أن يمتن بعضهم على العمل الإسلامي بذواتهم أو بغيرهم ممن لهم سابقة جهاد وابتلاء أو عمل وإنجاز ، مع أن المسلم مهما قدَّم من عمل ، وواجه من ابتلاءات ، وأنجز من أعمال كان أمره إلى الله ، وهو لا يخرج عن قول الله سبحانه وتعالى ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحجرات : ١٧ - ١٨) .

ومن مظاهر الإفراط أن يُنْقِص بعضنا من جهود علماء السلف والخلف ؛ ولا يذكرهم بما يليق بهم من خير قدَّموه ، وعلم خدموه ، وطريق مهَّدوه ، ظناً منهم أنهم قد بلغوا بعلمهم ومجاهداتهم ما لم يصل إليه الأوائل ، بينما نجد مقابل ذلك من جمَّدوا عقولهم وأفكارهم على آراء السابقين ، يقدِّسونها ، ويعظمونها ، ويكثرون من الاستشهاد بها أكثر من الاستشهاد بآيات ربِّ العالمين وأقوال الصادق الأمين ، مع أن سلفنا الصالح أكّدوا لنا وعلَّمونا أن كلاً يؤخذ من رأيه ويترك إلَّا رأي رسول هذه الأمة ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى ، كما علَّمنا سلفنا أيضاً أن العلم يؤخذ منهم من غير تقديس ، ولا تبخيس . ومع هذه النظرة المفرطة ، أو المفرِّطة يرتفع الأشخاص فوق النقد ، والآراء فوق النقاش ، والأعمال - مهما كانت - إلى درجة القداسة والتعظيم ، ويختفي تبعاً لذلك ما ربَّى عليه الرسول ﷺ أصحابه من الشورى ، والتناصح ، والنقد والتوجيه ، والمساءلة والمحاسبة ، ونوعية المسلم الذي يكون في القيادة يوماً ، وبين الجنود فرداً في اليوم الآخر ، وتنزع من النفوس مداخل الشيطان ، ومبررات

● افتقاد العمل الإسلامي للقدوة المؤثرة أتاح الفرصة للكثيرين أن يكونوا في قيادة العمل وهم يفتقدون كثيراً من الشروط التي تؤهلهم لحمل أمانة العمل والقيادة . ●

الأهواء .

[٤] ظاهرة الصحوة الإسلامية

سخَّر الله سبحانه وتعالى أسباباً عدة لبروز هذه الصحوة التي اصبحت حقيقة فرضت التعامل معها على الآخرين ، ومع ان العمل الإسلامي كان من جملة أسباب هذه الصحوة إلَّا أن قدرته على الاحتواء لم تكن في مستوى الصحوة نفسها مما أفقدها عنصر التمذهب - إن صح التعبير - والتوجيه والقيادة ، ونتج تبعاً لذلك فقدان كثير من فعاليات هذه الصحوة ومقدَّراتها الضخمة ، وكانت فرصة مناسبة للقوى المعادية ان تحجب تلك الصحوة ، وان تقصّ اجنحتها ، وتقلل من فعّاليتها وخطورتها على الأقل في المدى القريب ، ولو وجدت هذه الصحوة القيادة الرشيدة ، والقدوة المؤثرة الفاعلة ، والمناهج المحققة للطموحات ، والمشبعة للحاجات ، والمنقذة من الضلالات والانحرافات لكان للعمل الإسلامي شأن آخر .

إن المجتمعات تؤثر بضغوطها المختلفة على العمل الإسلامي فتستجيب النفوس الغافلة بإرادة وبغير إرادة لتلك الضغوط ، ثم تبحث لمواقفها عن المبررات والتخريجات التي لا يتوانى بعضهم في مساندتها بتاويل الآيات وتحريف الأحاديث ، بل وبالاعتماد عليها دون عناية بالسند ، او بحث لدرجة الحديث ما دام الأمر متناسقاً مع التصرفات ومبرراً للمواقف ، ولعل هذه وتلك من العوامل التي افقدت الكثيرين الثقة في اتجاهات العمل الإسلامي ووسائله ، كما افقدت كثيراً من العاملين الثقة في صحة توجّهاتهم ، وفكر قياداتهم ، وسلامة قاعدتهم .

[٥] النظـــرة للأعداء

القرآن الكريم وضَّح للمسلمين أعداءهم بأهدافهم ، واتجاهاتهم ، وأفكارهم ، ومخططاتهم ، وأساليبهم . كما وضَّح للمسلمين مظاهر قوتهم ، ومكامن بأسهم ووسائلهم في التغلب على كل الصعاب والأهوال ، ومع ذلك ابتلي العمل الإسلامي بمن يهوِّل قوة الأعداء ، ويحلل واقع المسلمين بما يورث اليأس في النفوس الضعيفة ، والأعداء قد يكونون من المسلمين انفسهم ، وكثير منهم من غير المسلمين ، ولا يعجز المسلم عن اساليب المواجهة لأولئك او هؤلاء ، والمسلم جانبه اقوى دائماً لأن الله معه ، ومن كان الله معه لا يذل ولا يَخْزى . فالمسألة لا تعدو ان تكون ضعفاً فنياً وليس قوة في الأعداء ، والقرآن يحدثنا ان كل ضعف فينا نجد اسبابه في نفوسنا ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ (آل عمران : ١٦٥) ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (الشورى : ٣٠) ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾ (الروم : ٤١) .

وهذا التهويل أصاب العمل الإسلامي بالعقم والجمود والفتور خوفاً من نظام او رقابة ، بينما يجاهر أهل الباطل بباطلهم ، واهل المذاهب الإلحادية بإلحادهم .

في سبيل العـــلاج

لا يستطيع الافراد مهما كانت قدراتهم ان يضعوا حلولاً لمشكلات متداخلة معقدة نتجت عن غياب عناصر كثيرة في العمل الإسلامي اشار إليها الباحثون ، غير ان جهداً جماعياً مشتركاً يجمع بين المهتمين بالأمر يمكن ان يوضح معالم العلاج ، والعودة بالعمل الإسلامي إلى تجرده ونقائه ، وإن كان ذلك لا يمنعنا ان نحدد بعض الملامح التي يمكن ان نذكرها فيما يلي :

(١) تجديــد معنى الانتماء :

الإحساس بالحاجة إلى الانتماء فطرة في الإنسان تبدا بإحساس الفرد بالآخرين حوله ، وتعاطفه معهم ، وتلمسه لشعورهم ، ويستجيب الإنسان لفكرة الجماعة لإحساسه بأن في انتمائه وجوداً لذاته ، وان فيه عطاء متبادلاً .

ويبدا انتماء الفرد للجماعة انتماء طاعة ومسايرة واكتساب للمعرفة والخبرة الذاتية والاجتماعية حتى تكون الجماعة عنده امراً نفسياً وعقلياً وشعورياً .

والعاملون للإسلام مطالبون بمعرفة التطور الاجتماعي الذي يجعل المسلم ينتقل من مرحلة الطاعة والمسايرة إلى مرحلة التفرد الذاتي عن التجمعات ؛ الأمر الذي يسقط عنه كثيراً من مظاهر التقديس لها ، ليبدا مرحلة التقويم والمحاسبة والمساءلة والمسايرة المقوِّمة ، وهي مرحلة التعادل بين الذاتية والانتماء لأيةٍ من هذه التجمعات ، وهنا تستفيد التجمعات الإسلامية من هؤلاء الأشخاص الذين سيمارسون وظيفتهم في النقد والتوجيه والمناصحة ، فالأشخاص ينتقلون من مرحلة أوليّة هي مرحلة التسليم والطاعة المطلقة إلى مرحلة التقويم الذاتي الرشيد في إطار الجماعة ، واهمية إدراك هذا الأمر الطبيعي يجنِّب العمل الإسلامي كثيراً من الخلاف والشقاق ، لان لكل فرد ان ياخذ حقه في النمو والتطور ، والنقد والمحاسبة ، لان في ذلك إثراءً للعمل ، وتجديداً له ، وحلاً

أيـــن الخلل ؟

● ابتلي العمل الإسلامي بمن يُهوِّل قوة الأعداء ويحلل واقع المسلمين بما يورث اليأس في النفوس الضعيفة . ●

● استجابة الفرد لفكرة الجماعة تجعله يحس بأن في انتمائه وجوداً لذاته ، وأنَّ فيه عطاءً متبادلاً ، حتى تكون الجماعة عنده أمراً نفسياً وعقلياً وشعورياً . ●

للسلبيات التي يغفل عنها الناس في زحمة العمل ومشكلاته .

هذا الموقف للتجمعات من أفرادها الذين يمارسون حقوقهم في النقد الذاتي دليل على نضجها ، وسلامة طريقها ، وصحَّة فهمها وقوَّة التَّوحد بين أفرادها الذين انتقلوا من مرحلة آلية سلبية إلى مرحلة إيجابية بناءة ، فالانتماء هنا انتماء مشاركة وتقويم وليست مشاركة تنفيذ واستسلام .

وذلك كله لأن الإسلام لا يربّي إنساناً مسلوب الإرادة وإنما يربّي المسلم الذي تتطور خبراته ، وينمو وعيه ، ويملك حريته ويجابه ابتلاءاته ، ويشارك بإرادته مع إرادة الجماعة ، وهذا التطور هو الذي ينقل الانتماء من جماعة صغيرة إلى جماعة أكبر ثم إلى المجتمع ثم الدولة التي تتحقق فيها غايات العمل الإسلامي وأهدافه .

فالتجمعات الإسلامية ليس عليها أن تقبل المنتمي المستسلم الجامد طوال حياته بل تشجع أصحاب الإرادة الحرة ، والاتجاه الصادق ، والعقل المميز بين الغث والسمين ، والصواب والخطأ ، والحق والباطل .

(٢) تجديد المنهج الثقافي :

وهذا يقتضي إعادة النظر في المناهج التي تعمل لبناء الإنسان المسلم الذي يحقق بوعيه الكامل وإرادته هدف إيجاده في الحياة ، لأن هدف المنهج في بسط الدراسات النظرية هو المساعدة على سمو الفرد في وعيه بحيث لا يقف موقف المتعاطف المنفعل المنتمي ، بل موقف المستوعب للتاريخ والآمال والأهداف ، بحيث ينطبع الإحساس بالآخرين في فكر الفرد وعقله ، وبحيث يشعر أنَّه معهم جسم واحد يحس بما يصيبهم من سراء وضراء ، ووحدة الهدف والمصير ، فهو جزء منهم بعواطفه وعقله وفكره ومشاركته الفعَّالة المنفذة الناقدة ، مشاركة تنبع من الفهم والتعاطف والوعي بمسؤولياته نحوهم ، لأن المشاركة دون فهم ومعرفة وقدرة على التميز والنقد تعود بالضرر على جميع العاملين وأعمالهم .

ومشاركة المسلم للعاملين للإسلام تقوم على أساس من إحساس الفرد بحقه في حرية الحركة دون قيود وعوائق سواء في مجال التعبير عن الرأي ، أو التعلم ، أو الاستفسار ، أو النقد والتقويم ، بل حريته الوجدانية في القبول والرفض ، والسخط والرضا ، والحب والكراهية ، وذلك كله في نطاق الإطار الإسلامي ، والمسؤولية الإسلامية القائمة على انتظار الجزاء من الله سبحانه وتعالى .

فمسؤولية العاملين للإسلام أن يوفروا الطمأنينة التي بها تزكو النفوس ، والثقة التي تتفتح بها أبواب العطاء والإبداع ، والمشاركة التي ينمو بها العمل الإسلامي لأنّ الأفراد فيه يتبادلون العطاء باحترام ومودة ، وطمأنينة وسماحة ، وأمن وثقة ، واهتمام وعدالة دون خوف أو مَنٍّ ، ودون قهر أو استبداد ، ودون قيد على حرية المشاركة ببصيرة واعية وفكر متفتح ، وعدالة ومساواة .

(٣) تجديد مفهوم الحياة :

القيادة مسؤولية وأمانة ، وقوة وإيمان ، وتقوى وإحسان ، تنعكس كلها على شخصية القائد المسلم وصفاته ، بحيث يكون تجسيداً عملياً لروح الجماعة ، وتجسيداً لخُلُقِ الإسلام في نفسه قبل أن يكون الأنموذج الذي يُقتدى به ، وتجسيداً لشفافية المسلم المتوازن في نفسه ، المتكامل في داخله ؛ وتجسيداً لروح الحب والمودة بين الأفراد ، تلك الروح التي تشع بالسماحة واليسر ، وخفض الجناح واللين ، ونشر الطمأنينة والسكينة ، فالقرآن يبين لنا أن من أبرز صفات الأسوة الحسنة القائدة صفات الرافة بالمؤمنين والرحمة بهم ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة : ١٢٨) وهي رحمة مستمدة من الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

ومن صفات الأسوة الحسنة : الوعي الشامل بالحياة كلها والوجود كله ، حاضره وغائبه ، مادته وروحه ، فالقرآن يطالبنا أن نعي حركة التاريخ وماضي الإنسانية لأن في ذلك إثراء للخبرات والمعارف الحاضرة .

والقرآن مليء بالآيات الداعية إلى التدبر والتأمل والتفكر في ملكوت السموات والأرض ، كما يدعو إلى الوعي بالعلاقات الاجتماعية وسنن الله في المجتمعات ؛ وهذا الوعي مصدره اليقظة والدراسة ، والبصيرة ، والتأمل في سنن الله الاجتماعية .

ومن صفات الأسوة الحسنة : الصبر على الآخرين ، والرأفة بهم ، وإحسان معاملتهم ، والعدل بينهم مهما كانت درجة تفاعلهم ، لذلك ركز القرآن على الصبر في التواصي ، والصبر في الدعوة إلى الحق ، والصبر على الابتلاء في العمل العام ، والصبر في

● الأفراد الذين يمارسون حقوقهم في النقد الذاتي في إطار جماعتهم يشكِّلون دليلاً واضحاً على نضجها وسلامة طريقها وقوة التوحّد بين أفرادها الذين انتقلوا من مرحلة آلية سلبية إلى مرحلة إيجابية بنَّاءة ؛ فالانتماء الاجتماعي انتماء مشاركة وتقويم وليس انتماء مشاركة تنفيذ واستسلام . ●

مجاهدات النفس وأداء التكاليف .

ومن صفات الأسوة الحسنة : إشاعة الرفق بين الجميع لأنه جماع الخير كله ، لأن من حُرِم الرفق حرم الخير كله ، ولو ساد الرفق جو العمل الإسلامي في تعامله وتفاعله لعمَّت السكينة والرحمة ، والطمأنينة والعدل العاملين للإسلام كلهم ، ولكان لكل خلاف في الرأي أو المنهج - مهما كانت قوته وطغيانه - ضوابط تضبطه : كما أن انتشار الرفق وتدريب المسلمين عليه يتدرج بهم نحو مستوى عال من التعامل فيما بينهم ، ومع المجتمع الذي يعيشون فيه .

والمطّلع على سيرة سيد الخلق ﷺ يجد الرفق محور حياته ﷺ وسلوكه مع الصغير والكبير ، المسلم والكافر ، الغني والفقير ، سواء في مجال التوجيه للأفراد ، أو معالجة الأخطاء ، أو التدرج من اليسير إلى ما هو أعلى منه ، أو في إعطاء الآخرين فرصة التجريب والصواب والخطأ إلى آخر ذلك مما هو معروف من السيرة النبوية .

عوامل نجاح العمل الإسلامي

لا يختلف اثنان في أهمية العمل الجماعي والارتباط به حيث نصّت الآيات والأحاديث على ذلك ، فالله سبحانه وتعالى يقول في سورة المائدة : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة : ٥٤ - ٥٦) .

هذه الطائفة التي تمثل حزب الله ، وتعمل لسيادة منهجه في الحياة ، وشرعه في الكون ، وعبوديته المطلقة في الأرض ، تحتاج إلى أن تتميز بعدد من السمات والخصائص ، تضمن لها السلامة ، وتوفِّر لها النجاح ، وتضمن لها الاستمرار والغلبة على مشكلات العمل ومعوقاته وأهم هذه السمات ما يلي :

(١) المشاركة الجماعية في التخطيط للوسائل والطرق التي تحقق أهداف العمل الإسلامي ، حتى يتربّى المجتمع المسلم لا على الطاعة المطلقة والخضوع بل على المشاركة في صناعة حركة المجتمع ، والطاعة لما امر الله ورسوله به وما اتفق المسلمون باختبارهم وإرادتهم عليه .

(٢) حرية ممارسة الأفراد لحقهم في تقويم ما شاركوا في وجوده ، ونقدهم لعملهم ونشاطهم حتى يتعوّد الأفراد على ممارسة النقد البنّاء ، وتتعود الجماعة على تقبل النقد والاستفادة منه في إصلاح اخطاء الممارسة بروح من التسامح والمودَّة وإحسان الظن ورحابة الصدر من الجميع .

(٣) فتح قنوات التناصح والتواصي والتواصل بين الأفراد والقيادة بحيث لا تنعزل القيادة عن القاعدة ، وبحيث لا يكون التناصح امراً من الأعلى للأدنى بل من القاعدة للقيادة ايضاً ؛ تحقيقاً لمبادىء الشورى والتناصح ، وبحيث لا يكون التنظيم نفسه عائقاً دون حدوث ذلك .

(٤) ممارسة المساواة والعدالة في واقع العاملين للإسلام بصرف النظر عن قدراتهم ، وبحيث يتحقق العدل والمساواة في الفرص والأعباء ، والتكاليف والمهمات ، والنقد والمحاسبة ، والثواب والعقاب حتى تتوثق بذلك عرى العلاقات بينهم ، ويحس الفرد بأنه عضو نافع في المجتمع المسلم يحسّ به ويتفاعل معه لأنه كيانه وروحه .

(٥) وضوح الرؤية في المسؤوليات والتبعات ، ووظيفة كل فرد حتى لا تختلط الادوار ، وتهمَل المسؤوليات ، وتضيَّع التبعات ، وتختفي اسباب القصور أو النجاح ، وحتى يُحفظ للأفراد جهدهم وعطاؤهم وفضلهم وبذلهم ، وليكون ميزان التفاضل بالعمل الصالح وإخلاص النيَّة ، ونكران الذات ، والطمع فيما عند الله لا فيما عند الناس .

(٦) وضوح الرؤية في حقوق الأفراد على المجتمع المسلم ، والمجتمع المسلم على الفرد .

فحق الأفراد على المجتمع أن يعملوا بإخلاص ، ويطيعوا في معروف ، ويوجهوا في وعي ، ينقدوا بحجة ، ويصححوا ويقوِّموا المعوج ، ويبذلوا غاية جهدهم في تحقيق أهداف العمل الإسلامي ونجاحه ...

أما العمل الإسلامي فهو مطالب بمراقبة الأفراد وتوجيههم وتعليمهم ، وتدريبهم على مسؤولياتهم دون ان يذوِّبوا شخصياتهم في أي تجمع للعاملين ، ويمحو ذاتيتهم ، ويسلبوهم حرياتهم في النقد والتقويم بحجة حماية هذه التجمعات ، والمحافظة على اسرارها ونظامها ، فالحقوق كلها متوازنة لا يطغى حق على حق ، ولا يعتدي قوي على ضعيف ، ولا يُنْتَقص حق على حساب آخر .

بقلم : الشيخ عبد الفتاح أبو غدة

كثر في كلام أصناف من العلماء الكاتبين في عصرنا : فقهاء أو أصوليين ، محدِّثين أو مفسرين ، أدباء أو مؤرخين ، لغويين أو نحويين ... التساهل الفاحش في التعبير الممنوع شرعاً في جنب الله تعالى ، فيعبِّرُ بعضهم عن الله تعالى بأنه (قُوَّةٌ عليا ...) أو أنه (قوة خفية ...) ويعبر بعضهم عن الله تعالى بأن (له العصمة وحده) أو بأنه (لا عصمة إلا لله ولرسله ...) وأشباه ذلك من التعابير الخاطئة الممنوعة في شأن الله سبحانه

تعبيرات خاطئة

وقد مَرَّ بي خلال مطالعاتي من هذا التعبير الخاطىء المحظور : الشيء الكثير ، فهالتني كثرته ، وهالني انه وقع من اناس كبار في العلم ، ومن أناس ينظـرون إلى انفسهم أنهم معيـار الحق والعلم الصحيح ، ومن اناس يذكرون ذلك في كتب العقيدة في الله وصفاته سبحـانه ، ومـا يجوز في شـأن الله وما لا يجوز ... ومن أناس يريدون التعظيم والتبجيل لله تعالى ، فيخطئون في تعبيرهم عن الله ، ويقولون ما لا يجوز في جنبه سبحانـه ، ولا يفيد التبجيـل ولا التعظيم ، بل يوهم النقص والشَّبَهَ بالمخلوقات .

وفي هؤلاء الكاتبين من هم من شيوخ شيوخي الكبار رحمهم الله تعالى ، وفيهم من هم من أصدقائي الأوِدَّاء ومُحِبِيَّ الفضلاء ، فأنا أستميحهم العذر في بيان ما سبق به قلمهم ، وكبا به يراعُهم ، وما أظنهم يغضبون بل يفرحون بذلك ، فإنَّ صداقتهم عندي غالية ، وبيان الحق والصواب في التعبير عن شأن الله تعالى عندهم وعندي أغلى ، ووقوف طالب العلم على خطأ يتجنبه ، أغنم عنده جداً من وقوفه على فائدة جديدة لم يكن يعلمها ، فإن الاستمرار على الخطأ أشدُّ عاباً من فوات معلومةٍ لم يحصلها الإنسان .

فرايت أن أكتب هذا المقال ، واذكر تلك الأقوال ، تحذيراً من الخطأ ، وتبصيراً بالصواب ، وأبين بإيجاز وجه خطر تلك التعبيرات شرعاً ، ليزداد الأمر وضوحاً وتبصرة ، ومن الله سبحانه أستمد العون والسداد ، والتوفيق والرشاد ، وهو الهادي إلى السبيل القويم .

واقتصر في هذا المقال على بيان عبارتين خاطئتين فقط :

العبـــارة الأولى :

لا يجوز أن يقال عن الله تعالى : إنه (**قوة عليا**) أو (**قوة خفية**) أو (**قوة مدبرة**) وأمثال هذا ، لأن **(القوة)** صفة لا تستقل بنفسها وإنما تقوم بغيرها ، مثل **(العلم)** و **(الجلال)** و **(الإكرام)** و **(العِـزَّة)** فإن هذه الصفات لا تقوم بنفسها ، وإنما تقوم بذاتٍ تتصف بها .

فإذا قلنا : (**الله قوة**) اقتضى هذا التعبير الخاطىء أن الله تعالى ـ الذي يعبرون بتلك الصفة عنه ـ حالٌ في غيره ، وحاشا الله عن ذلك وتعالى علواً كبيراً ؛ وهذا القول خطأ فاحش شديد ، لو اعتقده معتقد لخرج من الإسلام بهذا الاعتقاد .

وقد قال الله سبحانه في القرآن الكريم في وصفه نفسه جل شانه :

﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ وقال :
﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ وقال :
﴿ **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ وقال :
﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾

فأضاف سبحانه هذه الصفات إلى نفسه وذاته .

وهذا وجه في المنع ، والوجه الثاني أن أسماء الله تعالى وصفاته سبحانه ، لا تقال إلا بتوقيف من قِبَلِ رسوله ﷺ ، **فلا يوصف الله تعالى إلا بما وَصَفَ به نفسه او وصفه به رسولُه عليه الصلاة والسلام .**

فلا يجوز ان يسمى الله : (مهندس الكون) بمعنى : خالق الكون ومبدعه ، وهو ـ بلا شك ـ خالقه ومبدعه ، ولا يجوز أن يسمى الله تعالى : (**مبرمج المخلوقات**) أي : منظمهـا ومسيرهـا ، وهـو ـ بلا ريب ـ قد نظم المخلوقات ضمن نظام بديع ، وتناسق مطرد رفيع :

﴿ **مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ** ﴾

فلا يوصف الله سبحانه إلا بما وَصَف به نفسه او وَصَفَه به رسولُه ﷺ .

والعبـــارة الثانية :

لا يجوز أن يقال في الله تعالى : **(معصوم)** أو **(له العصمة)** أو **(لا عصمة إلا لله ولرسوله)** ، ونحو هذه التعابير الخاطئة في جنب الله تعالى ، فإن **(العصمة)** إنما يوصف بها من يمكن أن يتأتى منه الخطأ أو المخالفة لولا أن الله منَّ عليه بها فيما عصمه منه .

فالرسول الكريم ﷺ يوصف بأنه **(معصوم)** أو **(له العصمة)** لأنه في حقيقته بشر ، يمكن أن يقع منه الخطأ أو المخالفة بمقتضى البشرية التي خلقه الله عليها ، إلا ان الله سبحانه قد أحاطه بحفظه ، وخصَّه بعنايته ووقايته ، حفظاً ورعايةً لذات النبي الكريم ، وسلامةً وصيانـة لشرعه ودينـه من الالتباس والاشتباه .

فالعصمة هي حفظ الله تعالى لأنبيائه ورسله الكرام عليهم الصلاة والسلام ، من الخطأ والزلل فيما يبلِّغونه عن الله تعالى من الشريعة والأحكام ، وحفظ ذواتهم وأشخاصهم من ان يميلوا إلى المخالفة والمعصية ...

قال الإمام الراغب الأصفهاني في كتابه « **مفردات القرآن** » في مادة (عصم) : « **عصمة الله تعالى الأنبياء** : حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر ، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ، ثم بالنصرة ، وبتثبيت اقدامهم ، ثم بإنزال السكينة عليهم ، وبحفظ قلوبهم ، وبالتوفيق ، قال الله تعالى :

﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ انتهى .

وقال العلامة الشوكاني في « **إرشاد الفحول** » في أصول الفقه ص٣٢ ، في مبحث (**عصمة الأنبياء**) : « **واختلفوا في معنى العصمة ، فقيل : هو ان لا يمكن المعصوم من الإتيان بالمعصية ، وقيل : هو ان يختصَّ في نفسه او بدنه بخاصية تقتضي امتناع إقدامه عليها ، وقيل : إنها القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية ، وقيل : إن الله منعهم منها بإلطافه بهم ، فصرف دواعيهم عنها ، وقيل : إنها**

■ محمد حسنين مخلوف ■

وقع في بعض التعبيرات الخاطئة

■ وقوف طالب العلم على خطأ يتجنبه أغنم عنده جداً من وقوفه على فائدة جديدة لم يكن يعلمها، فإنَّ الاستمرار على الخطأ أشد عاباً من فوات معلومة لم يُحَصِّلْها الإنسان ■

■ أحمد أمين ■

في كتابه «ظهر الإسلام» بلايا ورزايا بعضها فوق بعض من التعبيرات الخاطئة في جنب الله.

تهيئة العبد للموافقة مطلقاً، وذلك يرجع إلى خلق القدرة على كل طاعة» انتهى.

وقال **الحافظ ابن كثير** في (تفسيره ٤ : ٣٣١) في سورة الإسراء عند الآية ٧٣ - ٧٤ في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً، وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴾ ما يلي: **«يخبر الله تعالى عن تاييده رسوله صلوات الله عليه وسلامه، وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفُجّار، وانه تعالى هو المتولي امره ونصره، وانه لا يكله إلى احد من خلقه، بل هو وليُّه وحافظه، وناصره ومؤيده، ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالَفَه وناواه في مشارق الأرض ومغاربها، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين»**. انتهى.

ومن هذا يتبين أن (**العصمة**) إنما تكون من الله لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، يعصمهم الله ويحفظهم من الوقوع في المعصية والذنب، وَيَقِيهِمْ الأذى والزلل، فالله تعالى هو العاصم، والمعصوم هم الرسل والأنبياء، والمعصوم منه هو ما لا يليق شرعاً بمكانة المعصوم.

وبهذا يتضح لك أنَّ (**العصمة**) لا تقع على الله، وإنما تقع من الله على من عصمه من عباده، وأن الله (**عاصم**) وليس (**بمعصوم**)، فإذا قال قائل: (**لله العصمة**) أو (**الله المعصوم**) أو (**لا عصمة إلا لله**)، فقد وصف الله بما لا يجوز وصفه به.

ويقال لقائل هذه الألفاظ: (**العصمة لله**) وأمثالها: من يعصم الله سبحانه؟! وممَّ يُعصم سبحانه؟! وما الذي كان يمكن أن يقع منه سبحانه حتى عُصم منه؟!

ومن هذا الذي أسلفته تتجلى لك شناعة هذا التعبير، وفحش خطئه، وشدة محظوريته، وانه لا يليق بالله تعالى، ولا يفيد تعظيماً له ولا تبجيلا.

ومأتى الخطأ واستساغته في العبارة الأولى والثانية - في أغلب من سأورد كلامهم - غفول الذهن عن ملاحظة مدلول اللفظ وما يلزم منه، والاسترسال مع ما طفا على ذهن الكاتب، تكرار لتأكيد اللفظ: طفا بالفاء أخت القاف فاستحسنه واستجمله ولم ينتبه لما فيه من نبوة فاحشة عما يليق وصف الله تعالى به، ومأتاه في بعضهم: الجهل بشطط ما يعبِّر به في جنب الله عن جادة الشرع والأدب مع الله تعالى، فقال ما قال وهو يظن بنفسه أنه عبَّر بما فيه الإجلال لله والتعظيم، والتنزيه والتكريم، وكان الأمر بخلاف ما قال وأراد.

وبعد هذا البيان الموجز حول العبارتين السابقتين أُورد الأقوال التي وقعت شاذة عن الجادة، نابية عن الصواب، معزوَّة إلى مصادرها وقائليها، والله الموفق لا رَبَّ سواه.

١ - جاء في كتاب «**في ظلال القرآن**» للأستاذ **سيد قطب** رحمه الله تعالى، في الجزء (٦ : ٣٨٠٤ - ٣٨٠٦) في (**سورة النبا**)، قوله: «**وجعْلُ الأرض مهاداً للحياة شاهدٌ لا يمارى في شهادته بوجود العقل المدبر من وراء هذا الوجود الظاهر**». انتهى قوله، ولا يجوز إطلاق (**العقل**) على الله تعالى، فالعقل - وهو ملكة في النفس الإنسانية تستعد بها للعلوم والإدراكات - إنما يمنحه الله للإنسان، والإدراك يتكون من تجارب متعددة... فالله جل شانه: **منزَّه عن الوصف بمثل هذا**! وغفر الله لسيد قطب هذه الغلطة وأمثالها في كتبه.

ثم قال:

«... هنالك التأمل في **القدرة المدبِّرة** التي تجعل من نطفة ذكراً، وتجعل من نطفة أنثى، بدون مميِّز ظاهر في هذه النطفة أو تلك... اللهم إلا إرادة **القدرة الخالقة** وتدبيرها الخفي، وتوجيهها اللطيف، وإيداعها الخصائص التي تريدها هي لهذه النطفة أو تلك، **لتخلق** منهما زوجين تنمو بهما الحياة وترقى... فهذا الثُّبات سر من أسرار القدرة الخالقة... وخرج هذا وهذا من يد **القدرة المبدعة المدبرة** متسقاً أدق اتساق... ومن بعد هذه وتلك **يد القدرة التي تودع الكون هذه المؤثرات**». انتهى!

وهذه العبارات وأمثالها تكررت في كتاب «**في ظلال القرآن**» كثيراً كثيراً!!

٢ - وجاء في كتاب «**العقيدة في ضوء الكتاب والسنة**» في الجزء الأول منه «**العقيدة في الله**» للأستاذ عمر سليمان الأشقر، في الصفحة ١٠١، في أثناء الحديث عن (**الخلايا**) التي في الجسم، ما يلي: «**العَدَدُ الأصلي (للكروموسومات) في الخلايا**، لا يمكن مطلقاً أن يكون نتيجة مصادفة عمياء، بل لابد أن يكون نتيجة تخطيط دقيق من **قوة عليا** تعرف ماذا تفعل... ألا يكفي هذا وحده دليلاً على وجود **قوة عليا** مدبرة مقدرة حكيمة» نقله الأستاذ عمر سليمان الأشقر عن الدكتور يوسف عز الدين، وارتضاه وأقره على هذا التعبير في كتاب «**العقيدة في الله**»!

٣ - وجاء في أول رسالة «**الكون يشهد بوجود الإله**» **للإمام علامة الهند محمد قاسم النانوتوي**، التي ترجمها عن الأوردية إلى العربية الأستاذ بدر الحسن القاسمي ص ٢ - ٣ ما يلي: «... وراء هذا الكون **قوة مدبرة**، فهذا الكون الهائل الضخم.. كيف يمكن أن يوجد من غير أن تكون وراءه يد مدبرة **وقوة عليا مسيطرة**». انتهى! وهذه الرسالة مترجمة من الأوردية إلى العربية، وارجح أن هذا التعبير من قلم المترجم لا من قلم مؤلف الرسالة، فإنه معروف بالدقة والنباهة والإمامة في العلم، لا تخفى عليه نكارة هذا التعبير!

٤ - وجاء في كتاب «**الأخلاق**» للأستاذ **أحمد أمين** صاحب كتاب «**فجر الإسلام**» و «**ضحى الإسلام**» و «**ظهر الإسلام**» في ص٩٩ من الطبعة الأولى أو الثانية، وفي الطبعة الثالثة المطبوعة بمصر أيضاً، ثم طبعت ثانية في بيروت سنة ١٩٦٩م، طبعتها دار الكتاب العربي، جاء فيها في الصفحة ١٨٥، تحت عنوان: (**أهم الواجبات الوطنية: الواجبات على الإنسان لله**)، قوله:

«**في العالم قوة خفية تحركه وتدبر شؤونه**، وهي علة وجوده وبقائه، **هذه القوة هي الله** رب العالمين، لهذه **القوة** نحن مدينون بكل شيء لنا: بحياتنا وبصحتنا وبحواسنا وبكل ملاذِّ الحياة وصنوف النعيم». انتهى قول **أحمد أمين**!! وفيه بلايا ورزايا بعضها فوق بعض!!

٥ - وجاء في كتاب «**التزام التبرعات في الشريعة الإسلامية**» للأستاذ العلامة الكبير والفقيه النابه القدير **الشيخ احمد إبراهيم إبراهيم**، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد، المنشور مجزءاً في (**مجلة القانون والاقتصاد**) بمصر سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣م، في السنة الثانية في العدد الخامس ص٦١٨، قوله رحمه الله تعالى:

«... **ولا وجود لهذا الحديث في كتب الحنفية، والعصمة لله وحده ثم لرسله الكرام**» انتهى قوله!

تعبيرات خاطئة

■ سيد قطب ■
أطلق كلمة العقل على الله تعالى ! وهو ملكة في النفس يمنحها الله للإنسان .

وما معنى كلمة : (وحده) إذ قال بعدها : (**ثم لرسله الكرام**) ؟! وإنما هو الذهول والغفلة !

٦ ـ وجاء في مقدمة **الدكتور محمد حميد الله** لكتابه **« مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة »** ، في مقدمة الطبعة الثانية ، والموجودة مع الطبعة الثالثة أيضاً ، في ص٨ قوله : **« فالإنسان مركب بالخطأ والنسيان ، ولا كمال ولا عصمة إلا للعليم الرحمن »** انتهى قوله ! وهذا الحصر في قوله : (**ولا عصمة إلا للعليم الرحمن**) يفيد نفي العصمة عن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهو غير مراد له قطعاً .

٧ ـ وجاء في آخر **« القاموس المحيط »** في كلمة الختام للعلامة اللغوي المحقق **الشيخ مصطفى عناني** ، مصحح **« القاموس المحيط »** للفيروز آبادي ، في طبعته التي طبعت سنة ١٣٣٢هـ بالقاهرة ، ثم صوِّر عنها في الطبعات الكثيرة التي تلتها ، جاء في آخر الجزء الرابع ص٤٢٠ ، قوله رحمه الله تعالى : **« وقد عني بعض المولعين بإحياء اللغة العربية بطبعه ، بيد أن العصمة لله وحده ، فقد ندَّ عن حرصهم شيء ، وخفيت عليهم أشياء »** . انتهى قوله ! ويلزم من قوله : (**العصمة لله وحده**) نفيها عن الرسل الكرام ، وهو لم يقصد ذلك بلا ريب .

٨ ـ وجاء في خاتمة تعليق الأستاذ **علي محمد البجاوي** ، على آخر الجزء الرابع من كتاب **« تبصير المنتبه وتحرير المشتبه » للحافظ ابن حجر العسقلاني** ، قول الأستاذ **البجاوي** : « ونسأله تعالى أن يغفر لنا ما كان من زلل ، فالعصمة لله وحده » . انتهى قوله ! وفيه أن قوله (**فالعصمة لله وحده**) يفيد سلبها عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهو لم يقصد ذلك .

٩ ـ وجاء في تعليق الأستاذ **الدكتور محمد الاحمدي ابو النور** أستاذ الحديث الشريف بجامعة الأزهر في كلية أصول الدين ، على كتاب **« الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب » لابن فرحون المالكي** ، ١ : ٦٦ **قوله : « ... لكن خطا الناسخ لا يُبرِّرُ خطا الناقل ، والعصمة لله وحده »** انتهى ! ويلزم من قوله : (**والعصمة لله وحده**) نفيها عن الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهو لم يقصد ذلك .

١٠ ـ وجاء في آخر (**المصحف المعلَّم**) ص٥٥٢ ، المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٩١هـ ، بقلم طابعه **محمود محمد عبد الرحمن** ، قوله في آخر كلمته التي هي بعنوان : (رجاء من مطابع دار المصحف) : **« ... فالعصمة والكمال لله ، وهو ولي التوفيق »** .

١١ ـ وجاء في **« الموسوعة الفقهية »** ، التي أصدرتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ، في الجزء الأول ص٧ من الطبعة الأولى ، في مقدمة الوزارة للموسوعة ما يلي : **« هذا ، وإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، لترحب بكل نقدٍ بنَّاء يرد إليها ، وتعد ان يكون هذا النقد محل دراسة وتمحيص ، لأن العصمة لله وحده »** . انتهى ! ثم عُدِّلت العبارة في الطبعة الثانية لهذا الجزء إلى (**لأنَّ الكمال لله وحده**) تبعاً لتنبيهٍ من كاتب هذه السطور إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المذكورة .

١٢ ـ وجاء في مقدمة الجزء الرابع لكتاب **« تكملة المعاجم العربية »** لدوزي ، التي كتبها مترجمها إلى العربية **الدكتور محمد سليم النعيمي** ، العراقي ، قوله : **« ... فإني ارجو ممن وقف فيه على خطا ان ينبهني إليه ، وان يرشدني إلى موضع الصواب منه ، فالعصمة لله وحده »** . انتهى ! وفيه من الخطأ ما سبق التنبيه إليه .

١٣ ـ وجاء في مقدمة الأستاذ **وهبي سليمان غاوجي الألباني** ، التي كتبها للتفسير الذي يُدعى : **« من نسمات القرآن »** للأستاذ **غسان حمدون** ، المطبوع بدمشق سنة ١٣٩٦هـ ، قول الأستاذ وهبي : « ... قرات جميع ما كتبه بين دفتي هذا الكتاب من التفسير ، فرأيت ما كتبه ... صدقاً وصواباً .. على قدر ما راجعت وفهمت ، **والعصمة لله وحده ولرسوله** ﷺ بحفظه سبحانه » انتهى قوله ! وكيف ينسجم ويتسق قوله هنا : (**لله وحده**) **مع قوله أيضاً** (**ولرسوله** ﷺ) ؟! فما مدلول **(وحده)** ؟ وإنما هو الذهول والغفلة التي لا يخلو منها الإنسان .

١٤ ـ وجاء في كتاب **« أركان الإيمان »** للأستاذ **وهبي سليمان غاوجي الألباني أيضاً** ، ص٢٩٨ قوله : « ... ولكن العصمة لا تكون إلا لله تعالى ولرسله عليهم الصلاة والسلام » انتهى !

١٥ ـ وجاء في **مجلة الدعوة المصرية** ، في العدد ٥٦ ، صفر ١٤٠١هـ (ديسمبر) ١٩٨٠م ، في الصفحة ٤٦ ، تحت عنوان (**انتشار الاستبداد في العالم الإسلامي لماذا ؟**) جاء فيه ما يلي : **« يقول الدكتور محمد بلتاجي رئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم : إن الاستبداد لا يمكن ان يقوم في ظل نظام إسلامي حقيقي ، والسبب في ذلك ان الإسلام يسلب التشريع والعبادة من اي إنسان ، كما انه لا يعطي العصمة لأحد إلا الله ورسوله ، وما عدا ذلك فكل إنسان يخطىء ويصيب »** ، انتهى قوله ! وفي إسناده وقوله : (**إن الإسلام يُعطي الله العصمة**) بشاعة ظاهرة !

١٦ ـ وجاء في مقدمة الأستاذ **ناصر الألباني** لكتاب **« شرح عقيدة الطحاوي »** في الطبعة الرابعة ص٢٧ ، قوله : « ... لما سَبَقَ ذكره من أن العصمة لله وحده » انتهى قول الألباني ! ويفيد قوله : (**العصمة لله وحده**) نفي العصمة عن الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ! وهو لا يقصد ذلك .

١٧ ـ وجاء في مقدمة الأستاذ **ناصر الألباني** أيضاً ، لكتاب **« رياض الصالحين » للإمام النووي** ، في الصفحة (س) قوله في السطر الأول منها : « ... تتابع النسخ على الخطأ ، والعصمة لله وحده » انتهى ! ويلزم من قوله هذا : نفي العصمة عن الرسل الكرام ، وهو لا يريده .

١٨ ـ وجاء في المقدمة نفسها والصفحة نفسها أيضاً في السطر ١٨ ، قول **الألباني أيضاً** : « فما كنت لأظن أن المؤلف رحمه الله يتابعهم على ذلك ، والعصمة لله » انتهى !

١٩ ـ وجاء في ختام كتاب **« دراسات لأسلوب القرآن الكريم »** للأستاذ **الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة** ، في آخر القسم الثالث ، في الجزء الرابع منه ص٦٤٩ ، قوله : « ولست أزعم أني لا أخطىء ، فإن العصمة لله وحده » انتهى قوله ! ويلزم منه نفي العصمة عن الرسل الكرام ، وهو لا يقصد ذلك .

٢٠ ـ وجاء في آخر كتاب **« بلوغ السُّول في مدخل علم الأصول »** لشيخ شيوخي **الإمام الأصولي المحقق شيخ شيوخ الأزهر محمد حسنين مخلوف** رحمه الله تعالى ، في ص٢٠٨ ، قوله : « ... ومع ذلك فالعصمة لله ولرسوله ﷺ ... » انتهى !

٢١ ـ وجاء في مقدمة **« منال الطالب في شرح طوال الغرائب »** لابن الأثير المحدِّث ، الذي حققه الأستاذ **الدكتور محمود محمد الطَّناحي** ، وطبعه مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في كلية الشريعة بمكة المكرمة ، جاء فيها قول **الدكتور الطناحي** في الصفحة الخامسة : وقد أحسن محققًا الكتاب ... وإن فاتهما بعض الكلمات ، والعصمة لله وحده » انتهى قوله ! ويلزم منه نفي العصمة عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهو لا يريده .

٢٢ ـ وجاء في المقدمة نفسها أيضاً ، في الصفحة ٢٩ ، قول **الدكتور الطناحي** أيضاً : « ومهما يكن من أمر ، فابن الأثير بَشَرٌ ... وسبحان من تفرد بالعصمة وتنزه عن النقصان » انتهى ! ويلزم من قوله : (**تفرد بالعصمة**) انتفاء العصمة عن الرسل والأنبياء ! وهو لا يريد ذلك .

٢٣ ـ وجاء في كتاب **« اغاليط المؤرخين » للدكتور محمد ابو اليسر عابدين مفتي الجمهورية السورية** رحمه الله تعالى ، قوله في ص٢٠٤ « ... ولكن قضى الله له ـ أي لسعيد بن جبير ـ بالشهادة ، إعلاءً لمكان وليِّه ، ليكون عبرة للغير ، وليبوءَ هذا الأمير ـ يعني الحجاج بن يوسف الثقفي ـ بإثمه ، وهو متأول ، والعصمة لله وحده » . انتهى !

ولديَّ عبارات أخرى من هذا النمط لعلماء آخرين ! رأيت الاكتفاء بهذه الأمثلة عن إيراد عباراتهم خشية التطويل ، وارجو أن يكون في هذه النماذج التي أوردتها ، كفاية لإمساك الكاتبين عن هذه التعابير الخاطئة المحظورة شرعاً في جنب الله تعالى ، والله ولي الهداية والتوفيق .

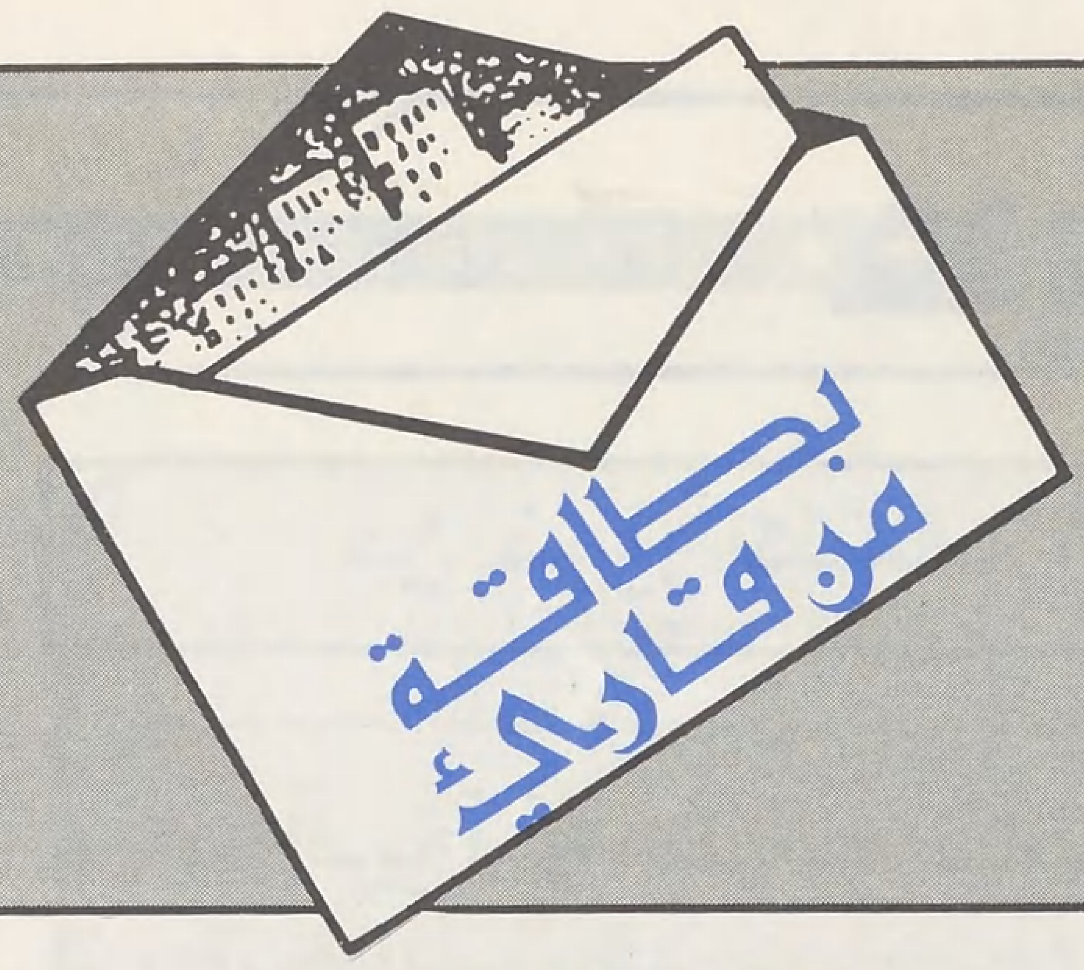

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلّ ودل □

سقوط الماركسية في الصين

□□ [... إن أعمال وأفكار كارل ماركس صاحب الأيديولوجية الشيوعية باتت بالية ، ثم إنَّ « كارل ماركس » مات قبل مائة عام وعام .. ولقد حدثت تغييرات هائلة في العالم منذ الفترة التي تشكلت فيها أفكاره .

إن أفكار « كارل ماركس » لم تعد ملائمة لواقع اليوم ؛ فلم يحدث أن كانت له تجربة بزماننا .. وليس الأمر مقصوراً على « كارل ماركس » وحده ، بل تجاوز هذه الأفكار إلى مواقف ومبادىء آخرين من دعاة الشيوعية ، فلم يحدث أن خبر « لينين » و « انجلز » زماننا ومشكلاتنا أيضاً .. وأفكارهم لم تعد صالحة لعلاج مشاكل اليوم .. ولم يحدث أن واجهوا المشاكل التي نواجهها اليوم .. وهكذا فليس باستطاعتنا ان نستخدم مؤلفاتهم الضخمة بحثاً وراء حل مشاكلنا الراهنة] ..

[... إن العصور تتغير ، والأفكار تتغير وفقاً لروح العصر ومقتضاه ـ وخصوصاً في الجانب الاقتصادي ـ لصالح الملايين من الجماهير الكادحة المطحونة والتي تتطلع منذ سنوات طويلة للرخاء والكفاية التي تتمتع بها الشعوب من حولهم . وإذا أبقينا على استخدامنا لمبادىء الماركسية فلا مناص من ان تتعطل مسيرة التطور التاريخي عندنا] .. □□

جريدة [الشعب] الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الصيني

القارىء : عبد القديم محمد ـ الأردن

وكالة للغوث أم وكالة لماذا ؟

□□ ما يحدث في وكالة الغوث ـ وبالتحديد في مدارس الوكالة ـ أمر يتجاوز مهام هذه الوكالة وصلاحياتها .. فما معنى أن تصدر فرماناً تمنع بموجبه المعلمين من توعية طلابهم بحقيقة قضيتهم وحقيقة الهجمة الصهيونية على وطنهم تحت شعار مهذب هو عدم بث (الروح العدائية) ضد دولة عضو في الأمم المتحدة ... ألا يعني هذا أن الوكالة تتجاوز مهامها الإنسانية وتدخل طرفاً في (الصراع السياسي) ؛ وبالتالي تقوم بدور غير منوط بها ، يهدف إلى طمس فلسطين من الذاكرة الفلسطينية ؟ □□

عن صحيفة [الدستور] الأردنية

القارىء عامر عبدالفتاح

الدوحة ـ قطر

الواقع الذي يفرض نفسه

□□ إن العزلة عن الحكومات أصبحت مستحيلة ، ومن ثم فإن آثار الحكومات في إضعاف الأخلاق وتقويتها لا يمكن تجاهلها ولا الإفلات منها .. ففي ظل النظام الشيوعي حتم أن يُدرّس الإلحاد للأولاد ، وفي ظل النظام العلماني حتم أن يشب الأولاد في ظل تساوي الأضداد ؛ من إيمان وإلحاد وتبرج واحتشام . وفي ظل بعض النظم تفشو المكاسب الحرام ، أو تنتشر الرشوة والغش ..

فكيف تنفصل النظرة الأخلاقية عن النظرة السياسية !؟ وكيف توضع مقاييس أخلاقية لا ارتباط لها بالواقع الذي يفرض نفسه !؟ □□

عن كتاب : « الدعوة الإسلامية تستقبل قرننا الخامس عشر »

للشيخ محمد الغـزالي القارىء : حسني الجزار ـ بيروت

شريعـة الأمـن

□□ لقي الاتجاه إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان ترحيباً عظيماً من قطاعات الشعب السوداني كافة ، ونعم الناس بالنوم المريح الهادىء وأبوابهم مفتوحة ، وأمكن للنساء المشي بأمان في الشوارع دون إزعاج أو مضايقات ، والرجال ينفقون وقتهم ومالهم مع أسرهم بدلاً من الشراب ، ويسود شعور تام بالأمان الذي ظل مفقوداً لسنوات طويلة ..

أما الذي يحدث في الجنوب فهو مخطط لإثارة عدم الاستقرار من أجل تطويق حقول البترول . □□ [النور الإسلامي] عن الإيكونومست

القارىء : الخضري عبد المنعم ـ مصر ـ الشرقية

السيطـرة الإعلاميـة

□□ إذا كان الإعلام الغربي يسيطر على الساحة الإعلامية الدولية ويبثها تصوراته غير الصحيحة عن الإسلام والمسلمين بقصد اغتيال الشخصية الإسلامية لدى المسلمين أنفسهم وعند غير المسلمين ، فإن هذا الإعلام غير الإسلامي يبذل جهداً كبيراً لتشويه هذه الصورة في بلاده حتى لا تجيء صرخة الاحتجاج من الداخل .

فالولايات المتحدة .. لديها من الصحف اليومية وحدها ما يفوق عدد الصحف والمجلات التي تصدر في دول العالم الإسلامي مجتمعة ؛ إذ تصدر فيها (١٧٦٠) صحيفة يومية بالإضافة إلى (١٠٠ ١٠) صحيفة غير يومية ، وجملة توزيع هذه الصحف يبلغ (١٠٠ ٥١٠ ٦٥) نسخة بالنسبة للصحف اليومية . و (٠٠٠ ٨٣٤ ٧٩) نسخة للصحف غير اليومية . ويصل عدد توزيع النسخ لكل ألف شخص (٣١٤) نسخة من الصحف اليومية ، و (٣٨٢) للصحف غير اليومية . وفي الوقت نفسه نجد أن عدد الصحف في المجتمع الإسلامي في دول آسيا وأفريقيا تقريباً (١٧٠٠) صحيفة توزع (٢٠) مليون نسخة فقط يومياً ، بمعدل (١٧) لكل ألف شخص . □□ عن صحيفة [الشرق الأوسط]

القارىء : عبده السلاموني ـ مصر

حديقة الأمـــة

من نـــور كتـــاب الله

﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد . الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ، والله واسع عليم ﴾ (البقرة : ٢٦٧ : ٢٦٨)

خـــير الأمـــراء

سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب عن سعد ، قال : كيف أميركم ؟

قال : خير أمير ، نبطي في حبوته ، عربي في نمرته ، أسد في تامورته (عرينه) ، يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، وينفر في السرية ، وينقل إلينا حقًّا كما تنقل الذرة . . .

[البيان والتبيين]

الكتـــــــاب

دخل الرشيد على المأمون ، وهو ينظر في كتاب ، فقال : ما هذا ؟ قال : كتاب يشحذ الفكرة ويحسن العشرة . فقال الرشيد : الحمد لله الذي رزقني من يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه .

وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك ؟ فقال : هي إن خلوت لذتي ، وإن اهتممت سلوتي ، وإن قلتَ : إن زهر البستان ونور الجنان يجلوان الأبصار ويمتعان بحسنهما الألحاظ ؛ فإن بستان الكتب يجلو العقل ، ويشحذ الذهن ، ويحيي القلب ، ويقوي القريحة ، ويبعث نتائج العقول ، ويستثير دفائن القلوب ، ويمتع في الخلوة ، ويؤنس في الوحشة ، ويفيد ولا يستفيد ، ويعطي ولا يأخذ ، وتصل لذته إلى القلب من غير سآمة تدركك ولا مشقة تعرض لك .

[زهر الآداب]

أنت إلى هـذا أحوج

سئل الفضيل بن عياض رحمه الله عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص ويزهد ؟ فقال : ما للزهد وأكل الخبيص ؟ ليتك تأكل وتتقي الله ، إن الله لا يكره أن تأكل الحلال إذا اتقيت الحرام ، انظر كيف برك بوالديك ، وصلتك للرحم ، وكيف عطفك على الجار ، وكيف رحمتك للمسلمين ، وكيف كظمك للغيظ ، وكيف عطفك عمن ظلمك ، وكيف إحسانك إلى من أساء إليك ، وكيف صبرك واحتمالك الأذى ، أنت إلى إحكام هذا أحوج من ترك الخبيص . . .

[المستطرف من كل فن مستظرف]

غـــش الرَّعيَّـــة

روى البخاري في «صحيحه» من حديث مَعْقِل بن يَسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من عبدٍ يَسترعيه الله رعية فلم يُحِطْها بنصحه ، لم يجد رائحة الجنة » و « ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموتُ وهو غاشٌ لهم إلاَّ حرم الله عليه الجنة » .

وروى مسلم في «صحيحه» : « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلاَّ حرم الله عليه الجنة » .

متى يكون الرجل عالماً

لا يكون الرجل عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال :

- لا يحقر من دونه في العلم .
- ولا يحسد من فوقه في العلم .
- ولا يأخذ على علمه ثمناً .

وقال بلال بن أبي بردة :

لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا
أحسن ما تسمعون منا .

وقال الخليل بن أحمد :

اعمل بعلمي وإن قصرتُ في عملي
ينفعك علمي ولا يضرك تقصيري

[جامع بيان العلم وفضله]

أَسْـــــــــرَعوا ... وَأَبْطَـــأتُم

رُوي عن الحسن أنه قال : حضر الناس باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن الحارث . . . فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر ، لصهيب وبلال . . . وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم .

فقال أبو سفيان : ما رأيت كاليوم ، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا ؛ فقال سهيل ـ قال الحسن : ويا له من رجل ما كان أعقله ـ : أيها القوم ، قد أرى الذي في وجوهكم ، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم ، دعي القوم ودُعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم ، أما والله لَما سبقوكم به من الفضل أشدُّ عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تتنافسون عليه . . . إن هؤلاء قد سبقوكم بما ترون ، ولا سبيل لكم إلى ما سبقوكم إليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى أن يرزقكم الله الشهادة . . . ثم نفض ثوبه فقام فلحق بالشام ، وخرج بأهله ، فماتوا كلهم إلاَّ هنداً وفاختة بنت عتبة بن سهيل ، وقُتل سهيل شهيداً باليرموك ، فقدم بفاختة على عمر ، وكان الحارث بن هشام خرج بأهله فلم يرجع منهم إلاَّ ولده عبد الرحمن ؛ فقال عمر : زوجوا الشريد الشريدة ، وأقطعهما عمر بالمدينة خطة وأوسع لهما ، فقيل له : أكثرت لهما . فقال : عسىٰ الله أن ينشر منهما ولداً كثيراً ، رجالاً ونساء . . . فولد لهما أبو بكر وعمر وعثمان وعكرمة وخالد ومخلد ؟ فأبو بكر أحد الفقهاء السبعة ، فقهاء المدينة ، وكان يدعىٰ : راهب قريش . . .

[كتاب التوابين للمقدسي]

الحكمة ضالة المؤمن

سمع الشعبي الحجاج بن يوسف الثقفي ، وهو على المنبر ، يقول :

أما بعد ، فإن الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يغرنكم شاهدُ الدنيا عن غائب الآخرة ، وأقصروا من الأمل لقصر الأجل . . . فأخرج ألواحه وكتب . . . وقد روي ذلك عن سفيان الثوري .

وسُمع إبراهيم بن هشام وهو يخطب على المنبر ، ويقول :

إن يوماً أشاب الصغير ، وأسكر الكبير ، ليوم شره مستطير .

[زهر الآداب]

العقـــل والأدب

قـال بعض البلغـــاء :

الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب ، لأن من أساء أدبه ضاع نسبه ، ومن قل عقله ضلَّ أصله .

وقال بعض الحكماء : الأدب صورة العقل ، فصور عقلك كيف شئت .

العقل بلا أدب كالشجر العاقر ، ومع الأدب كالشجر المثمر . [أدب الدنيا والدين]

أمهـــات

يقال : أم القِرىٰ للنار ، وأم النجوم للمجرَّة ، وأم خِنَّوْرٍ للدنيا وهي من كُنىٰ الضبع ، وأم الطعام للحنطة ، وأم عامر للضبع ، وأم عوف للجرادة ، وأم طلحة للقملة ، وأم ملدم للحمىٰ ، مأخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر ؛ وأم الخلِّ للخمر ، وأم عبيد للمغارة ، وأم شملة للشمس لأنها تشمل الخلق بطلوعها ؛ وأم جابر للسنبلة ، وأم الندامة للعَجَلَة ، وأم الفضائل للعلم ، وأم الرذائل للجهل .

[ثمار القلوب للثعالبي]

جميـــل العـــزاء ...

دخل عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عروة بن الزبير وقد قطعت رجله ، فقال له عيسى : والله ما كنَّا نعدك للصراع ، ولقد أبقى الله لنا أكثرك ، أبقى لنا سمعك وبصرك ، ولسانك وعقلك ، ويديك وإحدى رجليك . . .

فقال له عروة : والله يا عيسىٰ ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به . . .

[البيان والتبيين]

تجديد القديم .. وتقويم الجديد

■■ برزت دراسات نقدية بسبب غموض انتماء الشعر الحديث ، ودراسات أخرى لغموض ذات الشعر . ولأن الشعر ما يزال غامض الانتماء فهذه جولة سريعة في هدف مسيرة الشعر المعاصر ، موالي الشرق فتحوا باب التجديد الشعري ، ذلك لوجود ازدواجية ثقافية ، ولجهلهم بأسرار جمال اللغة العربية ، ولكن مع الاندماج الثقافي والتمكن الإسلامي بنفوسهم توقفت حركة التجديد وإن كانت عائمة فوق مد وجزر هادىء .

أما موالي الغرب فقد سبقوا بمدهم وجزرهم تجديد الشرق ، فجاءت « الموشحات » .. ذلك لظروف بيئتهم وكثرة المستعربين .. هذا التجديد ضمن الإطار الشعري العربي ■■

وفي العصر الحديث عادت موجة التجديد بعد البارودي لمجاراة اختلاف العصر ، ولمرور مرحلة من الزمن ابتعدت فيها اللغة الفصحى وتغربت النفس عن ماضيها .

ومن أوائل المجددين مدرسة الديوان (العقاد وشكري والمازني) والتي نادت بضرورة الوحدة العضوية للقصيدة وضرورة العيش ضمن الواقع .

ونادت حركة « **أبللو** » بتنويع القافية والمزاوجة بين التفعيلات ، ولم يترك الشعراء المجال للنقاد . فقد طالب بعضهم بالتجديد كحافظ إبراهيم القائل :

وَمَلَّتْ بَناتُ الشِّعْرِ مِنّا مواقِفاً
بِسِقْطِ اللِّوى والرَّقْمَتَيْنِ ولَعْلَعِ
وَأَقْوامُنا في الشَّرْقِ قدْ طالَ نومُهُمْ
وما كانَ نومُ الشِّعْرِ بالمُتَوَقَّعِ
عَرَفْنا مَدىٰ الشَّيءِ القديمِ ، فَهَلْ مَدىً
لِشَيءٍ جديدٍ حاضِرِ النَّفْعِ مُمْتِعِ ؟

وفي قصيدة أخرى يقول شاعر النيل حافظ مخاطباً الشعر :

ضِعْتَ بينَ النُّهى وبَيْنَ الخيالِ — يا حَكِيمَ النُّفوسِ يا ابْنَ المَعالي
ضِعْتَ في الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ هُجودٍ — لَمْ يُفيقوا وَأُمَّةٍ مِكْسالِ
وَنَسيبٍ وَمِدْحَةٍ وَهِجاءٍ — وَرِثاءٍ وَفِتْنَةٍ وَضَلالِ
فارْفَعوا هذِهِ الكَمائِمَ عَنّا — وَدَعونا نَشُمَّ ريحَ الشَّمالِ

هذه دعوة واضحة للتجديد .. ولكن حافظ إبراهيم ممن يقولون ولا يفعلون ، إنها مجرد دعوة أو هي تجديد « **محلك سر** » . وفي العراق نادى الزهاوي بالتجديد ، وليس غريباً منه وهو المناصر للجديد لجدّته والقائل :

سَئِمْتُ كُلَّ قديمٍ عَرَفْتُهُ في حياتي
إنْ كانَ عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنَ الجديدِ فَهاتِ

وقال في جمود الشعر :

جَمَدَ الشِّعْرُ في النِّهايَةِ حَتَّى — قُلْتُ يَقْضي عَلَيْهِ هذا الجُمودُ
ثُمَّ إنِّي بَعَثْتُهُ بَعْدَ أنْ كا — نَ صَريعاً بالنَّفْسِ مِنهُ يَجُودُ

تجديد الزهاوي ثورة ضد الغريب وجزالة الأسلوب .. ثورة أوصلته أحياناً إلى اقتناء الكلمات المبتذلة ، والزهاوي لا يرى عيباً في قليله المبتذل ويعتبر هذا تبسيطاً .. ويفتخر بأنه رائد التبسيط الشعري ، يقول :

لَمْ يَكُنْ مَبْدَأُ البَسا — طَةِ في الشِّعْرِ مُعْلَنا
أنا مِنْ بَعْدِ أَعْصُرٍ — أنا أَعْلَنْتُهُ أنا

وهناك تجديد مقبول بل مطلوب كتجديد الشاعر معروف الرصافي الذي ترك قديم الألفاظ وعني بالفكرة بأسلوب سهل :

لَسْتُ بالشَّاعِرِ الذي يُرسِلُ اللَّفْـ......ـظَ جُزافاً لِكَيْ يُصيبَ جِناسَه
أنا لا أَبْتَغي مِنَ اللَّفْظِ إلَّا — ما جَرى في سُهولَةٍ وَسَلاسَه

وفي قصيدة أخرى يقول معروف الرصافي :

طابَقَتْ لَفْظِيَ بالمَعْنى فطابَقَهُ
خُلْواً مِنَ الحَشْوِ مَمْلوءاً مِنَ العِبَرِ
وَأَجْوَدُ الشِّعْرِ ما يَكْسوهُ قائِلُهُ
بِوَشْيِ ذا العَصْرِ لا الخالي مِنَ العُصُرِ

لكنه رفض التجديد في الشكل قائلاً :

بقلم : صالح عبد الله الغيري

في الشعر المعاصر

■ في العراق .. وعلى صفحات جريدة « صدى بابل » لداود صليوه (يهودي) .. في العشرينيات ، ارتفعت الدعوة إلى الشعر المرسل ، وكانت القصائد الأولى لشعراء مجهولين ، توارت أسماؤهم خلف الرمز ؛ حتى لا تنكشف أهدافهم .. ثم تتابعت من بعد ذلك الدعوة إلى الشعر الحر ؛ تقليداً لاتجاه « ويتمان » الأمريكي وغيره .. من شعراء الغرب ..

هُوَ الشِّعْرُ لا أَعْتَاضُ عَنْهُ بِغَيْرِهِ وَلا عَنْ قَوافيهِ ولا عَنْ فُنونِهِ
فَلَوْ سَلَبَتْنيهِ الحَوادِثُ في الدُّنا لما عِشْتُ أو ما رُمْتُ عَيْشاً بدونِهِ

وفي المهجر تمسكوا بالشعر .. لا يريدون أن يفقدوا الوطن ورائحة الوطن . (الشعر) تمسكوا به ليكونوا ردة فعل لمن ذاب في لغة وتقاليد الغرب ممن هاجر معهم .. ولكن بسبب البيئة قامت حركات تجديد أغلبها في الأغراض لا في العروض .

يقول إيليـا أبو ماضي موضحاً .

لَسْتَ مِنِّي إنْ حَسِبْتَ الشِّـ......ـعْـرَ ألفاظاً وَوَزْنا
خالَفَتْ دَرْبُكَ دَرْبي وانْقَضى ما كانَ مِنَّا
فانْطَلِقْ عَنِّي لِئلَّا تَقْتَني هَمّاً وَحُزْنا

ولضعف اللغة العربية عند بعضهم ، ولاستخدام العامية كما عند الشاعر نعمة قازان ، ولتأثر بعضهم الآخر بالفكر الغربي ، واستخدام غريب الخيال ، والتلاعب بالألفاظ والمجازات ، وبالذات عند جبران زعيم الرابطة القلمية ، من هنا نشأ تجديد ، ولكنه تجديد مرفوض عند الشاعر إلياس فرحات القائل :

إنِّي لَأَعْجَبُ مِن آداب رابطةٍ
قَدْ أَوْجَدَتْ في نظامِ الشِّعْرِ تَشْويشا
أشْعارُها عَلْقَمٌ مع أنَّها شَرِبَتْ
من ماءِ صِنِّينَ وَالعاصي وقادِيشا

ويوضح فرحات التشويش بقوله :

لغةٌ مشوَّهَةٌ وَمَعْنىً حائِرٌ خَلْفَ المَجازِ وَمَنْطِقٌ مَتَعَثِّرُ
وَزَعيمُهُمْ في زَعْمِهِمْ مُتَفَنِّنٌ عَجَباً أكانَ الفَنُّ فيما يُضْمَرُ
لا الأرْضُ تَفْهَمُ ما يُصَوِّرُهُ لَها ذاكَ الزَّعيمُ ولا السَّماءُ تُفَسِّرُ

وبعد .. فأغلب صيحات تجديد القديم أطلقت لأجل الرجوع إلى القديم ، صيحات ضد فترة الركود وما صاحب ذلك من شعر ضعيف وطباق ومقابلة وجناس وتورية .. وسائل انتقلت إلى خانة الغاية . صيحات ضد تحويل الشعر إلى نظم . ضد شعر ما لا يستحيل بالانعكاس ، مثل قول اليازجي :

قَلَقٌ يلثُمُ نادي عَبْلَةٍ لَبَعيدٌ إنَّ مِثْلي قَلِقٌ

أو أبيات غرضها المدح وإن عكست تحولت هجاء ، كقول الشاعر :

باهي المَراحِمِ لابِسٌ كَرَماً قَديرٌ مُسْنَدُ

أو كقصيدة مدح نوفل بن دارم والتي ما هي إلَّا هجاء إن قرأت صدورها أولاً ثم أعجازها .. وهناك القصائد المنقوطة والمهملة والسينية والشينية .. قصائد لا روح فيها ..

فما تجديد القديم إلَّا صيحات لإيقاظ الشعر ولكن هذه الصيحات استغلت كمقدمة للشعر الحديث .

قد تكون صفارة البداية قصيدة أثبتها الدكتور غالي شكري لأحمد فارس الشدياق (نصراني) قصيدة بدون قافية .

أما البداية فقد جاءت من أرض الشعر والشعراء ، أرض العراق ، أرض تتنفس الشعر حتى أصبحت النغمة الشعرية عادية .. ومن هنا جاءت نزعة البحث عن جديد ..

بيئة استغلتها جريدة « صدىٰ بابل » **لداود صليوه** (يهودي) فنادت

تجديد القديم.. وتقويم الجديد في الشعر المعاصر

الجريدة بالشعر المرسل ، وذلك في العشرينيات ونشرت قصائد من الشعر الحديث لشعراء مجهولين توارت أسماؤهم خلف الرمز كالشاعر « ب . ن » والشاعر « واحدهم » وقد استخدموا الرمز حتى لا تنكشف أهدافهم من خلال أسمائهم ، وإن كانت بعض القصائد توقع باسم **وليم دياب نعمه** (يظهر من اسمه أنه نصراني) .

واحتضنت الفكرة مجلة « **الحرية** » بالعراق **لرفائيل بطي** (نصراني) وانطلقت تشدو بالشعر الجديد مستغلة البيئة خصوصاً بعدما استضافت المثقف المهاجر **أمين الريحاني** (نصراني) وقد عاد من أمريكا متأبطاً أفكار **وايت ويتمان** الأمريكي الذي أطلق الشعر ، ونشرت مجلة الحرية قصائد حديثة **لأمين الريحاني** والتي هي بمثابة الضوء الأخضر للشعر الحر .

وتنافست الصحف ذات الميول المشبوهة فيما بعد بنشر قصائد دون توقيع أو بتوقيع **أبي سلمى** ، **وسمير الكواكب** ، **وفتاة مكلومة الفؤاد** .. وفي مقال بمجلة العربي الكويتية **للدكتور عبد العزيز المقالح** أثبت فيه أن الشعر الحر انطلق من أرض العروبة من جنوبي الجزيرة العربية وأن الشاعر « **با كثير** » هو أول من قال الشعر الجديد .. أثبت ذلك من خلال كتابات الشاعر **با كثير** ..

إثبات **الدكتور المقالح** يجعل **با كثير** ضمن قائمة الأوائل .. ربما لظروف الشاعر ما يبرر قول الشعر الحر .. حيث قدم الشاعر إلى القاهرة ولاحقته النظرات واتهمته بالبداوة والتخلف .. هنا لا بد أن يتمرد على صفة العرب الأصلية ، فكان الشعر الحر أقرب وسيلة . وقد كان التحدي الثاني هو الذي فجر مكنونه وهو قول أستاذه الأجنبي « **إن اللغة الإنجليزية اختصت بالبراعة في قول الشعر المرسل وتفوقت على سائر اللغات** » .

هنا قال الشاعر المسلم **با كثير** الشعر الحر ، ولكن بسبب الإيحاء من أستاذه الأجنبي النصراني .. أستاذ استغل الظروف .

ويرد **الدكتور عمر فروخ** في كتابه « **هذا الشعر الحديث** » على هؤلاء ويقول : إن شعراً مثل هذا قديم ، وإن بعض خطب الجاهلية على مقاييسهم شعر حر مثل خطبة قس بن ساعدة الأيادي :

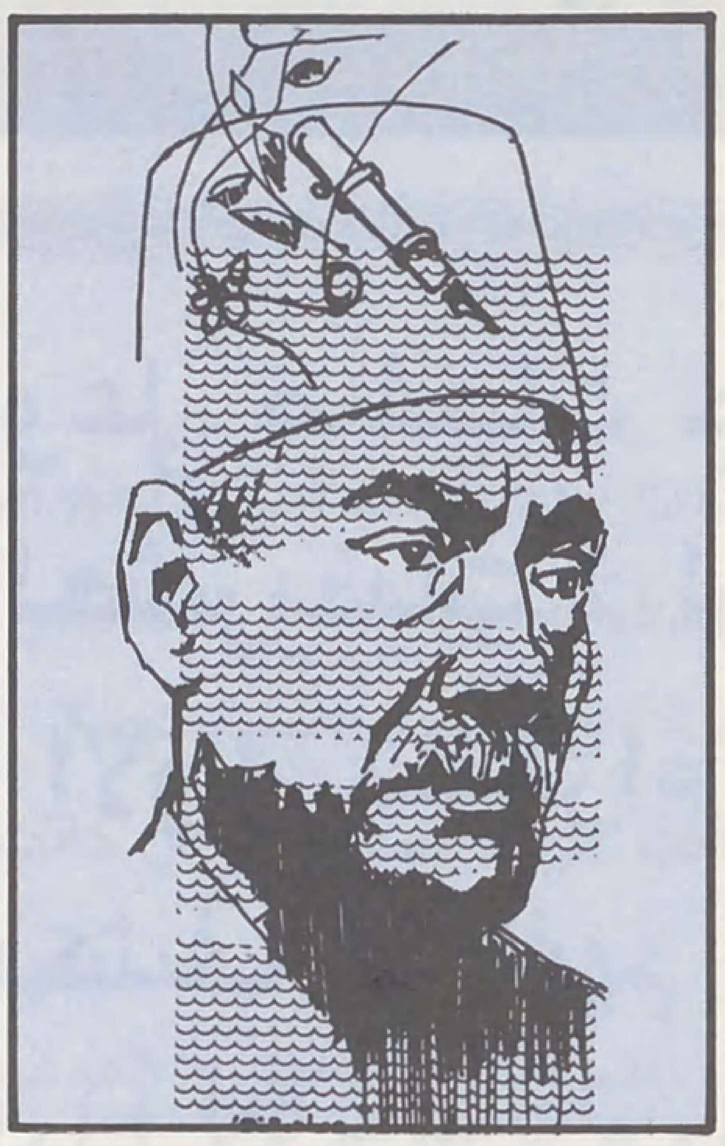

■ حافظ إبراهيم ■
دعا إلى التجديد لكنه ممن يقولون ولا يفعلون .

■ الدكتور عمر فروخ ■
أثبت أصل الشعر الحديث فضرب رأسه بفأسه ■

أيُّها النَّـــاسُ اسْمَعوا وَعُوا
وإذا سَمِعْتُمْ شَيْئاً فانْتَفِعوا
إنَّــهُ مَنْ عاشَ مــاتْ
وَمَنْ ماتَ فــاتْ ... إلخ

وهو بهذا يحطم فخرهم ، ولكنه يثبت أصلهم ، فضرب رأسه بفأسه . وعلى كلٍ فخروجه من أرض الشعر « **العراق** » أو أرض العروبة « **اليمن** » لا غرابة فيه فردود الفعل منطقية .

ولكن الغرابة في وجود حرب اعتقدنا أنها انتهت بانتصار **صلاح الدين** .

وإذا بها حيَّة تسعى في لباس جديد .. حرب ضد اللغة الفصحى والثقافة الإسلامية بواسطة الشعر الحديث كمعول فعَّال . وعندما انتشر الشعر الحر وقف شعراء الشعر العامودي منه موقف العداء . يقول **فؤاد شاكر** :

يَقولونَ إنَّ الشِّعْرَ حُرٌّ وَلَمْ نَكُنْ — لِنَعْلَمَ في الشِّعْرِ إماءً وَأَعْبُدا
أولئِكَ مَنْ ظَنُّوا القَديمَ خُرافَةً — وَمَنْ زَعَموا التَّهْريجَ فَنّاً مُجَدَّدا

■ **ما نسب إلى « باكثير » من الريادة الأولى في الشعر الحر ، لم يكن بدافع التقليد ، ولكن بدافع التحدِّي ؛ ليردّ بذلك على أستاذه الأجنبي الذي قال له :**
« إن اللغة الانجليزية اختصت بالبراعة في قول الشعر المرسل ، وتفوقت على سائر اللغات » .. فوقع باكثير في الفخ ..

■ « إن الشعر العربي ينبغي أن يكون أعزّ علينا من أي تجديد غلط وقعنا فيه » . [نازك الملائكة]

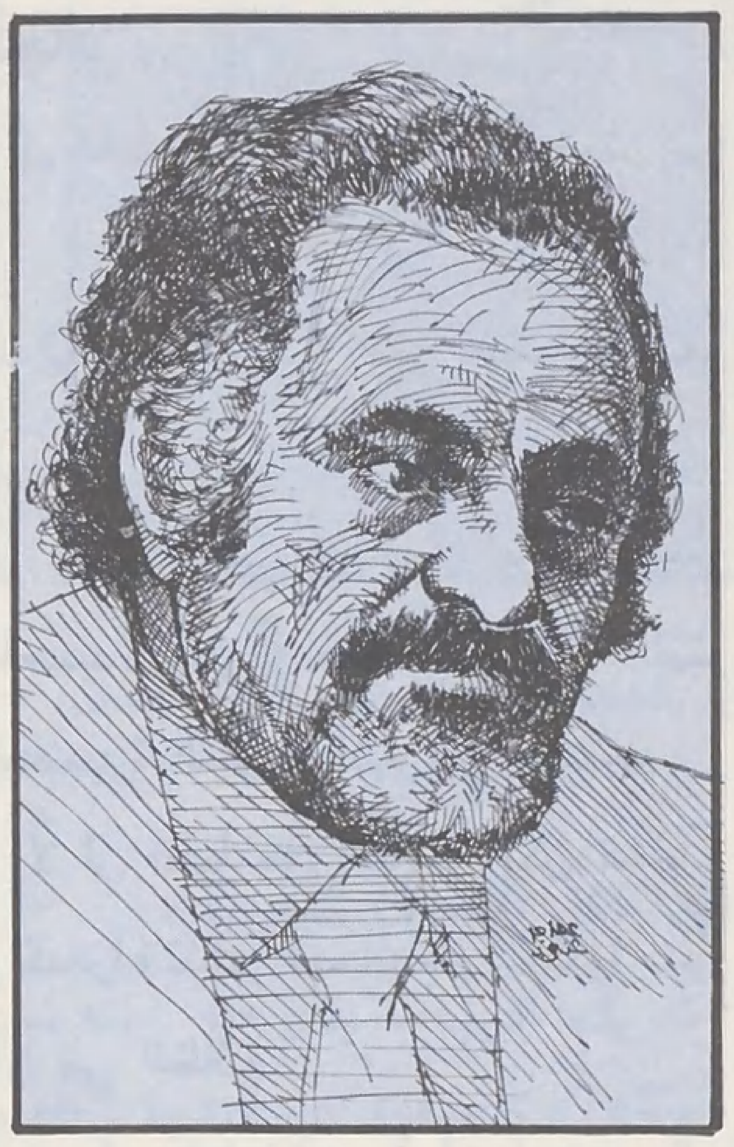

■ يوسف الخال ■
أسس مجلة شعر لتكون منبراً لمفكري الشعر الحديث ونادى بالغموض والرمز .

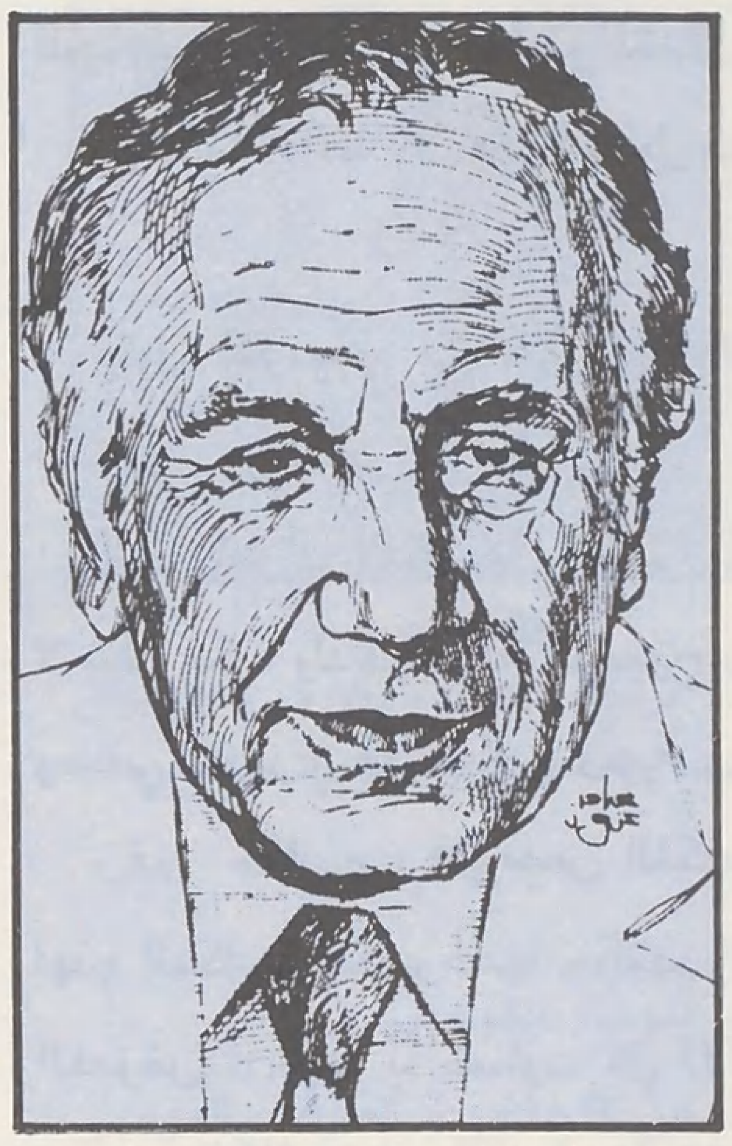

■ نزار قباني :
الفوضى ما هي إلّا حبل مشنقة للشعر العربي وشعر التفعيلة . ■

فمن قائلٍ : إنَّ القَريضَ تَخَلَّفَتْ — معانيهِ إذْ أَضْحىٰ قَريضاً مُجَمَّدا
وَمِنْ قائلٍ : إنَّ القَريضَ تَقَطَّعَتْ — بِهِ سُبُلَ الفُصْحىٰ فَأضْحىٰ مُقَيَّدا
لَقَدْ نَسِيَ القَوْمُ الأباةُ تُراثَهُمْ — وَهَيْهاتَ أنْ نَنْسىٰ التُّراثَ المُخَلَّدا

وشـاعر الجزائر مفدي زكريا يقـــول :

وَعـابِثيـنَ أرادُوا الشِّعْـرَ مَـهْـزَلَـةً
فَـأَزْعَجُـوا بِـرَخيصِ القَـوْلِ آذانا
تَنَكَّـروا للقَـوافي حيـنَ أعْجَـزَهُـمْ
صَـوْغُ القَوافي وَضَلُّـوا عَنْ ثَنايـانا
قـالوا جُمـودٌ على الأوْضـاعِ وَزْنُكُمُ
فَشِعْـرُنا الحُـرُّ لا يَحْتـاجُ أوْزانـا
فَـأيْنَ مِنْ جَـرَسِ الإيقـاعِ خَلْطُكُـمُ
ما الشِّعْرُ إنْ لَمْ يَكُنْ دَوْحاً وَأغْصانا
وَهَـلْ أعـارَ رُواةُ الشِّعْـرِ لَغْـوَكُـمُ
وَزْناً .. ؟ وَهَلْ حَشْوُكُمْ بالحِفْظِ أغْوانا

بل إن الشعر الحر أخذ منعطفاً خطيراً على يد **نقولا فياض** (نصراني) الذي طبق دعوة سلفه **ميخائل نعيمة** (نصراني) القائل في كتابه « **الغربال** » [لا الأوزان ولا القوافي من ضرورة الشعر] .

هنا ابتدع نقولا فياض شعراً بلا وزن ولا قافية ، فأطلقوا على شعرهم الجديد اسم : « **شعر منثور** » .

وخجل الذين لم يدركوا أنها مؤامرة من تسميته بالشعر وما هو بشعر ، فأطلقوا على المولود الجديد « **النثر الفني** » .

أما الرافضون له فأطلقوا عليه اسم « **نثر مشعور** » وأطلق عليه **الدكتور يوسف عز الدين** « نثر مسطور » .

وبعد ميلاد ما يسمى بالشعر المنثور احتاجت الدعوة إلى قائد كفء ، وباسم التطور الثقافي تولى القيادة المثقف النصراني « **سعيد عقل** » لكنه فشل ..

فشل لصراحته في هدم الثقافة الإسلامية .. لدعوته الواضحة لكتابة العربية بالحروف اللاتينية .. لمطالبته بكتابة الحرف المنطوق فقط . فشـــل .. فالمؤامرة تحتاج إلى مثقف مرن .. جدلي .. مجامل .. هنا أُعطيت القيادة للمثقف النصراني « **يوسف الخـــال** » .

تولى القيادة رغم دعواته المشبوهة ، ونجح قبل انكشافه ، وسلم القيادة لتلاميذه المسلمين .

يوسف الخـــال هو صاحب « اختراق جدار اللغة » وتتلخص دعوته بإلغاء الإعراب ، والاستغناء عن عدد من الضمائر ، والاكتفاء باسم واحد من أسماء الموصول وهو « اللي » ... إلخ .

لغة جديدة أطلق عليها اسماً عصرياً « **لغة الكلام** » وهي لا لمجاراة العصر والعيش في الواقع كما يدعي ، ولكنها مخطط لنسف اللغة العربية الفصحى .

وقد تصدى **يوسف الخال** للمدافعين عن اللغة العربية القائلين : « **إن الفصحى لغة القرآن الكريم وإنها عامل من عوامل وحدة العرب** » وفي الرد اعتمد المأجور **يوسف الخال** على منطقه المشبوه قائلاً :

« ... ثم إنه باستطاعة العربي أن يدرس الفصحى كموضوع دراسي ويقرأ التراث والقرآن ، وهناك شعوب إسلامية تقرأ القرآن وتصلي به وهي لا تعرف العربية ... » !!

وقال راداً على أن الفصحى عامل من عوامل وحدة العرب : « ... فماذا تفيد وحدة العرب إن هي قامت على أسس مزيفة ومصطنعة (يقصد بالمزيفة الفصحى لأنها ليست لغة الكلام) ، ويكمل المأجور رده قائلاً : ... **وهنالك من يقولون : إن الأخذ بلغة الكلام هو من وحي المستعمرين ، والحقيقة هي أن عدم الأخذ بها هو الذي من وحي المستعمرين ، وإسرائيل في الطليعة ، فهم يشجعون على التعلق بالفصحى لتعميق الازدواجية في الفكر العربي من جهة ، ولإبقاء العربي مشدوداً إلى حقائق لا صلة لها بواقعه من جهة أخرى ...** » !

معركة **يوسف الخـــال** ضد الثقافة العربية الإسلامية كانت بأمس الحاجة إلى منبر ، به يثبت أقدام الشعر الحر والمنثور .. وكانت النجدة من صديقه النصراني « **ألبير أديب** » الذي أسس مجلة الآداب عام ١٩٥٣م وكانت تنشر القصائد الحديثة بجانب العمودية .. ولكن في عيد ميلادها الثالث (يناير [كانون الثاني] ١٩٥٥م) أصدرت مجلة الآداب عدداً خاصاً بالشعر الحديث ، وهنا يقول « **طبَّالهم** » ومُجدد حركاتهم **الدكتور غالي شكري** بعد صدور العدد الخاص « ... **فلأول مرة يعثر على منبره الخاص وتنظيمه العلني ، فيخرج من السراديب السرية « تحت الأرض » إلى الهواء الطلق في إطار يحمي تجربته الجديدة من التبدد والضياع** ... » .

تجديد القديم.. وتقويم الجديد في الشعر المعاصر

لم يكتف **يوسف الخال** بمنابر الأصدقاء ، فقد كانت غير كافية ، فأسس مجلة « **شعر** » لتكون منبراً لمفكري الشعر الحديث .. ونادت المجلة بالغموض والرمز ..

الرمز أساسي لأنه يناسب الزمن العربي الرديء ـ كما ينعتونه ـ الرمز بهوية محدودة من التراث اليوناني ليعطي الشعر الصفة العالمية ـ كما يرجون له ـ بيد أن الحقيقة أن التراث اليوناني أقرب للنصرانية من التراث الإسلامي .

وإن تركوا التعصب الديني خوفاً من الانكشاف اتجهوا إلى شر الأمرين .. اتجهوا إلى رموز الحضارات العربية ما قبل الإسلام ليصطادوا عصفورين بحجر « **هدم الإسلام وتمزيق الوطن** » .

وجاء شعراؤنا .. دون وعي .. بتهافت .. ليحشوا شعرهم بالرموز لاعتقادهم أنها جزء من التطور الشعري ولانخداعهم بتعابير **بدر شاكر السياب** عن أهمية الرمز عندما قال : « **ليتمكن الشعر من التعبير شعرياً عن اللاشعر** » .

وبعـــــــد ...

فالحرب الثقافية دخلت مرحلة النتائج .. الحرب الثقافية أصبحت حرباً أهلية .. جنودهم من جلدتنا .. هنا اطمئن المثقف النصراني ، وسلم القيادة لتلميذه المسلم .. وفاق التلميذ أستاذه .

تسلم القيادة **أدونيس** وجماعته .

أدونيس (**علي أحمد سعيد**) غني عن التعريف .. مثقف .. متعمق بالتراث ، لغته سليمة .. أسلوبه على مستوى عالٍ .. كتاباته ذات أبعاد فكرية ، فبقدر ما يأخذ من أمهات الكتب يعطيك جذوراً مستقبلية .

لم تخنه ثقافته عندما كتب عن الحداثة والأصالة .. عن الثابت والمتحول .. عن الإبداع والاتباع .. عندما كتب عن نفسية الشاعر الجاهلي .. عن أبي تمام والشكل الجاهز .

لم تخنه ثقافته إلَّا عندما حاول تحويل القط إلى أسد .. تحويل النثر إلى شعر .

يقول **أدونيس** في أكثر من كتاب له : هناك فرق بين النثر والشعر المنثور .. وملخص ما قاله :

النثر إطراد لأفكار ما .. وهذا ليس ضرورياً في قصيدة النثر .. النثر لا ينقل فكرة ولذلك يطمح للوضوح والقصيدة النثرية حالة شعورية .. النثر وصفي تقريري ذو غاية خارجية . والقصيدة النثرية غاية هي بنفسها .

رغم « مكاييج » **أدونيس** الفكرية إلَّا أن القط ظلّ قطاً .. ولكن تخادع لهذه المكاييج الكثير لأنها حوّلتهم إلى شعراء تنشر قصائدهم . ركبوا مبدأ الغموض .. مبدأ به تساوت كل الألوان في الظلام .

ومع الظلام تولى الزعماء نشر هالة .. بل غشاوة لدرجة أن أحدهم وهو المثقف الشاعر **حسن عفيف** قال : « **إن الشعر المنثور قد يكون أصعب نظماً من العمودي** » ، وعلل بساطة نظم الشعر العمودي بقوله : « **إن الوزن والقافية علامات تهديه الطريق** » ، والشاعر **عبد الوهاب البياتي** يقول الشعر ويأتي النقاد فيكتشفوا أبعاداً جديدة . يقول البياتي في مقابلة له « ... **ناقد ألماني اكتشف في قصيدة « سوق القرية » أبعاداً جديدة لم أتصورها أنا نفسي** » .

وحتى لا نحاجهم وننتقد شعرهم بالمنطق ، تشبثوا برؤيا للعالم غير منطقية . يقول أدونيس : « ... ولا يجوز أن تكون هذه الرؤيا منطقية ، وتأتي **خالدة سعيد** لتفلسف لنا ماهية القصيدة الحديثة فتقول : « **هي تحرر من الشكل القديم إلى شكل أكثر من وزن وقافية .. هو حركة القصيدة وطريقة تكوينها والأصوات الداخلية فيها . ليس لها شكل .. فلكل قصيدة شكلٌ .. أما الإيقاع الصوتي فليس ضرورياً لأنها ليست للطرب** ،

■ **فشلت دعوة « سعيد عقل » لصراحته في هدم الثقافة الإسلامية ، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية .. فتولاها من بعده « يوسف الخال » الذي كان أكثر من سلفه مرونة وجدلية ومجاملة .. ولكن الهدف بينهما واحد .. وهو هدم لغة القرآن ..**

■ **الفوضى هي الأساس الذي يعتمد عليه دعاة « الشعر المنثور » أو « النثر المشعور !.. » ومهما جاؤوا بتعريفات له ، فما هي إلَّا تحديد لنوعية هذه الفوضى المعتمدة ..**

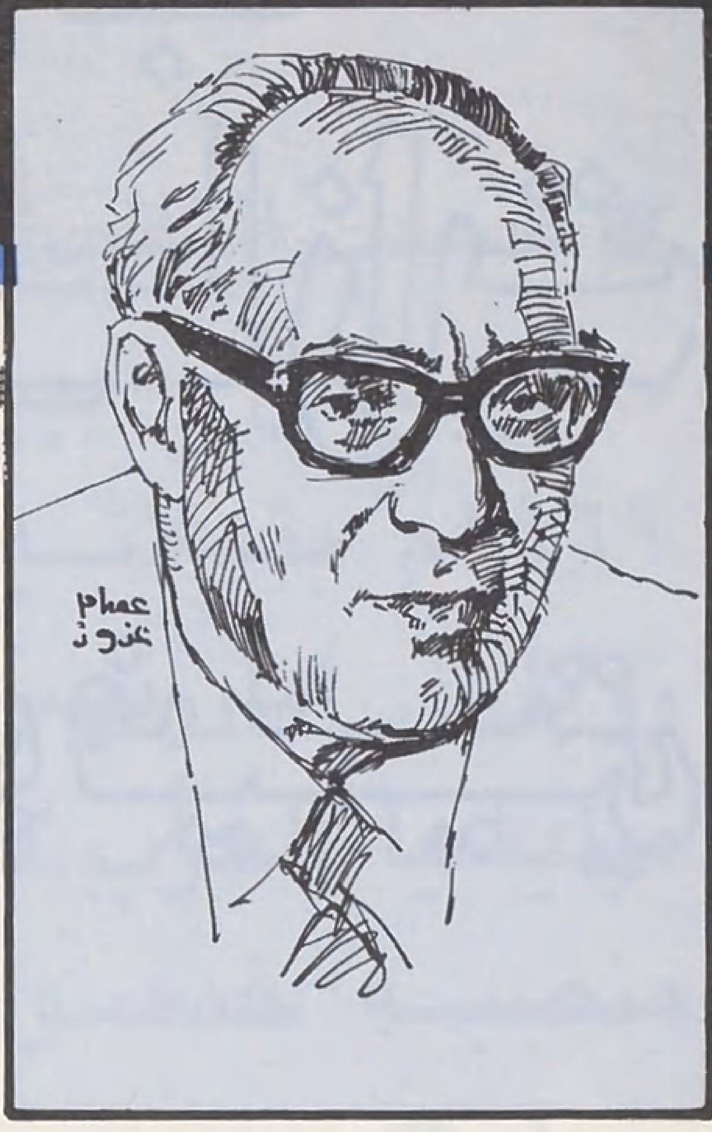

■ لويس عوض ■
قال الشعر الحديث بالعامية لهدف مضمر ،

■ أدونيس : في « ترتيلة البعث » تكررت كلمة فينق خمساً وعشرين مرة ■

ولهذا فكل الكلمات شعرية » .

تعريف أقرب ما يقال فيه : إنه تحديد لنوعية الفوضى .

وخالـدة سعيد في كتابها « **البحث عن الجذور** » تعترف بالفوضى وتقول بوجوب وجود الناقد للشعر بسبب الوثبة واختلاط الشعر الجيد بالرديء وكثرة أدعياء الشعر والمتلاعبين بالكلمات والجمل .

شعـــراء اليــوم

تبرأ منهم من كان منهم .. تبرأ من أدرك الفوضى .. فهذه **نازك الملائكة** وهي من الرواد شعرت بالذنب .. ألفت كتاب « **قضايا الشعر المعاصر** » لعله يكون حجر عثرة أمام الانجراف التجديدي .. فيه تحدد ماهية الشعر الحر وتفعيلاته .. وبين السطور تشم رائحة الندم .. ففي الكتاب نفسه تقول **نـازك** « **إن الشعر العربي ينبغي أن يكون أعز علينا من اي تجديد غلط وقعنا فيه** » وتكتب فصلاً عن قصيدة النثر مطلقة عليها « **بدعـة غريبة** » والشاعر **نزار قباني** « ... **إن القصيدة العربية وصلت في نهايات القرن التاسع عشر إلى سن اليأس ، وتحولت إلى عانس ، فقدت أملها بالزواج والإخصاب** » ، والقائل عن القصيدة الحديثة ! « ... **بل اصبحت شوقاً لما لا ياتي وانتظاراً لما لا يُنتظر** » **نـزار** أدرك أن الفوضى ما هي إلا حبل مشنقة للشعر العربي وشعر التفعيلة .. **نـزار** هو القائل بوضوح أمام محكمة الشعر ببغداد :

نَرْفُضُ الشِّعْرَ كيمياءَ وَسِحْراً   قَتَلَتْنا القَصيـدَةُ الكيميـاءُ
نَـرْفُضُ الشِّعْرَ عَتْمَـةً وَرُموزاً   كَيْفَ تَسْطيعُ أَنْ تَرى الظُّلَماءُ

التلاميذ المستغربون تنفسوا الصعداء عندما وجدوا مبرراً ينفي المؤامرة عن شعرهم .. عندما وجدوا الحشو كضرورة لإتمام الوزن وبالتالي فشعراء الظلام لا حشو لديهم . وهكذا صدق بعضهم . رغم أن قصائدهم تكرار لمعنى واحد هو « **لعن الزمن الرديء** » وفي قصائدهم المقطع يتكرر .. اللفظ يتكرر .

عَشْـتارُ يا عَشْـتارُ يا عَشْـتارْ ..
تصـدَّعَ الجِـدارْ

في قصيدة « **ترتيلة البعث** » **لأدونيس** تكررت كلمة « **فينق** » خمساً وعشرين مرة .. الفينق هو الطائر الذي يحترق عندما يدركه الهرم ليتجدد .. إذا أدركنا رمزه أدركنا تكرار المعنى . ويدافع عن التكرار شاعرهم المدلل **محمود درويش** فيقول : « **اسمع : ليس عيباً أن أجرب ألف شكل لأقول شيئاً واحداً . ما هو هذا الشيء الذي أقوله ؟ قد يكون في منتهى الغموض ، وقد لا أعرفه الآن** » .

وباسم صدق الرؤيا يعود الأساتذة داعين شعراء التطور إلى اللهجة العامية .. **سعيد عقل** بلبنان .. **ولويس عوض** بمصر .. **لويس عوض** باعترافه ليس بشاعر ، أو شاعر رديء .. ومع هذا قال الشعر الحديث بالعامية لأجل هدف مُضمر .. أصدر ديوان « **بلوتلاند** » كحلقة من مسلسل رهيب لا يزال مجرمه بريئاً .

يعود الأستاذ النصراني « **سعيد عقـل** » بفكرة « **المبـدع** » ليقرر لتلاميذه مبدأً شعرياً . يقول : « **إن عناصر الوعي لا تلعب في الشعر أقل دور** » دون وعي .. **ماذا يقصد ..؟ وإلى متى يهدم ..؟**

ونقادنا تركوا الساحة لأمثال **الدكتور محمد النويهي** .

أتخافـون من العوم ضد التيار .. الذي أمامكم ليس بتيار .. إنه غثاء تيار ، أوتنتظرون ـ يا نقادنا ـ مرحلة بكاء ديوان العرب .. مرحلة « **عزيزقوم ذلّ** » لقد وصلنا إلى هذه المرحلة ، فعلاماتها بدأت تطفو ، فالناقد الشاعر **علي مصطفى** يقول في مقابلة له : « **أنا لا أعترف بما يسمى بالشعر العمودي** » لقد نفى هذا الناقد بعض الشعر لشعراء عمالقة . وغداً سيأتي ناقد جديد ليقول : « **العرب نظموا ولم يشعروا** » .

يا نقاد الشعر انتظروا سقوط عمالقة العمودي .. لقد بدأ السقوط وهناك شيوخ لا يتسع المقال لذكرهم اعتبروا الحديث « **موضـة** » ركبوه كبرهان لتقدمهم الفكري ونفي الرجعية عنهم .

بعضهم دعا بوضوح كالشاعر السعودي العملاق **طاهر زمخشري** القائل :

بلا قُيودٍ أو بُحورٍ أو مقامْ
لكنَّها قَصـيد
لونُـهُ جَديـدْ
مُرَسَّلٌ بغيْرِ وَزْنٍ او قُيودْ

قفزة فكرية .. قفزة من الموزون رأساً إلى المنثور .. إذا قطعتها تجد قفزات حتى على التفعيلات .. كيف نزل الهيجاء فارسنا المغوار سيفه من سعف النخل .. سعف حاد توهم شاعرنا **طاهـر** أنه سيف مهند .

أيهـا الشعـــراء

ابعدوا أظافركم عن شرايينكم .. عليكم بالفرار قبل سقوط الجدار ، فكل ظاهرة ولدت سريعاً ستموت بأسرع .. كل إنسـان معه معول للهدم فقط لا يمكن أن يبني ..

أصحاب الامتيازات في الاتحاد السوفييتي

« لانُومَنْكْلاتُورا
LA NOMENKLATURA » (*)

كتاب في مقال

■■ الماركسية التي تدّعي نظريتُها أنها تحارب الطبقية واستغلال الإنسان للإنسان تقيم ـ عندما تحكم ـ طبقةً جديدة ذات امتيازات لم تعرفها الأجيال المُغرقة في الظلام، وتستعبد وتستغل الكادحين.

أوّل من فضحها الماركسي اليوغسلافي المُنظّر (ميلوفان دجيلاس) في كتابه (الطبقة الجديدة) الذي صدر عام ١٩٥٧م، وجاء الآن الماركسي السوفييتي (ميكائيل فوسلنسكي) ليعرض مخازي الماركسيين الحاكمين في الاتحاد السوفييتي ؛ كِلا الرجلين يكشف سوءات الحكم الشيوعي، ويُثبتُ أن الماركسيين هم أكثر استغلالاً للعمال والكادحين والمثقفين من نُظرائهم المستغلين الرأسماليين ■■

شيء عن المؤلف

ولد عام ١٩٢٠م وعمل أولاً مترجماً في محكمة (نُورنْبرْغ) لمحاكمة مجرمي الحرب العالمية الثانية. ومنذ عام ١٩٥٠م عمل في موسكو، باتصال وثيق مع جهاز اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ؛ وبُعث إلى (براغ) ثم إلى فيينّا مندوباً لبلاده في مجلس السلم العالمي، وعند عودته مرة أخرى إلى موسكو استلم مسؤوليات عدة في أكاديمية العلوم، وصار سكرتيراً للجنة نزع السلاح، ثم نائباً لرئيس لجنة المؤرخين، وكان أستاذاً في جامعة (لومومبا) في موسكو، وعضواً في أكاديمية العلوم الاجتماعية المرتبطة باللجنة المركزية للحزب : ترك الاتحاد السوفييتي عام ١٩٧٢م حيث استقر في ألمانيا الاتحادية، وعمل أستاذاً في جامعات ألمانيا والنمسا ؛ وكان واحداً من أصحاب الامتيازات في الاتحاد السوفييتي، ويُعتبر في الغرب أحد أبرز المتخصصين بالسياسة السوفييتية.

والكتاب : (٤٦٥) صفحة من القطع الكبير، مقسم إلى مقدمة وثمانية فصول وخاتمة ؛ قدّم لترجمته الفرنسية ـ واصل الكتاب بالألمانية ـ (جان النشتين) الشيوعي الفرنسي السابق.

والعنوان : (نومنكلا تورا) كلمة لاتينية الأصل، تستعمل في القاموس الروسي، ويعني بها المؤلف لائحة بأهم المراكز الهامة في الاتحاد السوفييتي، وهي الطبقة الحاكمة، ويتم اختيار أعضائها بعناية كبيرة وتدقيق شديد من بين صفوة أعضاء الحزب الشيوعي في المناصب الحساسة [وهم يشكلون بيروقراطية الحزب التي أصبحت الطبقة الوحيدة المسيطرة على كل بلاد الاتحاد السوفييتي حيث تحتكر الدولة فيه كل شيء]، وتسمي الصحافة الصينية هؤلاء : « قبضة من العناصر الرأسمالية الجديدة التي تتربع على كاهل الشعوب السوفييتية ».

أما (جان النشتين) المؤرخ الفرنسي الشيوعي المنشق فقد قال عن (النومنكلاتورا)، في معرض تقديمه للطبعة الفرنسية : « إنها تلك الأرستوقراطية الحمراء التي تتمتع اليوم بسلطة لم يسبق أن تمتع بها أي حكم آخر في العالم ».

الطبقة الجديدة

ذكر (ميكائيل فوسلنسكي) كتاب (الطبقة الجديدة) (لميلوفان دجيلاس)، والذي صدر عام ١٩٥٧م، بعد سنوات قليلة من بدء الحكم الشيوعي في يوغسلافيا، ولخَّص نظرية (دجيلاس) في الأسطر القليلة التالية : « بعد انتصار الثورة الاشتراكية يتحول جهاز الحزب الشيوعي إلى طبقة جديدة قائدة تحتكر السلطة في الدولة، وتمتلك كل وسائل الإنتاج، وتستغل كل شيء، وتدوس كل القيم الأخلاقية، وتقيم دكتاتوريتها بالإرهاب والتحكم الإيديولوجي الكلي ؛ والذين كانوا أكبر المقاتلين في سبيل الثورة المثالية، وطالبوا بالحريات بأوسع مفاهيمها يتحولون ـ عند استلام السلطة ـ إلى رجعيين مخيفين ». ويعلق (فوسلنسكي) على كتاب (دجيلاس) الذي يقول عن صاحبه : إنه جاء من منطلق ماركسي واضح ؛ إنه لم يكن الأول في إثارة موضوع (الطبقة الجديدة)، وذكر (فوسلنسكي) أن (شتاينبرغ) الثوري الاشتراكي اليساري وقوميسير الشعب في وزارة العدل ـ أي وزير العدل ـ في أول حكومة للينين، وَصَفَ الفئة الحاكمة المسيطرة من جهة،

تأليف : ميكائيل فوسلنسكي — عرض و تعليق : الدكتور نبيل صبحي

■ منصب النائب العام في « أذربيجان » بيع عام ١٩٦٩م بثلاثين ألف روبل .. أما رئيس لجنة ميليشيا الحزب فَدُفِعَ في منصبه خمسون ألف روبل ■

والشعوب المحكومة في روسيا السوفييتية من جهة أخرى ، في العشرينيات من هذا القرن بالكلمات التالية :

« ١ ـ من ناحية الحاكمين هناك انتشاء بخمرة السلطة ، وعجرفة منتصرة ، وافتراءات وخبث ، وانتقام منحط ، وريبة طائفية ، واحتقار متنام للمرؤوسين ... وبكلمة واحدة : سلطة جديدة .

٢ ـ ومن ناحية المحكومين هناك وهن مثبط ، وخوف من الثار ، وغضب عاجز ، واحقاد صامتة ، وتزلّف وكذب مستمر .

والنتيجة وجود طبقتين جديدتين تفصلهما هوّة نفسية اجتماعية سحيقة » .

وفي عام ١٩٣٦م ، أشار مراسل الصحيفة الألمانية (فرانكفوتر تزايتونغ) إلى الطبقة الاجتماعية الجديدة ذات الامتيازات ... التي تحكم الاتحاد السوفييتي .

وفي الفترة الزمنية نفسها تقريباً أعلن الفيلسوف الروسي المهاجر (نيقولاي برديف) عن ولادة بيروقراطية لها اطراف الأخطبوط ، تنسج خيوطها العنكبوتية الهائلة فوق البلاد السوفييتية ، وهي اقوى من بيروقراطية القياصرة .. إنها الطبقة الجديدة ذات الامتيازات ؛ لقد أعطيت كل الوسائل لاستغلال الشعب بقسوة ، وهي لا تفعل إلّا ذلك .

وفي عامي ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤م نشر (جورج أزول) قصته الرمزية (مزرعة الحيوانات) حيث روى فيها كيف ثارت الحيوانات في إحدى المزارع على البشر الذين يستغلونها ، واستلمت الحيوانات إدارة المزرعة ، وأعلن عن قيام « مجتمع الاشتراكية الحقيقية » !! ولكن سرعان ما وقعت جمهورية الحيوانات تحت سيطرة الخنازير وكلاب الحراسة الغلاظ ، وأجبرت الحيوانات على إنجاز الأعمال الدنيا لتحقيق الخطّة التي وضعها الخنازير ؛ واقنعت الخنازير الحيوانات الأخرى انها لا تعمل الآن لخدمة البشر المستغلين بل لنفسها ، وخلال ذلك يتملك الخنازير المزرعة ، ويلاحَظ بعد ذلك أن الحيوانات الصغيرة في المزرعة تشتغل اكثر مما كانت تشتغل للبشر ، وتاكل اقل من حيوانات (اللجنة الحاكمة) .

وفي الستينيات كتب استاذان جامعيان ماركسيان من بولونيا دراسة تحليلية عن الطبقة الجديدة المسيطرة في مجتمعهم وسمياها (البيروقراطية السياسية المركزية) .

ويؤكد برنامج الحركة الديموقراطية للاتحاد السوفييتي الذي وضع عام ١٩٦٩م ان فترة الخمسين سنة الماضية لم تشهد سيطرة العمال والفلاحين والمثقفين بل فئة رابعة هي : الطبقة الجديدة المستغلة ، وهي التي تحكم دون مشاركة احد ، وتمسك بيدها اطراف خيوط السلطة ، وسماها البرنامج : « صاحبة الجلالة صفوة بيروقراطية الحزب » .

وفي ٥ كانون اول (ديسمبر) ١٩٧٠م أكّدت المذكرة عن موضوع عدم « المساواة في حكم الحزب الشيوعي » ان طبقة جديدة حاكمة تشكلت في الاتحاد السوفييتي مؤلفة من صفوة العاملين في الحزب الشيوعي .

عدد الطبقة الجديدة

(النومنكلاتورا) ـ اي الطبقة الحاكمة ـ لا تتعدى (٧٥٠ ٠٠٠) عدداً في كل الاتحاد السوفييتي ، وتشكل مع افراد عائلاتها اقل من ثلاثة ملايين نسمة ، اي : ان الطبقة الجديدة هي ٥ر١٪ من مجموع سكان الاتحاد السوفييتي ، وعددهم اكثر من (٢٦٠) مليون نسمة .

الجماهير التي لا تمتلك شيئاً

ذكر المؤلف ان (انجلز) ـ زميل ماركس في تاسيس الماركسية ـ يقول : « إن قانون تقسيم العمل هو اساس تقسيم الطبقات ، وعندما تتربع الطبقة المسيطرة على سدة الحكم لا تتوانى ابداً عن تدعيم سيطرتها على حساب الطبقة العاملة ، وتحويل الإدارة الاجتماعية إلى استغلال للجماهير » ويتساءل المؤلف مباشرة بعد عرض اقوال (انجلز) : الا تنطبق هذه القاعدة على صفوة الحزب الشيوعي الحاكمة (النومنكلاتورا) ؟ ويُتابع المؤلف عرضه قائلاً : (النومنكلاتورا) الآن هي المالك الجماعي لأملاك الدولة ، وليس في ذلك اية صيغة تقدمية بالمقارنة مع الملكية الفردية في الدول الراسمالية ، فأهل (إسبارطة) الإغريق كانوا المُلّاك الجماعيين ، وفي القرون الوسطى كانت الكنيسة هي المالك الجماعي لأملاك شاسعة واسعة ، فلا اهل إسبارطة ولا كنيسة القرون الوسطى اكثر تقدمية من راسماليّي هذا العصر .

ويتابع (فوسلنسكي) : املاك الكولخوز ـ المزرعة الجماعية ـ هي ـ نظرياً ـ ملك افراد الكولخوز ، ولكن هل هم حقاً الملاك الحقيقيون ؟ هل يستطيع افراد الكولخوز ـ بعد التصويت بالأغلبية الساحقة ـ ان يُصَفّوا كولخوزهم واملاكه ، وتوزيع او بيع او تدمير وسائل الإنتاج والإنتاج الذي قاموا هم انفسهم بإنجازه ؟ والجواب : لا ؛ ومثل هذا الاقتراح يثير بالضرورة ردود فعل ثارية ضدهم ، فلدى اعضاء الكولخوز تعليمات مشددة عن كيفية التصرف بـ « ممتلكاتهم » !! فحتى لو ماتوا

كتاب في مقال

■ عند البورجوازيين المال يأتي بالامتيازات ، أما في النظام الشيوعي .. فالامتيازات الحزبية هي التي تأتي بالمال .. ■

جوعاً فليس لهم الحق بتقرير متى يستطيعون ذبح بعض نعاجهم أو ابقارهم .

لقد سلَّمت الدولة الاراضي في حفل مشهود ، لأعضاء الكولخوز ليستمتعوا بها بصورة دائمة مجاناً ، إلَّا أنه لا يحق لهؤلاء (المساكين) التفرد بقطعة صغيرة من الأرض لإقامة جنائن فردية عليها .. فما هي هذه الملكية الغريبة ؟ (ص : ١٤٨) .

قال (انجلز) في أواخر عام ١٨٩١م : « النقطة الحساسة هنا هي : طالما أن الطبقات الحاكمة هي التي بيدها مقاليد السلطة فالتاميم ليس إنهاءً للاستغلال بل هو تغيير في شكل هذا الاستغلال » ! (ص : ١٥٤) ، ويضيف المؤلف : ودون اي شك فإن (النومنكلاتورا) هي طبقة مالكة ، وهي التي بيدها مقاليد السلطة في الاتحاد السوفييتي وهي « تشكل طبقة المستَغِلِّين للمجتمع السوفييتي ، وبما أن الاقتصاد السوفييتي يُمثل الملكية الجماعية لطبقة (النومنكلاتورا) وليس الملكية الفردية لأفرادها ، يكون استغلال العمال - في الظاهر - من نوع استغلال الدولة للإنسان ، وليس من نوع استغلال الإنسان للإنسان ، إلَّا ان افراد (النومنكلاتورا) لا يستطيعون تغطية موضوع استلامهم هم انفسهم لـ (فائض القيمة) فمن أين جاؤوا - إذاً - بعائداتهم ؟ وما هي كمية المال اللازمة لصيانة منازلهم و (فيلاتّهم) ، وكلفة أسفارهم واستجمامهم في منازل الاستشفاء التابعة للجنة المركزية ، والسيارات الرسمية التي يمتطونها ؟ ومن أي فائض حبوب يتمون (الكِرملين) ؟! إن صفوة الحزب تستغل العمال والفلاحين مثلما يستغل الاسياد (عبيدهم) ، ومثلما يستغل رجال الإقطاع خُدَّامهم ، وفي الاتحاد السوفييتي استغلال الإنسان للإنسان ، ولقد بدا مواطنو بلاد « الاشتراكية الحقيقية » !! يفهمون هذا الاستغلال ويعونه . (ص : ١٥٥) .

ويختم المؤلف بحثه في هذا الموضوع بقوله : في بلاد « الاشتراكية الحقيقية » !! يوجد استغلال الإنسان للإنسان ، وبُني النظام الاقتصادي في الاتحاد السوفييتي على أساس هذا الاستغلال .

تزوير الإحصاءات وتقديم أرقام كاذبة

يقولون : إن مبيعات الكولخوزات عام ١٩٤٨م كانت أكثر بنسبة ٢٢٪ من مبيعات عام ١٩٤٠ - قبل الحرب - ، ولكن المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي كشف أن مكتب الإحصاءات المركزي أعاد حسابات عام ١٩٤٠م وغيَّر الأرقام التي ظهرت عام ١٩٤٠م والتي أعلنت أن إجمالي المبيعات كان (٢ر٤١) مليار روبل .. إذ أصبحت الأرقام (١ر٢٩) مليون روبل ... وهكذا صارت مبيعات عام ١٩٤٨م (وهي ٥ر٣٥ مليار روبل) أكثر من مبيعات عام ١٩٤٠م بنسبة ٢٢٪[١] !!

وفي النشرة الإحصائية نفسها يدَّعون ان المرتب الفعلي للعامل السوفييتي عام ١٩٤٨م كان أكثر من ضعف مرتبه عام ١٩٤٧م - اي تضاعف في عام واحد - ! ، وهذه مغالطة اخرى ، فبالنسبة للإصلاح النقدي الذي حصل في ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧م لم يتضاعف مرتب عام ١٩٤٨م بل ... نقص نوعاً ما عن مرتب عام ١٩٤٧م .

ويقول (فوسلنسكي) : « في الواقع بعد سنتين من الحكم الشيوعي ، وبعد خمسين سنة من الاقتصاد الموجَّه لم يستطع الحزب الحاكم إعطاء الشعب المواد الاستهلاكية الضرورية » .

ويكفي ان نذكر في هذا المقام ان الاتحاد السوفييتي - بكل مساحاته الشاسعة واراضيه الزراعية الواسعة - لم يستطع بعد سبعين سنة تقريباً من قيام « الثورة الاشتراكية الكبرى » - كذا - من تامين القمح اللازم لإطعام شعوبه ، فهو يشتريه بل يتسوّله احياناً كثيرة من الولايات المتحدة وكندا وغيرهما من الدول الراسمالية ، وسيحتاج السوفييت لخمسين الف طن من الحبوب المستوردة لسد حاجتهم هذا العام - ١٩٨٤م - حسبما تقول الصحف والأنباء .

النبوءات الكاذبة لماركس

بعد تاميم وسائل الإنتاج لم تنته الدولة كما تنبأ (ماركس) بل على العكس زادت سلطة وقوة ؛ و (فائض القيمة) الذي ركَّز عليه (ماركس) في كتابه (راس المال) تحوَّل من الراسماليين إلى (النومنكلاتورا) .. الصفوة المختارة من أعضاء الحزب الشيوعي الحاكم .

وذكر المؤلف نكتة تروى عن (ستالين) على لسان (لينين) فلقد وصف هذا الأخير (ستالين) متهكماً بقوله : « إن (ستالين) هو جنكيز خان الذي قرا كتاب (راس المال) » .

والحقيقة أن (النومنكلاتورا) نظمت - بكامل وعيها - « الإنتاج الاشتراكي » باستغلال العمال كما يستغلهم الراسماليون تماماً ، فالاقتصاد السياسي الماركسي يقول : إن هناك طريقتين لزيادة (فائض القيمة) في الإنتاج : اولاً - إمَّا بزيادة ساعات العمل ، أو ثانياً - بتخفيض الوقت اللازم للإنتاج . والطريقة الثانية تؤدي في النهاية إلى خفض اجور العمال ؛ ولقد اتبعت (النومنكلاتورا) الطريقتين معاً : اي زادت ساعات العمل للعمال وخفَّضت اجورهم . (ص : ١٨٣) .

وفرضت (النومنكلاتورا) نظام عمل قاسياً ، واعلن (ستالين) قانوناً للعمل تخلَّصت أوروبا من مثله قبل سنوات طويلة ، ففي ٢٦ حزيران

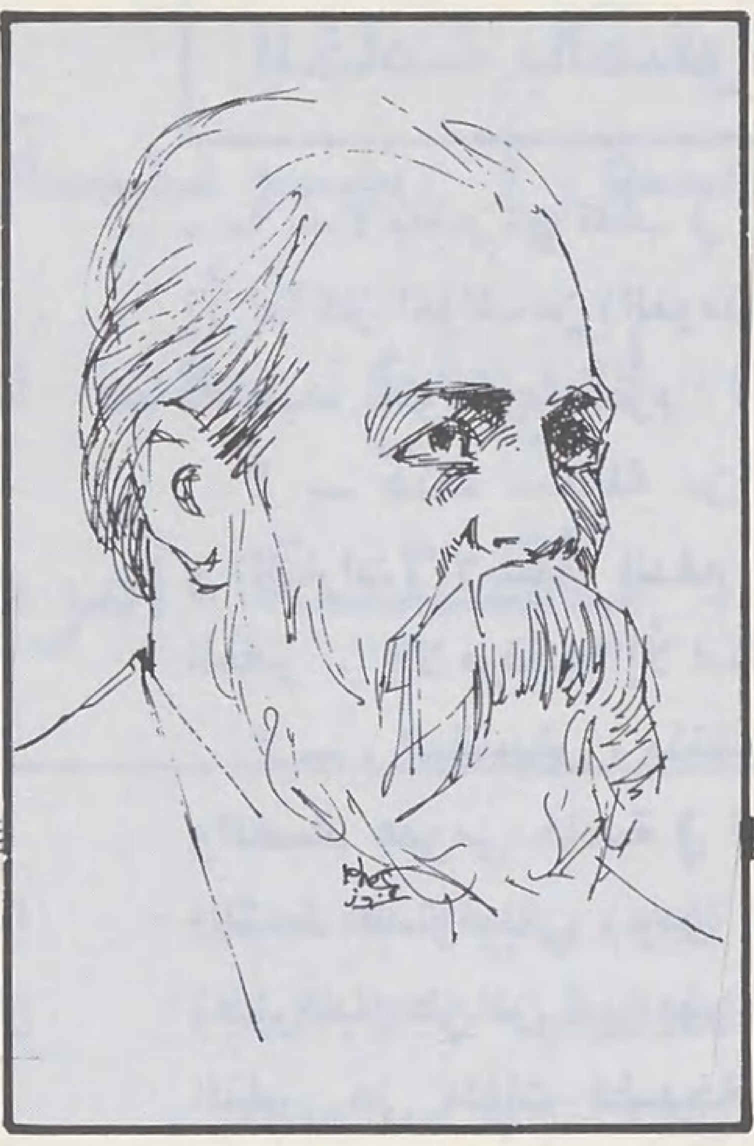

■ أنجلز : التأميم ليس إنهاء للاستغلال بل هو تغيير في شكل الاستغلال ..■

■ ستالين : هو جنكيزخان الذي قرأ كتاب (راس المال) ■

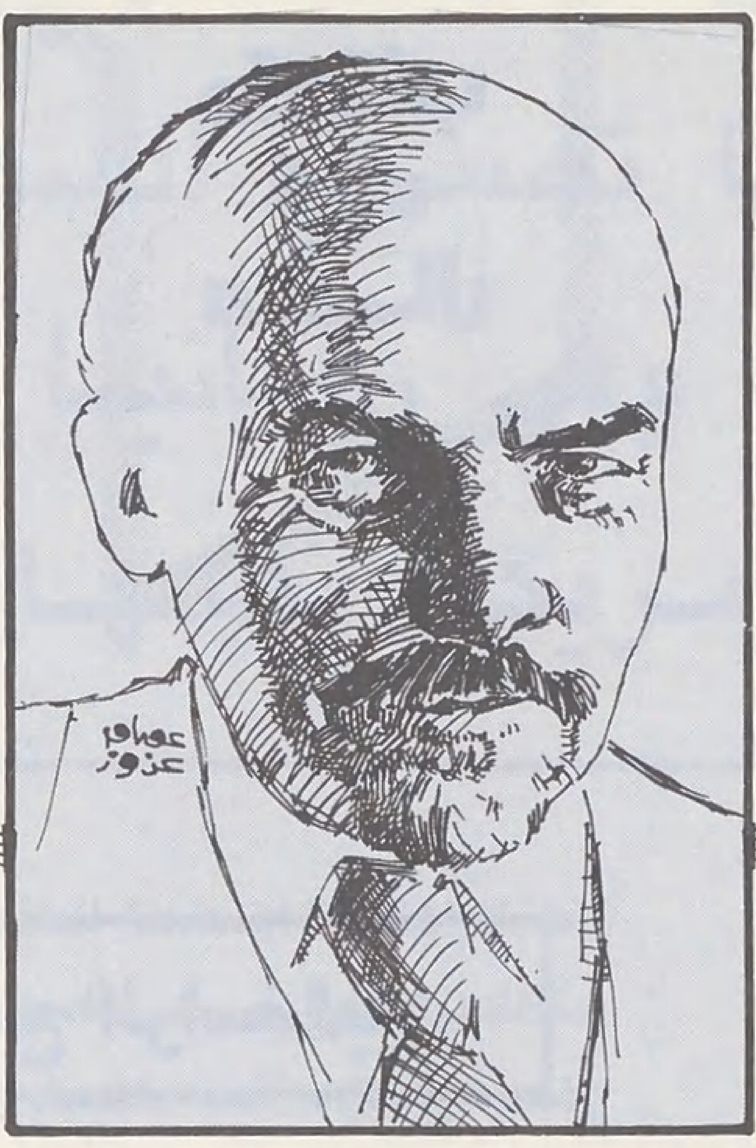

■ لينين : نبوءته بأن الاشتراكية وحدها هي التي تسمح بتنمية واسعة للإنتاج كذبها الواقع ■

(يونيو) عام ١٩٤٠م اصدر (البريزيديوم) مرسوماً يُحوِّل كل عامل إلى المحكمة إذا تغيب عن عمله ، أو إذا تاخر عشرين دقيقة عن بدء ساعات العمل ، ليحكم عليه بالأشغال الشاقة . وعيَّنت الدولة أطباء ، أمرتهم ألَّا يُعطوا إجازات مرضية إلَّا للحالات الخطيرة . (ص : ١٨٤) .

والخطة الخمسية ـ التنموية ـ للاتحاد السوفييتي التي أعلنها المؤتمر الخامس والعشرون للحزب الشيوعي وعدت بجعل معدل المرتب للعامل عام ١٩٨٠م (١٧٠ روبلًا) في الشهر ، وكان العامل الفرنسي بالمقابل ، يقبض ثلاثة أضعاف هذا المرتب ، بل إن العاطل عن العمل في فرنسا كان يقبض تعويضاً ضعف المرتب الموعود للعامل السوفييتي ... ومع ذلك فالوعد بدفع (١٧٠ روبلًا) لم يتحقق . (ص : ١٩٢) .

تنبأ (لينين) ـ وكانت النبوءة كاذبة كالعادة ـ « بأن الاشتراكية وحدها هي التي تسمح بتنميةٍ واسعة للإنتاج الاشتراكي وتوزيع المنتجات وريعها ... وذلك بتسييرها حسب الاعتبارات العلمية من أجل تامين حياة سهلة للعمال بتوفير كل متطلبات العيش الهنيء » .

ويعقِّب (فوسلنسكي) على هذا الوعد بقوله : « لقد ثبت أن كل هذا كان « كلاماً فارغاً » ؛ فلقد ظهر بوضوح في السنوات الستين الماضية أن مستوى المعيشة لشعوب « الاشتراكية الحقيقية » !! هو أدنى من المستوى في البلاد الراسمالية . فإذا قارنَّا بين مستوى المعيشة في كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ، أو بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية ، أو بين النمسا وتشيكوسلوفاكيا نجد البرهان ، ويتساءل المؤلف : لماذا يعمل الناس بصورة سيئة في بلاد « الاشتراكية الحقيقية » ؟!! بينما يغسلون أدمغتهم هناك بالدعاية القائلة : إن العامل هو المالك ؟

ويجيب المؤلف : لأنهم مُستغَلُّون بصورة قاسية من قبل (النومنكلاتورا) التي يعملون في الحقيقة من أجل رفاهها هي فقط ؛ وكلما زادت في استغلالها للعمال قل اهتمام هؤلاء بنتائج أعمالهم . (ص : ١٩٥) .

صحيح إن المساكن رخيصة ـ نسبياً ـ في الاتحاد السوفييتي إلَّا أنَّه من الخطأ التفكير أن المواطن السوفييتي يستطيع الحصول على مسكن بمساحة (١٠٠) متر مربع كما هو الحال غالباً في الغرب ـ غير الشيوعي ـ ؛ فالواقع أن المسموح به للشخص الواحد هو (٩) أمتار مربعة ، فهل يستطيع زوج وامراته وولده أن يعيشوا في مسكن مساحته الإجمالية (٢٧) متراً مربعاً فقط ؟ هذا هو حجم العائلة السوفييتية متوسطة الحال .

صحيح إن الخبز والمعكرونة والبطاطس والحليب والخُضار والذرة والمنتجات الأساسية الأخرى رخيصة ... ولكن اللحم والسمك والدجاج والفواكه والشوكولاتة والقهوة والتوابل غالية ونادرة وقليلة العرض ، لذلك تصرف العائلة السوفييتية ٨٠٪ من متوسط دخلها على الطعام . (ص : ١٩٦) .

مستوى الخدمات

صحيح إن الخدمات الطبية مجانية إلَّا أن المستوصفات والمشافي المخصصة للشعب مكتظة دائماً ، ويحتاج المريض الانتظار ساعاتٍ للوصول إلى الطبيب الذي يعطي من وقته (١٥) دقيقة فقط للمريض الواحد ، ونصف هذا الوقت يضيع على ملء الاستمارات وتوقيع البطاقة الصحية [وعلى الطبيب أن يقوم بهذا العمل الكتابي بنفسه لعدم وجود عدد كافٍ من الممرضات] ، وهكذا بدأت عادة (الإهداء) للطبيب والممرضة ، بل ودفع المال لهما مقابل خدماتهما ، لذا فمجانية الخدمات لم تعد مُؤَمَّنَة ، ويقول المؤلف : « ألم يكن من الأفضل تطبيق التأمين الصحي حيث يستطيع المريض الذي يسهم في المصروفات اختيار الطبيب الذي يريده ؟ » .

هذا عن الجماهير الكادحة ، أمَّا (النومنكلاتورا) من صفوة أعضاء الحزب فيستطيعون ـ مع عائلاتهم ـ الحصول على منزل بمساحة (١٠٠) متر مربع ، وعلى فيلا ـ داتشا ـ للاستجمام والراحة ، وعلى الدخول للاستشفاء في أحسن دور العلاج ، وعلى الحصول على سيارة ، بل وعلى سائق خاص .

التناقض في الصناعة

الطبقة الشيوعية الحاكمة ، ليست ـ كالراسماليين ـ بحاجة للاهتمام بالنقود ، فالدولة هي بين أيديها وتستطيع ـ متى شاءت ـ طبع الكميات اللازمة من العملة ؛ وفي ميدان الصناعة لا تحتاج الدولة الشيوعية لتصنيع بضائعها حسب حاجة أو رغبة المستهلك المحلي ، أما المواد الاستهلاكية الكمالية فيمكن تامينها للطبقة الحاكمة بسهولة عن طريق الاستيراد ؛ ومن هنا جاءت الحاجة للصناعات الثقيلة لتصديرها والحصول على القطع النادرة لتغطية هذا الاستيراد .

وعندما يفهم الغريب هذا الواقع لا يتعجب بعد ذلك من بلدٍ مثل الاتحاد السوفييتي يُصنِّع الصواريخ التي تصل للكواكب .. في الوقت الذي لمَّا يَحُلّ فيه بعد مشكلة إنتاج أحذية جيدة كافية لأفراد الشعب ، ولم يستطع الوصول للاكتفاء الذاتي من الحبوب مع أنه أوسع بلد في العالم حسب مساحته ، وله تقليد تاريخي عريق يفوق الألف عام في مجال الزراعة .

كتاب في مقال

التعاون مع الرأسماليين

يقول (فوسلنسكي): من المعروف تماماً ان حجم الاستثمارات في بلاد (الاشتراكية الحقيقية)! بالنسبة للإنتاج القومي، يُمثل نسبة اعلى مما هو عليه الأمر في البلاد الرأسمالية، وهذا يتاتى من (فائض القيمة)؛ لذا فالفرق بين حجم الاستثمارات في المعسكرين يعكس إنتاج فائض القيمة لكل فرد عامل. وبما ان الإنتاجية الاشتراكية اضعف مما هي عليه في الدول الرأسمالية المتقدمة، فالنتيجة هي ان العمال في الدول الاشتراكية يُنتجون اقل من رفاقهم في الدول الرأسمالية ... إلّا انهم يُوفِّرون للدولة (فائض قيمةٍ) اعلى! ولا تفسير لهذا التناقض إلّا بارتفاع محسوس لنسبة استغلال العمال في الدول الاشتراكية، وفي طليعة هذا الاستغلال: الأجور الزهيدة؛ لذا عمدت (النومنكلاتورا) إلى تقاسم ارباحها - من فائض القيمة - مع الرأسمالية الغربية ... على حساب عمالها طبعاً؛ ففي إطار التعاون الاقتصادي بين دول ذات انظمة مختلفة - وطالما تباهوا بهذا التعاون - نرى اموراً غريبة: ففي بلغاريا - مثلاً - تُصنَّع السجائر الأمريكية لتباع بعد ذلك في الغرب، وفي رومانيا تُصنَّع الملابس باقمشة امريكية لتباع بعد ذلك في امريكا نفسها؛ ويمكننا ان نتصور فروق اجور العمال في المعسكرين عندما نعلم ان هناك مصاريف التوضيب والشحن والنقل والتامين، مُضافةً إليها ارباح البائع الأمريكي الذي يستفيد، رغم هذه المصاريف الإضافية، اكثر مما لو صنَّع هذه الملابس في الولايات المتحدة.

ويختم الكاتب هذا الموضوع بقوله: «وهذه المقارنة ... تُذكِّرنا بالاستعمار»!! (ص: ٢٠٢ - ٢٠٣).

الضـــــرائب

يقول الكاتب: عندما كان (لينين) - قبل الثورة - يهاجم القياصرة ويستنكر جرائمهم كان يهاجم بشدةٍ الضرائب غير المباشرة «الضرائب غير المباشرة فيها اكبر قدر من الظلم، فكلما زاد غنى الفرد قَلَّ دفعهُ للضرائب غير المباشرة، فهذه الضرائب تقع على كاهل الفقير». ويعود الكاتب ليذكِّر ان هذا هو بالذات ما فرضته (النومنكلاتورا) تحت اسماء مختلفة: مثل ضريبة البيع التي تضم إلى سعر الحاجيات وتكون الفرق بين هذا والسعر الأصلي للتكلفة. ويتابع المؤلف كلامه قائلاً: لناخذ مثلاً من اواخر عهد (خروتشيف) حيث خُفِّفت الرقابة نسبياً على النشر فعلمنا ان الضرائب الإضافية كانت تشكل من ٥٠٪ إلى ٧٠٪ من ثمن الحاجيات؛ ثم يتساءل الكاتب: اين تذهب هذه الأرباح؟ ويجيب: لا يمكن للصفوة الحاكمة ان تستهلكها كُلَّها على افرادها، بل يذهب قسم منها على حاجات الطبقة الحاكمة.. كطبقة، ولا علاقة لهذه الحاجات بالأيديولوجيات الاشتراكية بل بمصالح الطبقة الحاكمة، فهناك مصاريف على الحزب واجهزته والمخابرات (KGB) والقوات المسلحة وصناعة السلاح وعلى بيوت الإصلاح والسجون ومعسكرات الاعتقال والمحاكم والميليشيا، كذلك على اجهزة الدعاية والعلاقات الخارجية - السياسية والاقتصادية والثقافية -، وفي المدخرات الاشتراكية (!) التي توضع في استثمارات جماعية لزيادة الممتلكات!!..

اما المصاريف على العلم والثقافة والصحة والرياضة فتاتي في النهاية. (ص ٢٠٥ - ٢٠٧).

العمـــل القســري

يقول الكاتب: في مجتمع العبيد - كما هو الأمر في المجتمع الإقطاعي - لا يعمل العامل لأنه يريد ان يربح ما يكفيه للعيش بل لانه مجبر بالقوة على العمل. وفي المجتمع الراسمالي يبيع الرجل العامل جهده وقُوَّتَهُ للمستخدم، وفي ذلك بعض من التقييد طبعاً إنما هو قيد اقتصادي يفرض عليه العمل، إلّا انه - مبدئياً - غير مجبر قانوناً على العمل. اما في بلاد (الاشتراكية الحقيقية)!! فهناك عقوبة قانونية تطبق على من يقول بعدم جدوى العمل، وهذا القانون لا يُطبق على زوجات واولاد الطبقة الحاكمة من صفوة الحزب الشيوعي، ولا يُطلق على هؤلاء تهمة «طفيلي» عندما لا يعملون ... والعامل في المجتمع الشيوعي يعتبر نفسه قائماً بعمل قسري مع انه في الظاهر حُرٌّ في اختيار وتغيير عمله؛ ومع كُلِّ (الكلمات الحلوة) عن العمل في الاتحاد السوفييتي فالواقع ان العامل هناك يعيش في ظل نظام مفروض، مثل مجتمع العبيد والإقطاعيين. (ص ٢١٠ - ٢١١).

من الامتيـــازات الخاصة بالصفوة الحاكمة

١ - لا يُنشر اي كتاب في الاتحاد السوفييتي إلّا إذا كان المؤلف من (النومنكلاتورا) ... ويُدْفَعُ له طبعاً تعويض محترم!

٢ - هناك سلسلة من المطاعم والمخازن و(البارات) لا يُقبَلُ الدفع فيها إلّا بالقطع النادر ... ولا يرتادها إلّا ابناء (الصفوة).

٣ - «البقشيش» منتشر بصورة واسعة، والفساد عمومي خاصة في القسم الآسيوي من الاتحاد السوفييتي، ومن المعروف ان منطقة (جورجيا) هي من ابرز بؤر الفساد، ولو اطلع الناس على ملفات فضيحة سكرتير الحزب الشيوعي في جورجيا لنسوا فضيحة (لوكْهِيدْ) العالمية!!!

٤ - شراء الوظائف: منصب النائب العام في اذربيجان بيع عام ١٩٦٩م بثلاثين الف روبل، اما رئيس لجنة ميليشيا الحزب فَدُفِعَ في منصبه خمسون الفاً من الروبلات، واما السكرتير الأول للجنة المنطقة فكان بمائتي الف روبل، والسكرتير الثاني بمائة الف روبل؛ وكانت كلفة منصب وزير تجارة مائتين وخمسين الف روبل. (ص ٢٣٠ - ٢٣١).

وقد قُدِّمت هذه الحقائق في تقرير سري لسكرتير الحزب الشيوعي في اذربيجان (ج. عَلِيِّيف) الذي اصبح في مركز مرموق جداً في موسكو (عضو المكتب السياسي)، وذلك في ٢٠ آذار (مارس) عام ١٩٧٠م، وبالمناسبة كان (عَلِيِّيف) رئيس المخابرات (KGB) في اذربيجان قبل ان يستلم سكرتارية الحزب.

٥ - الأموال الخاصة: نقل الكاتب على لسان (زِمْتُوف) ان السكرتير الأول للجنة المنطقة في (باكو) واسمه (ماميدوف) قد وضع في صندوق التوفير - باسم زوجته - مبلغ مائة وخمسة وتسعين الف روبل، وهذا اجْرُ عامل متوسط لمدة مائة وستين سنة.

٦ - بينما لا يحصل المواطن السوفييتي على اكثر من مساحة سبعة امتار مربعة للسكن تعيش الصفوة الشيوعية الحاكمة في قصور تسمى «الداتشا»، ويذكر المؤلف بعض امثلة الأبنية الفخمة والقصور التي كان يسكنها (ستالين) و(مالِنْكوف) و(ميكويان) ويذكر ايضاً على لسان (سفتلانا) بنت (ستالين) ان اخاها (فاسيلي) كان يسكن بيتاً فخماً ويستعمل سيارات عدّة، ويُربي الأحصنة والكلاب على حساب المال العام؛ وذكر المؤلف انه راى بعينه السجاجيد الحُمر على مدخل داتشا (خروتشيف) وشاهد المعاملة الخاصة لابنة (كوسيجن)، وروى قصة الخزانة الكهربائية لابنة (بريجنيف) واسمها (غالينا)، والتي كانت

■ في إطار التعاون الاقتصادي بين دول ذات أنظمة مختلفة نرىٰ أموراً غريبة : ففي بلغاريا تصنع السجاير الأمريكية لتباع بعد ذلك في أمريكا ، وفي رومانيا تصنع الملابس بأقمشة أمريكية لتباع في أمريكا نفسها !! ■

تتباهى بما فيها من (فِرَاء) وهذه أشياء ثمينة لا يعرفها المواطن السوفييتي العادي إلَّا إذا شاهد في الأفلام الأمريكية مثيلها عند أصحاب المليارات من الدولارات .

٧ ــ الانفصال الكامل بين الصفوة الحاكمة وبقية المواطنين ، ولا لقاء بينهم إلَّا في مناسبات رسمية محدودة مع ان الحزب الشيوعي يدّعي في شعاراته التي يلوكها اعضاؤه (التلاحم) مع الجماهير !!

ويختم المؤلف كلامه عن هذه الامتيازات قائلاً : « لا مجال لمقارنة هذه الطبقة ببرجوازية الغرب ، ففي هذه الأخيرة المال يأتي بالامتيازات ... أمَّا في النظام الشيوعي فالأمر على العكس : الامتيازات ـ الحزبية ـ هي التي تجلب المال !

(النومنكلاتورا) هي الطبقة الطفيلية

يقول الكاتب : إن هذه الطبقة كلّفت الاتحاد السوفييتي غالياً ، ويُعدِّدُ العدد الهائل من البشر الذين استؤصلوا جسدياً ، ولقد قدَّر البروفسور (كورغانوف) الفرق بين عدد السكان ما بين عام ١٩١٧م و ١٩٥٩م ، والعدد الذي كان يجب ان يكون ـ لو لم تحصل التصفيات ـ حسب النمو السكاني الطبيعي ، فوجد أنَّ (١١٠) ملايين شخص فقدوا خلال هذه الفترة .

ويُعلِّق الكاتب : هذه هي القيمة الغالية في الأرواح البشرية التي دفعتها البلاد لديكتاتورية (الصفوة الشيوعية) ؛ ويقول المؤلف : إن اكثر من نصف هذا العدد أي (٦٥ مليوناً) كانوا ضحايا إعدامات واغتيالات وفناء من الجوع والمرض في معسكرات الاعتقال . (ص : ٤٠٨) .

وكان من نتيجة هذه الطبقة الشيوعية الجديدة : زوال الحرية ، وخنق كل فِكْرٍ حر ، وإيقاف اي تبادل وتلاقح فكري طبيعي بين المواطنين ابناء البلد الواحد او بينهم وبين الخارج ، وكانت الأضرار الحاصلة مؤثرة مادياً ومعنوياً .

ويذكر المؤلف الجوانب الإيجابية التي جاءت بعد الثورة الاشتراكية فيقول : السكن والنقل رخيصان نسبياً ، والخدمات الطبية مجانية ، وتذاكر المسرح والسينما وكذلك الصحف والمجلات رخيصة ايضاً ، ولكن كل هذه تدار باسلوب سيء ، وليس هناك بطالة ظاهرة ؛ إلَّا لن تجميد الأجور زاد من نسبة استغلال الكادحين ؛ ويمكن الموافقة على المجهودات التي قامت لتحسين الأخلاق العامة مع ان النتائج لم تكن إيجابية للحد الذي تتعادل في والسلبيات الحاصلة نتيجة الفلسفة المنحلة لـ (لينين) ، والضربات التي كالها للدين .

ولكن كل هذه الإيجابيات لا توازي ملايين الضحايا الذين قضوا ، والفقر والظلم والكبت وإبقاء البلد في حالة متاخرة ... ويتابع المؤلف تعليقه قائلاً :

« صحيح أن الاتحاد السوفييتي واجه مصاعب موضوعية إلَّا ان بعض المحللين الغربيين يميلون لتضخيم هذه المصاعب ، وكثيراً ما سمعت أناساً يعلقون : « لا يمكن مقارنة روسيا بالدول الغربية ، فروسيا كانت بلاداً فقيرة » !! ويقول المؤلف : « كنت اظن انا ايضاً ان الامر كذلك إلَّا انني شاهدت بعد ذلك بلاد الغرب : فهي بلاد تكاد لا تملك اية موارد طبيعية مع ان اقتصادها مزدهر ، ففهمت حينئذ الأمر ؛ إن روسيا بلاد غنية جداً إلَّا انها كانت تُحكم دائماً باسلوب سيء من الامراء اولاً ثم من القياصرة والنبلاء .. والآن من السكرتارية العامة للصفوة الشيوعية ـ النومنكلاتورا ـ » .

ويعود المؤلف لذكر مظاهر طفيلية اخرىٰ في النظام الشيوعي ، وهي ازدواجية القيادة ، فهناك الحزب وهناك الدولة ؛ وقال : إن (ماركس) كتب التالي : « ليس ضمير الإنسان هو الذي يحدد شخصيته بل العكس ، إن شخصية الإنسان الاجتماعية هي التي تحدد ضميره » ويعلق المؤلف على هذا القول : « وهكذا الشخصية الاجتماعية (للنومنكلاتورا) وهي الطبقة المتميزة المستغلة الطفيلية التي تمارس سلطة ديكتاتورية ، هي نفسها التي تحدد كُلّياً (ضميرها) ، اما المبادىء الأخلاقية (للنومنكلاتورا) فمردها لأبويها (لينين وستالين) ، كان لينين يعظ الشيوعيين الشباب بقوله : « نحن نرفض كل الأخلاقيات التي تنطلق من افكار خارجة عن الإنسان وعن الطبقات ، ونقول : إن اخلاقنا هي مرهونة كلياً بمصالح نضال طبقة البروليتاريا (أي الصراع لإقامة ديكتاتورية النومنكلاتورا) ! ، ونقول : إن كل ما يسهم في تدمير المجتمع القديم للمستغلين وتجميع كل العمال حول البروليتاريا هو اخلاقي » (أي تبلور طبقة جديدة مستغلة من قبل من يدعون انهم هم طليعة البروليتاريا) . ويذكر المؤلف ان عضو الصفوة الحاكمة لا يستطيع الاحتفاظ بمنصبه إلَّا بالتزلف لرئيسه ، لذلك لا يستغرب ـ في سباق الوصول للسلطة والاحتفاظ بها ـ ألَّا يكون هناك ايّة قيم او مُثُل او اخلاق ، ويختم المؤلف الموضوع بقوله : لم اجد في ايَّة بيئة أخرىٰ كمية مماثلة من النفاق والمناورات والخداع التي تظهر تحت شعار « الأمانة على مبادىء الحزب » !!

هذه هي الماركسية في الحكم : ... استغلال للكادحين ، وفساد في السلطة ، وتكريس للطبقية والظلم الاجتماعي ، واحتكار للموارد ، وديكتاتورية حزبية مقيتة ... ؛ فهل يتعظ المخدوعون بالشعارات ، خاصة في العالم الثالث ؟ الفلسفات المادية ـ بانواعها ـ فاشلة مهزومة لا تضمن للإنسان الأمان المادي والروحي الذي ينشده ، ولا حَلَّ إلَّا في القيم الدينية الأصيلة ... و ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾ .

(*) إصدار بيير بِلْفُوند BIERRE BELFOND (مترجم من الألمانية إلى الفرنسية) ـ عام ١٩٨٠م .

(١) وهذا يذكرنا بإحصاءات بعض الأنظمة في منطقتنا ، والتي كانت تعلن على الهواء في خطاب سنوي يدوم ساعات لتعكس الأرقام تقدُّماً اقتصادياً ... بينما الواقع كان العكس !!!

صغيرتي

شَوْقِي إِلَيْكِ طَغَىٰ عَلَىٰ شَوْقِي إِلى نُورِ الوُجُودْ .
أَوَتَسْأَلِينَ صَغِيرَتِي فِيمَ السَّلاسِلُ وَالقُيُودْ ؟
مَاذا أَقُولُ بُنَيَّتِي لاَ زِلْتِ فِي عَهْدٍ سَعِيدْ .
هَلْ تُدْرِكِينَ البَطش تَبْ......طِشُهُ الأَفَاعِي والأسُودْ .
هَلْ تَعْرِفِينَ الهَوْلَ تَنْ......شُرُهُ البَنَادِقُ وَالجُنُودْ .
جَاؤُوا بِلَيْلٍ مِثْلَمَا تَأْتِي العَوَاصِفُ والرُّعُودْ .
رَجُّوا بِجبنِكِ عُنْوَةً والسَّوْطُ يَفْتِكُ بِالجُلُودْ .

****

أَوَتَعْرِفِينَ حَبِيبَتِي فِيمَ السَّلاسِلُ وَالقُيُودْ ؟
مَا عِشْتُ يَوْماً مُفْسِداً مَا خُنْتُ يَوماً لِلعُهُودْ .
مَا كُنْتُ أَقْرَبُ مُنْكَراً مَا حِدْتُ عَنْ قَوْلٍ سَدِيدْ .
يَا نَبْضَ قَلْبِي تُهْمَتِي مَا تُهْمَتِي إِلاَّ السُّجُودْ .

****

قَالُوا أَتَهْجُو نَهْجَنَا نَهْجَ الفِرَنْسَةِ وَاليَهُودْ ؟!
وَتُرِيدُ شِرْعَةَ رَبِّنَا تَعْلُو ؟ فَمَا هٰذا الجُحُودْ ؟!
إِفْكاً تُنَادِي بَلْ هَوىً أَبْشِرْ سَتُذْبَحُ لِلوَرِيدْ !
كَذَبُوا فَمَالِي مَأْرَبٌ غَيْرَ الصَّلاحِ .. لِمَ الصُّدُودْ ؟!
أَعَمىً أَصَابَ قُلُوبَكُمْ أَمْ خِفْتُمُ المَوْلَىٰ يَحِيدْ ؟!
أَمْ رِيبَةٌ لَمْ تُذْعِنُوا وَتُحَكِّمُوا شَرْعَ المَجِيدْ ؟!
يَا قَوْمِ رِفْقاً وَيْحَكُمْ أَنَسِيتُمُ البَارِي الوَدُودْ .
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ نَاراً تَتُوقُ إِلى المَزِيدْ .
يَا قَوْمِ هَاتُوا كَيْدَكُمْ إِنِّي مَعِي رَبٌّ يَكِيدْ .

****

شَيْمَاءُ تِلْكَ حِكَايَتِي وَصَحَابَتِي لَسْتُ الوَحِيدْ .
هَزَّتْ يَرَاعاً غَافِلاً مَا خَطَّ مِنْ قَبْلُ القَصِيدْ .
فَبَكَىٰ تَعَاسَةَ مُسْلِمٍ فِي عَصْرِنَا يَحْيَا طَرِيدْ .

****

هَلْ تَقْلَقِينَ صَغِيرَتِي إِنِّي أُؤَمِّلُ أَنْ أَعُودْ
وَيَعُودُ يَحْكُمُ شَرْعُنَا وَنَعُودُ نَنْعَمُ بِالوُرُودْ .
فَاللَّيْلُ مَهْمَا يَغْشَنَا فَسَيُشْرِقُ الفَجْرُ الوَلِيدْ .

شعر : عصام الدين هنداوي غريب

المنهج العصري في سلفية الإمام ابن باديس

■■ التقت فلول الصليبية العالمية في احتفال كبير عام ١٩٣٠م بالجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها ، وراحوا يهنىء بعضهم بعضاً ، وفي العام التالي سمع الناس عن تأسيس جمعية دينية ترفع الشعارات التالية :

- الإسلام دين الله الذي وضعه لهداية عباده ، وأرسل به جميع رسله ، وأكمله على يد نبيه محمد ﷺ الذي لا نبي بعده .
- الإسلام دين البشرية الذي لا تسعد إلّا به .
- القرآن كتاب الإسلام ، والسنة الصحيحة تفسير وبيان للقرآن ، وسلوك السلف الصالح تطبيق صحيح لهدي الإسلام .
- ندعوا إلى ما دعا إليه الإسلام ، وما بيّناه من العمل بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح من الأئمة .

وكان وراء هذه المبادىء والشعارات قصة دعوة وحركة إصلاح . بدأها عبد الحميد بن باديس ، فتىً يافعاً في سن الرابعة والعشرين من عمره إثر عودته من الحجاز بعد أداء فريضة الحج عام ١٩١٣م ، متخذاً من مدينة قسنطينة مسقط رأسه مركزاً لجهاده ، ومنطلقاً لدعوته التي حدد معالمها ورسم مناهجها في إطار يمكن أن نصفه بأنه : إحياء الماضي بأسلوب الحاضر أو « بعث السلفية بمناهج عصرية » ■■

بقلم :
د : أحمد سيد محمد

المنهج العصري

لقد قامت دعوة ابن باديس على أساس من فهمه الدقيق لعقيدته الإسلامية ، وتجارب إخوانه المجاهدين السلفيين ، فباسم العقيدة الصافية انتشر الإسلام في الأرض وملك القلوب . وكلما ران عليها ما يكدر صفاءها قيض الله لها رجالاً يكشفون النقاب عن وجهها المشرق ، من أمثال : ابن تيمية ، ومحمد بن عبد الوهاب ، والشيخ محمد عبده وغيرهم .

ووضع ابن باديس لتحقيق دعوته منهجاً قائماً على أساس من وعيه العميق - أيضاً - بطبيعة شعبه ، وروح عصره ، وواقع بيئته وظروفها .

فبلاد المغرب العربي كلها بلاد مفتوحة على أوروبا بحكم الموقع الجغرافي ، مما جعل حركة التأثير والتأثر بينها وبين أوروبا سريعة ومتبادلة على مرّ التاريخ .

وقد شهد تاريخ المنطقة - كما شهدت مناطق أخرى - تطويراً في أساليب الحركة الاستعمارية ، وما واكبها من نشاط المستشرقين والمنصِّرين .

وكانت نوعيات سكان الجزائر متباينة في الفترة التي شهدت جهاد ابن باديس وانتشار حركته ؛ فهناك المستعمرون الفرنسيون الذين جمعوا بأيديهم السلطة وإدارة شؤون البلاد، وهناك المعمرون ، وهم خليط من شعوب أوروبية مكنتهم السلطة الحاكمة من الاستيطان ، وآلت إلى أيديهم الثروات الزراعية ، وهناك الجزائريون ، وهم فئات مختلفة ، منهم الموظفون الرسميون لدى السلطة الحاكمة سواء في الشؤون المدنية أو الدينية كأئمة المساجد الرسمية ؛ ومنهم « الطُرُقيون » الذين انتشرت بينهم البدع والخرافات ، والتفَّ حولهم كثير من الجهال ؛ ومنهم المثقفون ثقافة فرنسية ، يرون نهضة بلادهم في ظل نوع ما من العلاقات بفرنسا ، بحكم انتمائهم الثقافي ؛ ومنهم طائفة المغلوبين على أمرهم من الذين استعصموا بما ورثوه من عقيدتهم وعاداتهم قَدْر جهدهم وطاقتهم .

إن التعامل مع معطيات : القهر والعلاقات الديمغرافيَّة ، والانتماء الثقافي ، ومكونات الشخصية بشتى أبعادها حدَّد منهج العصرية في دعوة ابن باديس إلى السلفية ، وجمع في منهجه أساليب البناء التي أسس بها المسلمون الأولون دعوتهم إلى جانب معاول الهدم التي حارب بها المستعمرون وأعوانهم الخونة أُمَّته فخاض معارك التعليم ، والوعظ والإرشاد ، والخطابة ، والصحافة ، والسياسة ، وكتابة الأناشيد الحماسية لبعث أمَّة ومواجهة تحديات ظروفها المختلفة .

« الاستعمار والأميَّة حليفان متعاهدان ، فإن تركت الأمية موقعاً من مواقعها وَثَّقت بذلك عُرى الصداقة مع حليفها حيث يحقق أهدافه في اكتساب نفر ، هم - في نظره - القادرون على التغيير ، وهكذا مضت مسيرة التعليم في الجزائر . مناهج ونظم وأسلوب تربية « مفرنسة » ، تستوعب أبناء الفرنسيين والتابعين لهم من المقيمين بالجزائر ، وتمتد إلى عدد ضئيل من أبناء الجزائريين الذين سوف يرتبطون نوعاً ما من الارتباط بحكم الانتماء الثقافي بمصادر ثقافتهم بعد إتمام دراستهم ، فأسس ابن باديس تعليماً أطلق عليه اسم التعليم الحر يعتمد على الجهود الذاتية ، ويهدف إلى تحقيق المبادئ التالية : الإسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا ...

ومارس نشاطه بإلقاء الدروس في الجامع الأخضر بقسنطينة صباحاً مع الصغار ، ومساء مع الكبار ، وخص الشابات بوقت يفقههن في أثنائه في الدين ، ويعدهن لشؤون خطيرة في تربية النشء وبناء البلاد والمشاركة في إدارتها .

■ قام منهج ابن باديس على وعيه العميق بطبيعة شعبه ، وروح عصره ، وواقع بيئته وظروفها ، وكانت مرتكزاته : الإسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا . ■

لقد استل ابن باديس خنجر المستعمرين ورماهم به بعد أن تحصنوا في قلاع التنصير في بلاد القبائل وجنوبي الصحراء تحت ستار التعليم ، ولما أفاقوا وأخذوا يعرقلون المسيرة كانت إرادة الله فوق إرادتهم ، ويأبى الله إلَّا أن يتم نوره ولو كره المجرمون .

وأعاد ابن باديس أسلوب الإعلام الذي استخدمه المسلمون الأولون فكانت منابر المساجد تعلن القرارات الخطيرة في الشؤون الدينية والسياسية والاجتماعية ، واستعان ابن باديس بالكلمة المكتوبة فأنشأ الصحافة ؛ وحاربها المستعمرون بكل قوة ولكن تعددت أسماء الصحف التي نشر من خلالها دعوته ، فكانت « المنتقد »

في سلفية الإمام ابن باديس

أسبقها، و « البصائر » آخرها، وبينهما « السنة » و « الشريعة » و « الصراط » و « الشهاب » واستمرت « البصائر » تؤدي رسالتها بعد وفاة ابن باديس ولم تتوقف عن الظهور إلاّ فترة قصيرة خلال الحرب العالمية الثانية حتى توقفت عاماً عام ١٩٥٧م بعد اندلاع حرب التحرير، وخاض ابن باديس غمار السياسة التي فرضتها ظروف العصر والبيئة مبرراً ذلك بقوله:

« ما العيب الذي يعاب به علماء المسلمين إذا شاركوا في السياسة، فهل خلت المجالس النيابية الكبرى والصغرى من رجال الديانات الأخرى؟ وهل كانت الأكاديمية الفرنسية خالية من آثار القسيس « رشاليو Richelieu » .

وراح ابن باديس ينادي بحرية الجزائر قائلاً:

« إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة، ولسنا من الذين يدّعون علم الغيب مع الله ويقولون: إن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد، فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أن يزداد تقلبها وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالاً واسعاً تعتمد عليه فرنسا اعتماد الحر على الحر » .

وانطلاقاً من روح العصر راح ابن باديس يخاطب أمَّته بالقرآن والسنة مفسراً وشارحاً، موجهاً وواعظاً بمنهج عصري، فكان يربط في شرحه بين الدين والدنيا، ويتخذ من الدين أساساً لبناء المجتمع والنهوض به، فبعد أن يفسر الآية الكريمة ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ قال: « في ربط الصلاة بالأوقات تعليم لنا لنربط أمورنا بالأوقات، ونجعل لكل عمل وقته؛ وبذلك ينضبط للإنسان أمر حياته، وتطّرد له أعماله، ويسهل عليه القيام بالكثير منها، أما إذا ترك أعماله مهملة غير مرتبطة بوقت فإنه لا بد أن يضطرب عليه أمره، ويشوش باله، ولا يأتي إلاّ بالعمل القليل، ويحرم لذة العمل، وإذا حرم لذة العمل أصابه الكسل والضجر، فقل سعيه وما كان يأتي به من عمل على قلته وتشوشه بعيداً عن أي إتقان ... » .

وبعد أن يفرغ ابن باديس من شرح الحديث النبوي الشريف: « إذا سمعت الرجل يقول: هلك الناسُ فهو أهلكهم » يعلق قائلاً:

(... في هذا الحديث أصل عظيم في التربية المبنية على علم النفسية البشرية، فإن النفوس عندما تشعر باحترامها وقدرتها على الكمال تنبعث بقوة ورغبة وعزيمة لنيل المطلوب، وعندما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل، وترجع إلى أحطّ دركات السقوط؛ فجاء هذا الحديث يحذر من تحقير الناس وتقنيطهم، وذلك يقتضي أن المطلوب هو احترامهم وتنشيطهم، وهذا الأصل العظيم الذي يرتكز عليه هذا الحديث الشريف يحتاج إليه كل مربٍ؛ سواء أكان مربياً للصغار أم للكبار، وللأفراد أم للأمم، إذ التحقير والتقنيط وقطع حبل الرجاء قتل للنفوس ـ نفوس الأفراد والجماعات ـ وذلك ضد التربية، والاحترام والتنشيط وبعث الرجاء إحياء لها وذلك غرض كل مربٍ ناجح في تربيته) .

ولم يكن ابن باديس شاعراً أو مؤلف أناشيد، ولكنها روح العصر، ومنهج الدعوة الملائم لظروف أمته. لقد اتخذ من هذا السلاح المستحدث في أدبنا العربي طريقاً لتعبئة نفوس الشباب، فقد غدت هذه الأناشيد الحماسية إحدى وسائل النهوض بالأمم واستخدمتها شعوب في ثوراتها الداخلية كما حدث ذلك في فرنسا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

لقد تغنى ابن باديس مع الشبيبة من طلائع الكشافة الإسلامية بالجزائر بهويَّته وهوية كل مواطن جزائري:

شَعبُ الجـزائرِ مُسْلِمٌ
وإلى العروبـةِ يَنْتَسِـبْ
من قـالَ حاد عَنْ اصْلِهِ
أو قـالَ ماتَ فقد كذبْ

ثم راح يرسم صور التعامل مع مختلف طوائف الناس في بيئته، فالمستعمرون الظالمون لا تنفع معهم مهادنة وإنما الموت والهلاك:

وَأذقْ نُفُـوسَ الظَّالمين
السـمَّ يُمْزَجُ بالرَّهَـبْ

أما الخائنون فهم كالشجرة الخبيثة، دواؤها أن تجتث من فوق الأرض:

واقلـع جُذورَ الخائنـين
فَمِنْهُمُ كُلُ العَطَـبْ

أما السلبيون الجامدون فإنهم يحتاجون إلى تغيير يُوقظهم وإلى هزة تنبههم، فـربمـا تستجيب الخُشُبُ المُسَنَّدَةُ:

واهْـزز نفوسَ الجَامِدين
فربمـا حَيِيَ الخَشَـبْ

بهذا المنهج الملائم لروح العصر استطاع ابن باديس أن يعيد السلفية الصحيحة إلى شعب الجزائر، ولم يترك الدنيا ملتحقاً بالرفيق الأعلى في الثامن من ربيع الأول ١٣٥٩هـ الموافق ١٦ أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٠م إلّا وقد اشتعلت الجذوة، وتهيأت أسباب الثورة التحريرية .. فسلام عليه في الخالدين، ورحمة الله على الشهداء من رفاقه وتلاميذه المجاهدين، وعوناً وتوفيقاً لكل السائرين على دربه من علماء المسلمين وولاة أمورهم ...

قصــــة قصــيرة

هذا من فضل ربي

■■ تحسس الجدار براحتيه ثم توقف ، وراحت نظراته الكليلة تحاول استطلاع المكان حتى عرف بأنه يوشك على الوصول ، أمسك بيد حفيده وطلب إليه أن يتابعا السير باتجاه معين ذكره له ، ومن جديد عاد يستدل على مكان وجوده بتحسسه لحجارة الشارع ، لم يذهب حبه للحجارة عبثاً ، إنها باقية على ذلك الحب رغم تعاقب الأعوام ، فها هي ترشده إلى وجهته وها هي تقدم العون والمساعدة لعينيه الكليلتين ، وها هي الذكريات تهاجمه فتكاد تشغله عن نفسه وعن حفيده الذي يرافقه .

وصل إلى المكان الذي يقصده ، استدل على ذلك بعد معرفته لعدد من المعالم والأماكن عن يمين وعن شمال ، وأصبح وجهاً لوجه أمام بناية جميلة شامخة ، وهذه البناية هي المكان الذي يقصده ، توقف أمامها وقد ارتعشت يده القابضة على يد الصبي حتى إن الصبي سأله فيما إذا كان يشكو من برد أو ألم .

لم يكن ما به من برد ولا ألم ، كان يقف أمام ذكرياته البعيدة ويرى من خلالها صورة لحظات رهيبة من حياته ، لحظات كانت الفاصل بين حياته العملية الحافلة واعتزاله العمل الذي يحبه ، كان الموقف أقوى من إرادته وكانت لحظة الإحساس والشعور أقوى من كل تأثير آخر ، وكانت الصورة التي تخيلها آنذاك تثير في نفسه مشاعر الأسى والحزن والألم .

تساءل الصبي وهو ينظر إلى تجاعيد جديدة برزت على جبهة جده الذي يرنو نحو البناية ..

ــ هل هذه البناية التي تقصدها يا جدّي ؟

فاستدرك الصبي قائلاً :

ــ هيا يا جدِّي إن كنت تريد أن تدخلها .

انتفض الشيخ كمن لدغته أفعى ثم قال :

ــ لا ... لا يا تامر ما جئت إلى هنا كي أدخلها ، أستغفر الله العظيم .

طلب الصبي العودة فاستمهله وراح يجهد نفسه في استطلاعه البناية رغم ضباب عينيه ، ووجد نفسه يعود إلى ذكرياته .. إلى تلك الأيام البعيدة الموغلة في أعماق الماضي حين كان أشهر نقاش في المدينة ، كان أصحاب البنايات يتهافتون عليه ويحجزون دورهم لديه لأنه كان يعمل كفنان أصيل لا يساوم على أجر ولا يستكين إلى راحة ، لقد أحب الحجارة منذ صباه .. وكان يقول : إن للجمادات جمالاً كجمال الأحياء بل إن جمالها أصدق وأدوم على المدى البعيد .. فهي لا تخون ولا تنكث ولا تكذب .. وهنا تكمن أسرار الجمال . فأخلص في عمله وأتقن فيه ونقش حجارة البناء بأشكالها العديدة ، المربع منها والمستطيل والدائري والمضلع ، وكان يفرغ خلاصة فنه في ذلك الحجر الذي يوضع عادة على مدخل البناية ، ويخط فوقه بإزميله آية قرآنية ، كان يشبِّه ذلك الحجر بتاج يوضع فوق الجبين ، ويقول عندما يضعه : لقد وضعت للبناية تاجها الذي تزدهي به بين أترابها . لا يكف أبداً عن المقارنة بين الأحياء والجمادات ، لا يرضى أبداً بأن يشغله شاغل عن الابتكار في فنه .

وراح يسترجع ماضيه عندما جاءه يوماً صاحب البناية التي يقف أمامها مع حفيده ، وطلب إليه أن ينقش له حجارتها ، وتم الاتفاق .. وراح البناء يرتفع شيئاً فشيئاً والحجارة المصقولة الزاهية تزيد البناء جمالاً وروعة ، وأنامل « الحاج محمود » المدربة تزداد دقة وإتقاناً ، ونفسه الصافية ترقب البناء فيزداد به إعجاباً ، لقد أحب تلك البناية كما لم يحب بناية أخرى غيرها ، حب لا يدري أسبابه ، كان يقول لمن حوله : هنيئاً لصاحب هذه البناية . إنني أتمنى أن يمتعه الله بها ويبارك له فيها . ثم يقول وابتسامة سعيدة تكلل وجهه :

سوف أنقش لهذه البناية تاجاً لم أنقشه لبناية قبلها ، ثم يضيف وقد أطلق ضحكة صافية : وقد لا أنقشه لأخرى بعدها . ويواصل العمل في البناية إلى أن جاء صاحبها يوماً ليتفقد سير العمل وكان برفقته رجل غريب ، تفقدا البناية وتحدثا إلى المهندسين والعمال حتى أصبحا على مقربة من مكان عمله فسمعهما يتحدثان وصاحب البناية يشير نحوه :

ــ إنه الحاج محمود .. لعلك سمعت به ؟

فقــال الرجل :

ــ ومن لم يسمع بالحاج محمود ؟ إنه أشهر نقاش في هذه المدينة .

ثم استطرد قائلاً :

ــ أنا أعتقد بأن البناية ستغدو بفضل

بقلم : مصطفى ابراهيم النادي

مهارته كالحمامة البيضاء .

فضحك صاحب البناية ثم قال :

ـ ستغدو كذلك من الخارج ، أما من الداخل فستغدو كالأوزة الحمراء .

فكر الرجل قليـلاً ثم هتف :

ـ هائل ، هائل ، الأوزة الحمراء ؟ إنه الاسم الذي أبحث عنه .

دهش الحاج محمود لهذا الحديث الغامض الذي يدور حوله ، فما معنى أن تكون البناية من الداخل كالأوزة الحمراء ؟ ومن الخارج كالحمامة البيضاء ؟ وما معنى : هائل ، هائل ؟ ولم تطل دهشة الحاج محمود ، كما لم يطل تساؤله ، فقد عرف بأن هذا الرجل جاء لاستئجار البناية ليحولها إلى ملهى ليلي باسم « الأوزة الحمراء » ، عرف ذلك من خلال الحديث الدائر بين الرجلين على مقربة منه ، كما عرف بأن صاحب البناية سيؤجرها لهذا الرجل ، وقد دفع الرجل بدل إيجار عن سنتين مقدماً .

هكذا إذن ، وسقط الأزميل من يد الحاج محمود .. ودارت الأشياء من حوله وأحس كأن طلقات نارية قد أصابته في قلبه ، كان الحديث يتناهى في أذنيه كريهاً منفراً فنهض لتوه وغادر المكان متعللاً بألم طارىء ألم به ، وفي اليوم التالي تفقد العاملون في البناية الحاج محمود فلم يجدوه فتأخر العمل في البناية مما اضطر صاحبها إلى أن يزوره في منزله ليستفسر عن أسباب غيبته ، لم يتعلل هذه المرة بعذر بل وعده بالعودة إلى العمل وإنجازه ، ولكنه قدم لذلك شرطاً اعتبره صاحب البناية نوعاً من الدعابة المعروفة عن الحاج محمود ، فلقد كان شرطه أن يضع صاحب البناية الحجر الذي سينقشه مهما كان مكتوباً عليه على واجهة بنايته .

وعاد الحاج محمود إلى العمل وفي ذهنه صورة واضحة لما يترتب عليه أن يفعله ، فلقد اعتزم أن ينقش على حجر المدخل آية قرآنية ﴿ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ وينقش تحتها آية قرآنية أخرى تنهى عن الخمر والفحشاء والمنكر ، كما اعتزم أيضاً أن تكون حجارة هذه البناية آخر ما ينقشه في حياته ، ولقد فعل ذلك ، فعله لإرضاء الله ثم لإرضاء ضميره وهو يدرك بأن ما فعله سوف لا يقدم شيئاً ولا يؤخره ، فلقد استفظع الحاج محمود أن يساهم في تشييد بناية للهو والعبث دون أن يفعل شيئاً للنهي عنه .

ومرت الأيام وكرت الأعوام تلو الأعوام وضعف بصر الحاج محمود حتى أصبح عاجزاً عن أن يرى بوضوح أقرب الأشياء إليه ، وكان طيلة هذه الفترة يحاول أن يزور بنايته الحبيبة لتكتحل عيناه بمرأى حجارتها التي نقشها بيده ، ولكنه يخشى أن يجابه بالمصير الذي آلت إليه فتتمزق نفسه ولا يعود قادراً على تحمل تلك الصدمة .

وأخيراً هاجه الشوق إلى البناية فاصطحب حفيده في الطريق إليها ، كان يريد أن يشاهدها قبل أن ينطفىء نور عينيه ، وها هو يقف أمامها وجهاً لوجه وهو يتردد في أن يسأل أحد المارة عن مصيرها ، وأخيراً سأل وعرف ، ويا لروعة ما عرف .. البناية منذ إنشائها تحولت إلى مبرة خيرية يجد فيها المحرومون لذة الحياة السعيدة ، والحجر الذي نقشه بأزميله يتربع في مكانه بارزاً لامعاً شامخاً ، وعرف أن كل المجاورين للبناية قد سمعوا بقصة الحجر الذي نقشه وقصة تحول صاحب البناية إلى رجل خير وتقوى وصلاح بفضل الآية القرآنية المنقوشة عليها .

ارتسمت ابتسامة عميقة على وجه الحاج محمود ثم اقتاد حفيده ومضى عائداً إلى البيت وهو يتمتم : الحمد لله ، الحمد لله ، هذا من فضل ربي .. هذا من فضل ربي .

حول الإسلام في أفريقيا

■■ قرأت مقال الدكتور محمود سلام زناتي « دور الإسلام والنصرانية في أفريقية في نظر الكتاب الغربيين » (الأمة : العدد ٥١ ، ربيع الأول ١٤٠٥هـ) وأريد أن أعبر عن شعوري الخاص بقضية الإسلام والنصرانية في أفريقية . وكلامي هنا مبني على معلومات أولية وصلت إليَّ خلال إقامتي لمدة (١٢) عاماً في نيجيريا - أكبر دولة أفريقية من ناحية عدد السكان - كأستاذ محاضر في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو - كانو . ■■

وأخطر ما في الموضوع أن المسلمين - حتى المثقفين منهم ، للأسف - يُخْدعون بما يكتب المستشرقون والمنصِّرون عن الإسلام في أفريقية : فالسواد الأعظم من المسلمين يعتقد أن الإسلام يكتسح القارة السوداء ، وأنه ينتشر يوماً فيوماً دون أن تبذل محاولات جادة لنشره على عكس النصرانية أو الديانات الأخرى .

وهذا ما يقبله الدكتور محمود سلام زناتي بناء على ما كتبه بعض الغربيين في كتبهم : والصحيح من هذا الجملةُ الأخيرة فقط ، وتعني أنه لا توجد محاولات جادة لنشر الإسلام في القارة الأفريقية ؛ فنحن نتناسى أو نتغافل - وما أكثر ما يتناسى المسلمون ويتغافلون ! - أن الوسائل الإعلامية - التي هي من الأجهزة الضرورية لنشر أية فكرة - كلها في أيدي القوى الاستعمارية النصرانية ؛ ومن المؤلم جداً أن الدعاة المسلمين في أفريقيا اليوم لا يحسنون استخدام الطريقة التي سار عليها المنصِّرون من أول يوم دخلوا هذه القارة ، فهم كانوا يعيشون بين القبائل المتوحشة ، بعيدين عن المدن وعن وسائل الراحة ، مستعدين لتحمل كل المشاق لأجل نشر النصرانية ، ولكن الداعية المسلم اليوم يفضل أن يقيم في مدينة تتوفر فيها كل وسائل الراحة . وبينما كان المنصِّر - دائماً - يحاول البدء من الجذور ، فيبدي اهتمامه بالطفل ، ويؤثر على نفسيته الساذجة خلال التعليم والتربية ؛ لم يوفق المسلمون إلى إنشاء مدارس تُعنى بتربية الطفل وتوجيهه وجهة سليمة .

نرجع إلى مقال الدكتور زناتي ، فنلاحظ أن الكتب التي أسس عليها مقاله كلها ترجع إلى الجيل السابق ، فهي تتكلم عما كان عليه الحال في النصف الأول من القرن العشرين . وهناك شيء ربما يفوت القارىء المتعجل - وهو أن المؤلفين الغربيين حاولوا من خلال دراساتهم للأوضاع تقديم اقتراحات وتوصيات إلى الهيئات التنصيرية لكي تتمكن من تنظيم بعثاتها وتدريب رجالها في ضوئها . فمثلاً يقول سميث (وكتابه صدر سنة ١٩٢٢م) كما نقل الدكتور زناتي عنه :

« وفضلاً عن ذلك فإن الدعوة إلى الإسلام في أفريقية لا يتولى أمرها رجال بيض غرباء يمارسون تقاليد اجتماعية مغايرة ، وإنما رجال من اللون الأفريقي نفسه (أو لون قريب منه) كما أن الداعية المسلم ، وإن كان ذا مستوى حضاري أسمى بشكل ظاهر ، فهو ليس على مسافة بعيدة إلى درجة مستحيلة ، كما هو الحال بالنسبة للأوروبي . فليس ثمة هوَّة بين الداعية المسلم - سواء أكان تاجراً أو واعظاً - وبين الأفريقي كتلك الهوّة التي بين الداعية النصراني والأفريقي » فسميث هنا يتكلم عن مشاكل التنصير في أفريقية في الربع الأول من القرن العشرين ، وما ذكره كان من أكبر العقبات في طريق التنصير ؛ ولكن الوضع تغير الآن ، واهتدى المنصِّرون بدهائهم إلى شيئين :

١ - حاولوا إقناع القبائل الأفريقية أنه لا علاقة لهم بالسياسة الاستعمارية التي تنتهجها حكوماتهم ، وأنهم معادون لحركات التميز العنصري الذي يمارسه الجنس الأبيض في أفريقية ضد الأهالي السود .

وقد نجح بعضهم في خداع الناس ، واكتسب شعبية كبيرة عند الأفريقيين كمعارض للتميز العنصري ، بينما لم يكن ذلك إلَّا لاكتساب تعاطفهم ولأجل التزلف إليهم لترويج النصرانية .

بقلم : الدكتور
عبد العلي عبد الحميد

٢ ـ ركّز المنصّرون جهودهم على تدريب الأهالي على عملية التنصير ، فاختاروا بعضاً من الأطفال الذين لاحظوا فيهم الذكاء والولاء لهم ، فتبنّوهم ودربوهم : فالطفل الأفريقي الذي ذاق بؤس الحياة ، وعانى من الفقر والحرمان وجد عند الإرساليات التنصيرية كثيراً مما كان يحلم به ، فتغيرت فكرته وشعوره عن الحياة ، وتم غسل مخه وملؤه بالاعتقاد الجازم بأن النصرانية هي الطريق إلى السعادة في الحياة الدنيا والفلاح في الآخرة ؛ وكانت النتيجة أن نشأ نصرانياً متمسكاً بدينه ، مستعداً للتضحية بالنفس والنفيس في سبيل نشره ؛ ونجح المنصّرون في خطتهم ؛ ففي نيجيريا اليوم قسيس نيجيري متعصب تعصباً عنيفاً ضد الإسلام اسمه « علي أحمد تولا » وآخر اسمه « محمد » ، وثالث اسمه « حسن ... وهم ـ كما تدل عليهم أسماؤهم ـ يأتون من أسر مسلمة عجزت عن كفالتهم ، فتبنّتهم الكنيسة ، وربّتهم ، وجعلت منهم دعاة منصّرين ، يملأ قلوبهم الحقد والكراهية للمجتمع الذي سبب لهم البؤس والشقاء .

والجدير بالذكر أن بعض هذه المجتمعات كانت إسلامية ـ ولو اسماً ـ فالمشكلة التي أشار إليها سميث قد انتهت ، فلا نجد اليوم في أفريقية منصّرين من الجنس الأبيض إلاّ قليلاً ، واحتل مكانهم المنصّرون من الجنس الأسود من الأفريقيين .

وكذلك ما نقله الدكتور زناتي عن الكتاب الغربيين الآخرين : هؤلاء كلهم كتبوا لمساعدة الهيئات التنصيرية في مواجهة الصعوبات التي كانت تعترض طريقها ؛ ولم يكن أيّ واحد منهم يعبر عن تقديره للدين الإسلامي فيجب على المسلمين أن لا يغتروا بهم .

ونأتي الآن إلى ما يجب أن تفعله الحكومات الإسلامية والهيئات المعنية بشؤون المسلمين وبالدعوة الإسلامية في العالم ، فنقول : إن أول ما يجب على هذه الهيئات والمنظمات أن تحاول الحفاظ على الكيان الإسلامي للمسلمين الذين يوجدون في مناطق منعزلة عن مراكز تجمع المسلمين ، وعن مراكز الدعوة الإسلامية ، وذلك بتوفير وسائل الاتصال المستمر بينها وبينهم لكيلا يقعوا فريسة للدعايات المعادية .

ففي أفريقيا هناك ضرورة للعمل على التوجيه الديني بشكل مستمر ، فهي القارة الوحيدة في العالم التي تتمتع بالأغلبية الساحقة للمسلمين ، ولا يزال أهلها يحتفظون بنوع من السذاجة الفطرية التي لم تستطع الدعايات المتنوعة أن تفسدها ؛ وهناك نجد الهيئات التنصيرية تلقي بكل ثقلها لتنصير الأهالي ، والنشاط الشيوعي يعم كل مكان ، والقاديانية تغزو كل منطقة ، والبهائية تحاول أن تقوم بدورها في هذا المجال ، ولم يتخلف الصهاينة اليهود عن المشاركة في هذا الصراع .

والقبائل الأفريقية المسلمة محصورة بين هذه الفئات الضالة وليس هناك من يقودها إلى السلام والاستقرار ، فهي تشعر بالخطر على دينها وتقاليدها الاجتماعية ؛ وهي جدّ خائفة على أطفالها وشبابها ، والعالم الإسلامي في سبات عميق ، وغفلة مستمرة عن مشاكلها . فعلينا أن ندرك الأمر قبل فوات الأوان ، ونهتم بأمر هؤلاء المسلمين لكي نضمن بقاءهم تحت لواء الإسلام .

وما يقال عن المسلمين في أفريقية ينطبق على الشعوب المسلمة في جنوب

حول الإسلام في أفريقيا

شرقي آسيا وفي مناطق أخرى من العالم .

ولا يخدعنَّك ما يقال : إن كذا وكذا عدداً من المبعوثين يشتغلون في هذه المناطق أو تلك البلاد ، فإن معظم هؤلاء لم يتم تدريبهم على العمل التوجيهي ، كما لم يتم تجهيزهم بأسلحة الدفاع عن الإسلام أمام الأخطار المحدقة بالمسلمين ـ ثم ليس هناك تنسيق للجهود أو خطة عمل موحدة يلتزمها كل مبعوث ، حتى الهيئات المختلفة التي تنظم أمر الدعوة لم توفق للتنسيق فيما بينها ؛ وقد حان الأوان أن تشعر هذه الهيئات بضرورة هذا التنسيق وإعداد مبعوثيها على أحسن وجه لكي يقوموا بأداء واجبهم على أتم وجه .

وهناك شيء آخر يجب الاهتمام به ، وهو النهوض بهذه الشعوب اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً ؛ ويمكن الوصول إلى هذا الهدف بفتح أكبر عدد من المدارس العصرية التي تكون مجهزة بوسائل تعليم مبادىء الدين ، وببناء المستشفيات للمرضى ... ولكن الذي يحز في النفس أن المسلمين يتخلفون في كثير من المجالات التي كان يجب عليهم السبق إليها ، وذلك لعدم اهتمامهم بشؤون الدين ، وإهمالهم المبادىء السامية التي أعلنها الإسلام . فمثلاً تعاني الآن القارة الأفريقية ـ خاصة المناطق التي يكثر فيها عدد المسلمين ـ من الجدب ، وأهاليها مهددون بالمجاعة ، وكما قال المتنبي : « مصائب قوم عند قوم فوائد » وجدت الهيئات التنصيرية في هذه الكارثة مجالاً خصباً للتدخل في شؤون القبائل الافريقية ونشر عقائدها الدينية ، فنسمع أن القساوسة انتشروا في كل منطقة متأثرة بالجفاف والمجاعة يقدمون المساعدات للمنكوبين ؛ ولم يتكاسل الشيوعيون فجندوا رفقاءهم للعمل في هذا الميدان لأجل كسب عواطف الشعوب ، حتى اليهود أعلنوا أنهم مستعدون للمساهمة في توفير المواد الغذائية ومقاومة الخطر المحدق بالأفريقيين ؛ ولكن لم يظهر أي عمل بنَّاء من جانب الكثير من المسلمين والمؤسسات الرسمية الإسلامية ، وكان يجب أن يتقدموا لإنقاذ الإخوة المسلمين من الخطر المحدق بهم .

وإذا استطعنا أن نوفر وسائل الحياة الضرورية للشعوب المسلمة في أفريقية ، وتمكنَّا من الوصول إلى أهداف محققة في النهوض بها اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً فقد حصلنا على نوع من المناعة ضد الأخطار المحدقة بها ؛ وليس هذا فحسب ، بل سيكون لهذا تأثير كبير في نفوس القبائل التي لمّا تدخل حظيرة الإيمان بعد ؛ فالشعوب الافريقية في حالة تأهب واستطلاع ، ترى ما يجري حولها من تصارع النظريات المختلفة ، ولكنها تبحث عن نظام متكامل للحياة يكفل لها الاستقرار النفسي والمادي وهذا لا يتوفر إلَّا في الإسلام .

فيجب على الجهات المعنية بشؤون الدعوة الإسلامية النظر في هذه الأمور بعين الاعتبار وتنسيق العمل حول كل جانب منها ، والوصول إلى خطط محددة تضمن نجاح الدعوة وسيادة الإسلام ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون ﴾ .

مؤسسات المسلمين بين معطيات الواقع.. والدور المطلوب

في حوار مع:

الدكتور عبد الله عمر نصيف

■■ يبلغ عدد المسلمين في العالم اليوم ألف مليون ، تمثلهم - نظرياً - (٤٢) دولة إلاَّ أن حوالي ٤٠٪ - ٥٠٪ منهم من الأقليات التي تعيش في بلاد أغلبيتها غير مسلمة ، ويعانون من مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية معروفة للجميع .. ولكن الأحوال ليست أفضل بكثير بالنسبة للآخرين ، فحتى هؤلاء الذين يعيشون في البلاد التي تسمىٰ بلاداً إسلامية ؛ يواجهون ظروفاً اجتماعية واقتصادية صعبة ، ويفتقدون الحرية الفكرية ، فالتخلف المادي الذي يخيم على المجتمعات المسلمة هو نتيجة طبيعية للتخلف الفكري ..

والسمة الظاهرة التي تميز المسلمين اليوم هي تخلفهم ، فالبلدان الإسلامية ومناطق الأقليات ، كلها محسوبة على أنها من العالم المتخلف أو الثالث ، أو ما يعرف - خداعاً - بالدول النامية ، وكثير منها يعيش دون مستوىٰ الفقر ، ولا ينمو (!) بل يزداد فقراً .. يضاف إلى ذلك أن نسبة ٦٠٪ - ٧٠٪ من عدد اللاجئين في العالم (ستة ملايين حسب إحصاء ١٩٨١م في أفريقيا وحدها) هم من المسلمين .. فالشعوب المسلمة فقيرة وجائعة ، وفي بعضها مجاعة حقيقية تحاول المؤسسات التنصيرية (٤ آلاف مؤسسة) أن تخفف من حدتها على حساب العقيدة والكرامة ..

أما عن الأمية فلا توجد أرقام تحدد نسبتها بين المسلمين ، ولكن العالم العربي فيه أعلى نسبة من الأمية في العالم ، إذ تبلغ ٦٢٪ من السكان ، وفي أفريقيا ٦٠٪ ...

وهكذا يفرض الواقع المأساوي المؤلم مهمة عاجلة وملحة ، هي العمل الفاعل لتنمية مجتمعات المسلمين ، تنمية واقعية ومدروسة ، تستهدف الإنسان المسلم .. وعلى مؤسسات المسلمين أن تقوم به ، وأن تتقنه ، لدفع الأخطار التي تستهدف الوجود الإسلامي كله .. فهذا العمل هو عبادة رفيعة القدر ...

من هنا - وفي هذه الظروف الدقيقة - يكتسب لقاؤنا مع الدكتور عبد الله عمر نصيف - الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي - أهمية خاصة ، وذلك من خلال محاضرة ألقاها ضمن الموسم الثقافي لجامعة قطر ومن خلال حوار أجريناه معه .. حول الرابطة وجانب من قضايا العالم الإسلامي ■■

التعليم الإسلامي مجرد حلم

● ونبدأ بقضايا المسلمين ..

يقول الدكتور نصيــف :

— إن أوضاع المسلمين وقضاياهم ومشكلاتهم كثيرة جداً ، ويصعب الحديث عنها كلها .. ولكني سأركز على موضوعين :

الموضوع الأول يتعلق بالنظم الإسلامية العامة ، فالمسلمون عندما تأخروا وتخلفوا ؛ لم يبق لهم من النظم الإسلامية الأصلية شيء ، لا في مجال الاقتصاد ولا في مجال السياسة ولا في مجال الاجتماع ولا التعليم والتـربية .. أصبحوا مقلدين ، ولا بد من السعي لإيجاد هذه النظم التي يحتاجها المسلمون لترقية أنفسهم وتحسين وضعهم للانطلاق إلى الأمام ، إننا لا نزال نرىٰ المشكلات ونلمسها وندركها ونتحدث عنها في لقاءاتنا ، ولكن ليس هناك أي عمل إيجابي يمضي بنا خطوات إلى الأمام ، وسنظل كذلك ما لم يتوفر لدى الإخوة العاملين في شتى أنحاء العالم الإسلامي الجهد والوقت والمال لخدمة هذه القضايا .. لقد ظهرت - والحمد لله - مؤسسات إسلامية ، لكنها تبقى في حاجة إلى الرجال ..

والتعليم هو الأساس الذي يجب علينا أن نبدأ به للقضاء على مشكلة التخلف .. ذلك أن كل مشكلات المسلمين مصدرها عدم وجود تعليم إسلامي صحيح متكامل ، وقد عقدت مؤتمرات كثيرة لبحث هذه القضية ، **عقد المؤتمر الأول للتعليم الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٩٧٧م ،** وحضره ما يزيد على ثلاثمائة عالم ومفكر ومربٍ من العالم الإسلامي ، ووضعوا خطة لإيجاد نظام إسلامي للتربية والتعليم ، ثم تبع

مؤسسات المسلمين بين معطيات الواقع.. والدور المطلوب

ذلك ثلاثة مؤتمرات - في باكستان وبنجلاديش وإندونيسيا - ولكن لم يتم تنفيذ شيء من هذه الخطة حتى الآن ، فقد قامت في وجهها العقبات ، ذلك ان وزارات التربية والتعليم اعتبرتها مسالة صعبة جداً وتحتاج إلى جهد كبير ، والجامعات قاومتها مقاومة واضحة ، ليس من باب حرب الإسلام ، وإنما لانهم يعتقدون ان التعليم الإسلامي مجرد حلم ليس له في واقع الحياة مجال للتطبيق .

منطلقات علمانية

● وحول مدى ارتباط المناهج القائمة بحاجات المجتمع الإسلامي يقول :

— إن التعليم اليوم تعليم غير تطبيقي ، فالطالب يدرس في المدارس الثانوية وفي الجامعة اشياء ليس لها علاقة بمجتمعه .. وعندما يخرج إلى الحياة لا يستطيع أن يمارس تخصصه ومهنته على وجهها المطلوب .. علاوة على أن المادة التي يدرسها بعيدة عن الأخلاق والعقيدة ، لان الغرب منذ العشرينيات من هذا القرن أخرج مناهج الأخلاق والدين من النظم التعليمية ، وقلدناه نحن في ذلك تقليداً ، أما المناهج نفسها فهي مصاغة من منطلقات علمانية بحتة ..

وقد ينطبق ذلك من زاوية ما على الطالب الذي يدرس في كلية الشريعة ، فهو يدرس الأصول الشرعية الأساسية ، ولكنه عندما يخرج إلى واقع الحياة يواجَه بمشكلات ومسائل لم يدرسها بالجامعة ولم يتعرض لها منهج الدراسة وينسحب ذلك أيضاً على مستوى الدراسات العليا .. كما ينسحب على كل التخصصات ...

أطفال بلا مدارس

● وخلال مناقشته لقضية التعليم ، تناول مشكلة أساسية ، تشكل جانباً هاماً من القضية ، هي مشكلة الأمية ..

— إن برامج محو الأمية قد ثبت فشلها في كثير من البلاد الإسلامية بسبب طريقة التدريس ومواد الدراسة نفسها ، والحل هو ان نبدأ بتعليم الأطفال أولاً وتوفير المدارس لهم ، فالأطفال في مناطق إسلامية كثيرة لا توجد لهم مدارس على الإطلاق ، أو توجد مدارس تنصيرية لا يرغب المخلصون من المسلمين في إلحاق أبنائهم بها ، والذين يدخلون هذه المدارس معظمهم لا يستطيع مقاومة التنصير حيث يُستقطبون ويُبعث بهم إلى الغرب ، وحتى الاتحاد السوفييتي بدأ يستقطب ابناء المسلمين في افغانستان ، وقد بعث من اطفالها (١٢) الفاً في سن السادسة إلى روسيا ليتعلموا هناك ، ومن المؤكد أنهم سوف يحولونهم كفاراً ملحدين أو على الأقل يبعدونهم عن الإسلام تماماً .. فقد عرفوا نقطة الضعف بينما نحن لم نبذل جهداً في هذا المجال ، والراي عندي هو ان الاهتمام بالمدارس وتوفير المدرسين لها اهم بكثير من اي اسلوب آخر في الدعوة ، ونستطيع ان نستخدم المواد والخامات المتوفرة في البيئة بدلاً من إنشاء مدارس ضخمة لغرض المباهاة .. وقد نرى اليوم في مجتمعات إسلامية كثيرة من يريد - عن جهل - ان ينشىء مسجداً تصل تكاليفه عشرة ملايين دولار في بنجلاديش او البرازيل او هنا وهناك ، ولو انه انشأ مسجداً بمائة ألف بالطين او الطوب او الخشب لحقق الغرض ، إننا لا نزال نعاني من مركب النقص ، نريد أن نبني مساجد بقباب ومنابر وبالهواء المكيف ، وننسى اننا بحاجة إلى نشر دور لتعليم الأطفال في مناطق المسلمين ... واذكر انه عندما ذهبت مجموعة من الافراد لبحث موضوع المجاعة في أفريقيا وجدت في بعض المناطق أن عدد الأطفال المسلمين الذين يهيمون بلا مدارس يزيد عن ثلاثمائة الف في المنطقة الواحدة .. إننا نتهاون في قضية تعليم الأبناء ، ثم نكافح الأمية عند الكبار ، فكاننا في الحقيقة نعمل في فراغ ...

دعوة المتطوعين

● اما القضية الثانية ، فهي تفرض نفسها على الضمير الإسلامي في كل مكان ، قضية المجاعة التي تجتاح مجتمعات المسلمين في افريقيا ، والضغوط التي تخضع لها هذه المجتمعات من قبل مؤسسات التنصير ... يقول الدكتور نصيف :

— إن الأوضاع هناك اسوا بكثير مما استطيع ان اصفها ، وهي تثير الحزن والألم الشديد في القلب .. ولا بد ان يكون للمسلمين دور إيجابي باستقطاب المتطوعين من كل التخصصات والمستويات للمساهمة في خدمة المسلمين .. وقد تعلمون ان عدد المنظمات التنصيرية في افريقيا بالذات اربعة آلاف منظمة تستخدم ما يزيد عن عشرة ملايين من مختلف التخصصات ، في الطب والتعليم والإدارة ، وحتى التخصصات الفنية الدقيقة ، واستغلت هذه المنظمات فقر المسلمين وجهلهم وحاجتهم ، وبثت فيهم الشك في دينهم - إن لم تنصر بعضهم - وتركتهم بلا عقيدة ولا أخلاق ، وبعد ظهور الجفاف الذي تطور إلى مجاعة ، أصبح المسلمون يتلهفون على الإغاثات والمعونات من اية جهة ، ولا يعنيهم بالطبع أن تكون هذه الجهات تنصيرية ، فالمسلمون هناك يرون اطفالهم يموتون امامهم كل ساعة ، حتى اصبحوا عاجزين عن التفكير ، وقد وجدت البعثة التي ارسلتها رابطة العالم الإسلامي إلى مناطق في السودان واجزاء من الصومال انه لا يوجد على قيد الحياة طفل دون السنتين من عمره ، والأطفال الاكبر سناً يعانون من الجوع ، بطونهم منتفخة بسبب قلة المواد البروتينية وغالباً يموتون ، اما العائلات التي تستطيع الهجرة فإنها تبدأ رحلتها بعشرة افراد ، وعندما ينتهي بها المطاف يبقى منها فرد واحد ، إما الاب او الام او احد الابناء البالغين ...

■■ ونتوقف هنا عند الجهود التي قامت بها الرابطة لمواجهة قضية الجوع ، التي ذكرها الأمين العام الدكتور عبد الله نصيف :

— وجهت رابطة العالم الإسلامي نداءً للمسلمين ، تدعوهم فيه إلى ضرورة الالتفات إلى هذه القضية على وجه السرعة ، لأن عامل الزمن هنا مهم جداً ، فالجفاف لم يترك أثراً لاي زرع او نبات ، حتى الأشجار السامة ياكلها الناس وهم يعلمون أنهم خلال يومين او ثلاثة سيموتون ، وهم يكفنون موتاهم بورق الصحف لعدم وجود أقمشة .. والوضع يتفاقم يوماً بعد يوم ... لقد وجدت الرابطة ان هناك حلين سريعين : أولاً : إرسال المؤن والاغذية بالطائرات وبالقطارات والسيارات إلى مناطق المتضررين حتى لا ينزحوا عنها إلى المدن ، ثانياً : حفر الآبار في مناطق الجفاف ، وهذا في الحقيقة اهم عمل إيجابي فعّال يمكن القيام به في الوقت الحاضر ، حيث يوفر البئر ماء للشرب ولري الاراضي وتوفير العلف للماشية ، لان الناس هناك لا يستغنون عن ماشيتهم ويموتون معها إذا ماتت ، لكن هناك ملاحظة وهي أن الآبار السطحية لا نفع لها لان الجفاف قد وصل إلى مستواها ، ولا بد من الحفر على مستوى ثلاثمائة متر على الأقل ، والبئر من هذا النوع يتكلف من مائة الف إلى مائتي الف ريال سعودي في المتوسط ... وقد تم الآن جمع كميات كبيرة من الأغذية ، هي بصدد النقل إلى السودان ولعلّها نقلت الآن .. لكن ما نحتاج إليه في الحقيقة هو إثارة مشاعر المسلمين وبذل الجهد للحصول على متطوعين من المسلمين يقومون بتوزيع هذه المؤن والإغاثات على إخوانهم ، وقد نعلم أن المنظمات التنصيرية لا تعتمد على موظفين إنما تعتمد على متطوعين من طلاب وطالبات الجامعات يقضون إجازة الصيف في هذه المناطق .. ونحن أوْلى منهم ، لان ديننا يأمرنا بذلك ، وعقيدتنا الإسلامية تفرض علينا هذا العمل ، وإننا لنأثم عندما نعلم أن أخوة لنا يموتون جوعاً ونحن لا نبالي ، ننعم ونتمتع - والحمد لله - بالمآكل والمشرب والمنام ...

[وكان الدكتور عبد الله نصيف قد عرض خلال محاضرته للتعريف برابطة العالم الإسلامي ونشاطاتها ، ونرجو ان تتاح لنا فرصة اخرى لتناول هذه النشاطات ، ولعلّ في حوارنا معه ما يلقي الضوء على بعض تلك النشاطات ...]

الإخلاص والاختصاص

■■ القضية الأولى التي نود ان نسمع فيها رأياً ، هي ان كثيراً من المؤسسات الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي الآن لا تخلو من اهل الغيرة والإخلاص والإحساس بقضايا العالم الإسلامي ، لكن من جانب آخر ، نرى انها تفتقر لاهل الاختصاص ، وتاريخياً نلحظ ان اهل الغيرة ليسوا بالضرورة من اهل الاختصاص واصحاب الخبرات القادرين على الإدارة والتخطيط والمتابعة ، فقد نجد إنساناً عنده من الإخلاص ومن الغيرة على قضايا العالم الإسلامي الشيء الكثير لكنه عاجز عن قضايا التخطيط والإدارة والمتابعة وما إلى ذلك ، ويمكن ان نلمح هذا في معظم مؤسسات العالم الإسلامي ، وقد يُعزى إلى ذلك كثير من التعسر والارتباك الذي تعاني منه هذه

المؤسسات ، فما رأيكم في هذه القضية ؟ وهل وضعت الرابطة في اعتبارها أن تجمع بين عنصر الغيرة وعنصر الاختصاص في مواجهة قضايا العالم الإسلامي ؟

ـ في الحقيقة ، لا بد لأي جهاز يعمل للإسلام من الغيرة على قضايا العالم الإسلامي والإحساس بها والإخلاص لها ، وإن كانت قضية الإخلاص قضية بين الإنسان وربه ، أما الناس فترصد نتائج العمل ..

وبالنسبة للجهاز الإداري في المركز الرئيس للرابطة ـ هناك بعض الأشخاص الذين تم الاستغناء عنهم لأنهم تجاوزوا السن وقل عطاؤهم ولا بد أن يرتاحوا ، لكن الباقين الموجودين لا بد لنا من عمل دورات تدريبية لهم أثناء العمل حتى نتبين المخلص منهم ونتبين الذي يريد أن يعمل ويقدر على العمل ، والذي تنقصه بعض المقدرة ، فقد لا يكون بعضهم مُجيداً في عمله ، فتتوفر لهم بقدر الإمكان هذه التدريبات ، فإذا ثبت أن عطاءهم قد تحسّن مستواه يستمرون في عملهم ..

أما النوع الثاني فيمكن أن يستغنى عنه أو يبحث له عن عمل آخر .. وفي الوقت نفسه لا بد من تطعيم الجهاز الإداري ـ وهذا ما بدأت فيه بالفعل ـ بعناصر نأمل منها الإخلاص لله تعالى وحب العمل والتفاني فيه ، وهذا النوع من الناس على العموم قلة .. وقد عملنا في اتجاهين ـ في الحقيقة ـ ولكن لا تزال المسألة لم تتبلور بعد لأن الفترة التي مرت منذ بدء عملي والاضطلاع بمسؤوليات أمانة الرابطة فترة وجيزة ..

■■ ألا ترون بأنه يمكن الاستفادة من الخبرات ، دون أن تكون موظفة في الرابطة .. بمعنى أن يتم تشكيل لجان فنية ـ إن صح التعبير ـ أو تخصصية ، في قضايا معينة من عناصر من العالم الإسلامي يمكن أن تكون لها لقاءات دورية ـ كلجان استشارية ـ بحيث تمتلك هذه العناصر قدرات فنية ، لأن كثيراً من مؤسسات العالم الإسلامي تعاني في الحقيقة من عدم وجود الإنسان المتخصص ؟

ـ طبعاً المسألة واضحة وممكنة .. **وأنا في الحقيقة ضد فكرة تضخيم أي جهاز من الأجهزة ، فكلما تضخم الجهاز كلما كثرت مشاكله وقل عطاؤه** ، وإنما المهم هنا هو البحث عن النوعيات التي تقوم بالأعمال وتنجزها بسرعة وإتقان رغم قلة العدد ، وهذه الخطة هي المفضلة عندي ، والرابطة تعتمد ـ بعد الله عز وجل ـ على المنظمات الإسلامية في العالم الإسلامي لأداء أعمالها ، فبدل أن تقوم بتضخيم جهازها وزيادة عدد المبعوثين وعدد المكاتب تستفيد من الخبرات والإمكانات المتاحة في العالم في قضاء مسألة أو التعاون على إنجاز مشروع أو عمل دراسة معينة .. هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية لدى الرابطة الآن لجان استشارية دائمة ومؤقتة من أساتذة الجامعات ومن العاملين للإسلام ومن العلماء والمفكرين ، وأعتقد أنهم هم المسؤولون عن جانب التخطيط ووضع التصورات ، وأيضاً عمل الدراسات على ما يرد الرابطة من تقارير وأبحاث ، كما يقومون بإنجاز وتنفيذ بعض الأمور .. كلجنة تنفيذية لأداء واجب من الواجبات أو دراسة مشكلة من المشاكل ، أنا معك في هذا مائة بالمائة ، فلا بد للرابطة أن تستعين بالناس وهم في مواقعهم لأن حرمان أي موقع من رجل مخلص ومنجز للعمل هو أيضاً مشكلة كبيرة ، ونحن لا نريد أن نعطل المؤسسات الأخرى العاملة .

شيء من الثوابت

■■ لا شك بأن الرابطة ـ كمؤسسة تتصدر لحمل هموم العالم الإسلامي ـ تعاني من مشكلاته وتحاول أن تقدم في هذا الإطار ما تستطيع ـ يمكن أن تكون لديها خطة ثابتة تعمل لها ولو ببطء ، لتصل إلى تحقيقها على المدى البعيد ، ولديها أيضاً خطة للاستجابة للحاجات العاجلة والإغاثات الطارئة ، فالحاجة تقتضي وجود هذين النوعين من الخطط ، خطة بنائية إنتاجية على مدى بعيد في العالم الإسلامي ، إلى جانب الاستجابة للحاجات الطارئة وإغاثات المهاجرين والمحتاجين والمرضى وما إلى ذلك . فالأصل أن يكون هناك شيء من الثوابت ، يؤدي في المستقبل إلى كيانات قادرة على تغطية حاجات المسلمين .

والسؤال هنا : هل فُكِّر ـ إلى جانب ما تقوم به الرابطة من أعمال الإغاثة في العالم الإسلامي والاستجابة للطلبات العاجلة ـ أن تكون عندها خطة ثابتة لحل مشكلات المسلمين الأساسية ضمن عمر معين ؟

ـ في الواقع لا توجد الآن خطة مدروسة علمية لمستقبل العمل الإسلامي للرابطة ، فهي لا تزال تتفاعل آنياً مع الطلبات وإلحاح الناس ، والحقيقة أن ضغط حاجات الناس أشد بكثير مما يتخيل أي إنسان ، سواء بالمراسلات أو بالزيارات اليومية ، وأحياناً يجد الإنسان نفسه مرغماً أن يستجيب للمراجعين لأنهم يأتون من آخر الدنيا ويصعب ردّهم ، وقد يكون الواحد منهم محدوداً في وقته ويحتاج إلى العودة ... في الوقت نفسه أعتقد أنه مما أصيبت به المؤسسات الإسلامية في العصر الحاضر كثرة الأوراق وكثرة الإجراءات الروتينية ، وهذا يجهد المسؤولين والمختصين ، ولا بد لنا من التخلص من كثير من هذه الأمور حتى نتفرغ للتخطيط والتنظيم ـ هذا من ناحية ـ ومن ناحية ثانية فإن مسألة وضع خطة للعالم الإسلامي أمر يحتاج إلى وقت ، وإن كنّا قد بدأنا بعض الخطوات بتجميع التقارير وتفريغها .

وقد شكلت لجنة للتخطيط ووضع الخطط والموازنات ، ولكنها لمّا تجتمع بعد لأننا بصدد تجميع المعلومات ووضعها وفرزها ، ولكن إن شاء الله نأمل من الله عز وجل أن يحقق لنا وضع خطة ولو كانت بدائية ، ثم يُصار إلى تقويمها وزيادتها والإضافة إليها حتى نضمن استمرارية العمل وسيره في اتجاه علمي صحيح ..

■■ لا شك أن ضغوط الحاجات في العالم الإسلامي أكبر من الطاقات ، هذه قضية ، لكن إذا بقينا نعيش على ردود الفعل والاستجابة للحاجات الآنية فمعنى ذلك أننا قررنا أن يبقى العالم الإسلامي يراوح في مكانه ، ولا بد من وضع خطة ـ ولو كانت طويلة الأمد ـ تكون ثابتة ، نتقدم إليها شيئاً فشيئاً فتنتهي الكثير من مشكلات العالم الإسلامي ..

ـ التصور والحمد لله موجود .. والنية متوفرة لوضع خطة ولكن ترجمتها ووضعها على الورق لا يزال يحتاج إلى وقت ...

المنح الدراسية وحاجات المسلمين

■■ في الحقيقة ، لقد أصبح للرابطة عمر الآن في العالم الإسلامي ، ونحن لا نبخس الرابطة حقها في ما قدمت في إطار العالم الإسلامي ، لكن الإنسان يطمع بأن تبدأ في إخضاع القضايا للون من التخطيط والدراسة البعيدة .

ويمكن الآن أن ننتقل لنقطة أخرى في الحوار ..

لا شك بأن الرابطة تعمل للحصول على منح دراسية للطلبة من جامعات العالم الإسلامي ، فهل تخضع هذه المنح لنوع من الدراسة ، يتم بموجبها اختيار مجالات معينة تسد حاجات قائمة في المجتمعات الإسلامية ، وتتحكم في اختيار الطالب ، ففي مجال الأقليات مثلاً ، قد تختلف طبيعة المنح المطلوبة عنها في بلاد أخرى بالعالم الإسلامي عنها في البلاد العربية ، فهل توجد سياسة معينة لطلب المنح من الجامعات ، وتحديد نوعيتها على ضوء الحاجات الفعلية ، وهل توجد لجنة مختصة بهذا الإطار ضمن أجهزة الرابطة ؟

ـ هناك بالفعل لجنة مختصة بالمنح ، تستكمل أولاً إجراءات الاستفسار عن الطلاب والتأكد من أخلاقهم ومن سلوكهم ومن حاجة مجتمعاتهم ، ولكن لا يزال هناك نقص في موضوع خطة تعبر عن احتياجات العالم الإسلامي من الطاقات البشرية ، لكن ما نقوم به في حدود اجتهادنا ، فنحن الآن مثلاً : لا نعطي منحاً دراسية لدراسة الأدب أو التاريخ .. **اجتهاداً منّا بأن العالم الإسلامي ليس بحاجة ملحة لهذه التخصصات ، بينما نعطي منحاً لدراسة العلوم الشرعية** لأني أعتقد أن هذا واجبنا الأساسي ، ودراسة الطب والهندسة والتخصصات التي نرى أن مجتمعاتنا الإسلامية بحاجة إليها ـ فالمجتمعات الإسلامية في أفريقيا قد لا يوجد ببعضها طبيب واحد من أهل البلد نفسه وإنما هناك أطباء أجانب ، وغالباً ما يكونون تابعين للكنيسة ، فنحاول أن نغطي هذا الجانب اجتهاداً ، وأعتقد أننا ربما نحتاج لوقت طويل قبل التأكد من حاجة كل المجتمعات

مؤسسات المسلمين بين معطيات الواقع.. والدور المطلوب

الإسلامية ، ولعلّ الدراسات والتقارير التي نحن الآن بصدد تبويبها وصياغتها في خطة ـ كما ذكرت ـ تبين الحاجات الحقيقية المطلوبة للمسلمين ..

الذي اقصده هو ان تكون عندنا خطة تقضي بتوزيع المنح حسب حاجات العالم الإسلامي ، وتوزع الاختصاصات أيضاً على ضوء حاجات العالم الإسلامي ، فقد نقبل بمنحة في أفريقيا لا نقبلها مثلاً في منطقة أخرى مثل آسيا او لا نقبلها في أوروبا ، فالتوزيع يأتي ثمرة لدراسة سابقة .. حيث يتم اختيار الطالب ونوعيته واختيار دراسته أيضاً ، لأن دراسته أصلاً ذات أهمية وقيمة مستقبلاً في تحقيق الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها في مجتمعه ..

■■ في الواقع هذه القضية تحتاج إلى علاج من عدة جوانب ، أولها ما هو معروف من ان معظم الطلاب ـ إن لم نقل كلهم ـ يسعى للحصول على « الشهادة » باي ثمن ، ولا يفكر فيما وراء ذلك ..

هذا هو مرض النظام التعليمي في العالم الإسلامي ككل ولكن إذا اعتبرنا ان الرابطة كمؤسسة رائدة وقادرة على استيعاب مشكلة العالم الإسلامي والمساهمة بوضع حلول لها متقدمة ، يمكن ان نخلص نظام التعليم من المشكلات التي يعاني منها ..

ـ هذه في الحقيقة قضية هامة لا بد من اتخاذ خطوات في شأنها إن شاء الله .

■ عدد اللاجئين في العالم كبير جداً ، ونسبة المسلمين بينهم تصل إلى ٧٠٪ ■

■ مفهوم التعليم التطبيقي والفني في المعاهد عندنا مفهوم سطحي وبدائي ، فنحن قد نعلمهم الحدادة والسباكة والنجارة ولا نعلمهم الإلكترونيات والكمبيوتر ■

الثقة المتبادلة

■■ موضوع آخر .. كما هو معروف هناك هيئات كثيرة للعمل الإسلامي سواء اكانت في العالم الإسلامي ام كانت في اوروبا او امريكا ، ولكل هيئة برامجها وتصورها واهدافها وطرائقها في العمل . وكأنما يلمح الإنسان بين فترة واخرى ان الكثير من هذه المؤسسات في أوروبا وأمريكا تنقل معها مشكلات العالم الإسلامي فتقع بشيء من التخبط والتعثر والاصطدامات وما إلى ذلك ، مما يسيء إلى العمل الإسلامي ويعوق مسيرته ، ويعطي صورة غير صحيحة وسليمة عن واقع المسلمين .. ونود ان نعرف دور الرابطة من وجهين : كيفية التعامل مع هذه الكيانات ـ من ناحية ـ ودورها في حل مشكلاتها ، وتبنّي صور العمل الإسلامي الذي قد يقضي على ما يسيء إلى المسلمين ؟

ـ إن توثيق العلاقات مع المؤسسات الإسلامية المختلفة في داخل العالم الإسلامي وخارجه أمر مهم جداً وجوهري ، وأعتقد أنه على أساسه يمكن أن يكون هناك نجاح في العمل الإسلامي أو لا يكون .. وهذه المرحلة من العمل قائمة الآن ، فهناك صلات واتصالات ، وهناك أيضاً تنسيق ، لكن لا بد من مراعاة ظروف وإمكانات العمل الإسلامي اليوم ، لأن بعض الهيئات والمؤسسات ـ للأسف الشديد ـ يتحكم فيها حب السيطرة ، وأنا أسميه اتجاهاً قبلياً ، وقد أدّى هذا إلى تنازع المنظمات وتنافرها وأحياناً تقاتلها فيما بينها ، ودور الرابطة الآن هو جمع كلمة هذه المنظمات وتوحيد صفوفها وعمل التنسيق اللازم وإزالة ما قد يوجد من خلاف أو اختلاف في وجهات النظر ، ثم بعد ذلك نضع خطة تشمل عمل الجميع بإذن الله.. الآن لا نزال نحاول أن نبيِّن للناس ان رابطة العالم الإسلامي هي لخدمة المنظمات ورعايتها ، ولم تقم من أجل السيطرة ..

■■ هذا في الحقيقة ما اريد ان اقول ، إنه قد يُخشى بان ينشأ تصور عند العاملين للإسلام بان الرابطة تريد ان تبتلع منظماتهم او تفرض وصايتها عليها او ما إلى ذلك ، وقد تكون بعض الحوادث والممارسات التي وقعت في تاريخ الرابطة مؤشراً في الحقيقة على هذا الاعتقاد الذي يراه بعضهم ، حيث أوجد نوعاً من عدم الثقة المتبادلة ، لشعور بعض الناس بان الرابطة أيضاً جاءت لممارسة القضية التي تباشرها منظماتهم بمعنى انها لم تكن خارجة عن الإصابة بالمشكلة التي جاءت تعالجها .

ـ هذا ما لمسته شخصياً ـ ومن بداية عملي ـ ونحن نركز لإزالة هذا التصور عند الجمعيات والمسؤولين عنها ، وقد قمت بإجراء الاتصالات والزيارات الميدانية واللقاءات لإزالة هذا التخوف .. وأعتقد ـ والحمد لله ـ بأننا الآن في مرحلة متقدمة من هذه الناحية ، التعاون الآن قائم بيننا وبين أية جهة مهما كانت بدون أي خلاف ، ولا أي نزاع ، بل بالعكس ، الآن

■ نحن نتهاون في البداية في تعليم الأبناء ، ثم نحاول أن نكافح الأمية في سن الكبر ، فكأننا نعمل في فراغ ■

■ في بعض بلاد المسلمين : آلاف الأطفال ماتوا خلال العامين الماضيين ، وفي مناطق الجفاف لم يبق أي طفل دون السنتين من عمره على قيد الحياة ■

■ أنشأت الرابطة في مجال الإعلام عدة دوريات ومجلات منها « مجلة رابطة العالم الإسلامي » الشهرية ■

■ لا بد من تدريب أبنـــــاء المسلمين على الحرف النافعة ■

هناك تعاون كامل ، ونستعين بهذه الجمعيات ويستعينون بنا فيما يصلح العمل الإسلامي وما يقوم بخدمة المسلمين ، ونريد أن نطور هذا ، بحيث يكون للمسلمين تصور واحد وخطة واحدة متكاملة على المدىٰ الطويل وعلى الأفق الواسع ، بحيث لا يكون هناك أي تضارب أو اختلاف أو تكرار ، وأعتقد - إن شاء الله - أننا نسير في الاتجاه الصحيح بإذن الله .

العمل الإسلامي الرسمي !

■■ **هناك قضية هامة في الحقيقة : لا شك بان الرابطة يمكن ان يكون لها صفتان : صفة الاستقلالية ، استقلالية القرار كهيئة مستقلة تتابع قضايا المسلمين ، ولها بعض الاعتبارات الرسمية من جانب آخر ، هذه الاعتبارات بسبب من التمويل او بسبب من وجودها في المملكة العربية السعودية ..**

والحكومات بطبيعة الحال لها روابطها الرسمية والدولية ، ولها ضوابطها ولها علاقاتها العامة التي قد لا تستطيع تجاوزها في بعض الاحيان ، بينما المؤسسات الشعبية والمؤسسات الخاصة اقدر على التحرك من بعض الوجوه والاعتبارات لأنها لا تخضع للضوابط والروابط نفسها التي تخضع لها الحكومات ، فإلى اي مدى تستطيع الرابطة أن تحقق استقلالية أعمالها وقراراتها ، ولا تتأثر في ذلك بمن يمولها ، وهذا لا يعني الشك ، ولكن قد تكون له بعض الضوابط والروابط والتقاليد الدولية التي يمكن أن تمنعه من ممارسة بعض القضايا التي تستقطبها الهيئات الشعبية والهيئات الخاصة كما أسلفنا فما أدري إلى أي مدى تمتلك الرابطة استقلالية قرارها وممارساتها

مؤسسات المسلمين بين معطيات الواقع.. والدور المطلوب

ومتابعاتها ، والإحساس بمشكلات العمل الإسلامي والاقتراب من العمل الإسلامي الشعبي لأنه إلى حد بعيد هناك أزمة ثقة بين العمل الإسلامي الشعبي - إن صح التعبير - والعمل الإسلامي الرسمي ، فالعمل الإسلامي الرسمي يُنظر إليه من خلال الحكومات وظروفها وأزمة الثقة بينها وبين شعوبها في كثير من مناطق العالم الإسلامي .. وقد لا تكون هذه الظروف واقعة في بلد ، لكنها في بلاد أخرى موجودة وقائمة ، فكيف فكرتم بهذه القضية وكيفية علاجها ، لأنه إذا اعتبرنا الرابطة صورة للعمل الإسلامي الرسمي ، فقد يبتعد كثير من الناس عن الاستفادة منها والتعاون معها وبذلك يفوت خير كبير على المسلمين .

— إن الرابطة حتى الآن - ولله الحمد - لديها الاستقلالية في التفكير وفي اتخاذ القرارات وفي تنفيذ الأمور ، والدولة - والحمد لله - المملكة العربية السعودية هي التي تعطيها الدعم طبعاً ، ٩٩٪ من الدعم يأتي من المملكة ، وهذه الرابطة جعلت لخدمة العالم الإسلامي والمسلمين في أي مكان ، والمملكة العربية السعودية وإن كانت تمولها إلا أنها لا تريد أن تملي عليها شيئاً ، تريد أن تباشر عملها في أوساط الشعوب الإسلامية بحرية وانطلاق حتى يمكن أن تحقق الفائدة ، ولذلك أعتقد أن الحرية مكفولة للرابطة - والحمد لله - طبعاً لا بد من مراعاة الظروف - ظروف وضعنا داخل المملكة العربية السعودية - لكن هذا لا يعوق العمل .

طبعاً هناك أعداء للإسلام بين المسلمين وغير المسلمين يحاولون أن يكيدوا للعمل الإسلامي وأن يهوّلوا الأمور ويصوروها بغير حقيقتها ، وهؤلاء نجحوا في وقت من الأوقات في تشويه سمعة الرابطة ومكانتها وأوهموا الناس بأنها مؤسسة رسمية سعودية لا تستطيع التصرف وما إلى ذلك من ادعاءات ، وربما ترصدوا الحوادث وهوّلوها وكبّروها ، ولكنني أعتقد أن الحرية المكفولة للرابطة الآن لا يمكن لأحد أن يتحداها ، وهي ملموسة في أنحاء العالم الإسلامي ..

■■ إن ما أريد أن أقوله هو أن الرابطة كما أشرتم تمارس الآن عملاً ، تتفاعل من خلاله بالضرورة مع العمل الإسلامي الشعبي ، وذلك بمساعدته وتبنّيه ومعاونته ، والسير معه إلى مدى إزالة الحواجز النفسية التي يمكن أن تنشأ بين المسلمين .

— هذا ما يتم في الواقع ، وهو السبب وراء زيادة الضغط علينا ، لأن المؤسسات الإسلامية والأفراد والجهات المختلفة في الخارج تحس أن المساعدات التي تقدمها الرابطة هي أولاً نابعة من إخلاص - إن شاء الله - وفي الوقت نفسه غير مشروطة ، فالرابطة تسعى إلى أن تعالج حاجة ماسة في مجتمع ما أو نقص قائم أو علاج مشكلة من المشاكل ، ولذلك زاد الطلب ، ويزداد يومياً لأنهم يحسون أن الرابطة لا تملي عليها شروطاً أو تقدم إعانات مشروطة أو تطلب من الجمعيات أشياء غير معقولة ، بل بالعكس نطلب من الجهات تأسيس وقف ، ونتأكد من أن هذا الوقف إسلامي ، وأنه مصون بالنسبة للمستقبل ولا نشترط أن نمتلك شيئاً ، أو أن يكون المشروع ملكاً للرابطة ، رغم أنه قد ندفع مائة بالمائة من تكاليف المشروع سواء أكان مركزاً أو مدرسة أو غير ذلك ، وأعتقد أننا بحاجة إلى فترة من العمل الإيجابي حتى نزيل ما هنالك من تصورات مخطئة ، أو حساسيات متوارثة من الماضي إن شاء الله ..

مناخ التخلف

■■ لا شك أن كثيراً من العاملين في إطار العمل الإسلامي غير الرسمي كان أمله كبيراً بمجيئكم للرابطة ، بأن تأخذ الرابطة في الحقيقة بعداً آخر في معالجة بعض الأخطاء التي كانت تقع - كمحاولات السيطرة وغيرها - حتى تكون المراكز الإسلامية في أوروبا وفي غير أوروبا ، عبارة عن حواس تتكامل في تكوين العقل الإسلامي الصحيح ، الذي يمكن أن ينظر لمشكلات المسلمين وأن يعالجها ، ولا شك بأنه في الطريق سيظهر بعض الناس الذين تسيطر عليهم روح القبلية وروح الزعامة ، والرغبة في الاستئثار بالعمل الإسلامي وإقامة دويلات في العمل الإسلامي كدويلات العالم الإسلامي الرسمية ، لكن هذه يجب أن توضع لها في الحقيقة خطة طويلة الأمد لإنهائها شيئاً فشيئاً ..

وهنك في الحقيقة موضوع ، قد يكون أقرب إلى الاعتبار الشخصي منه إلى الصورة العامة .

أجد أن كثيراً من الإخوة الذين درسوا في أوروبا وأمريكا - وتخصصوا - يعودون بعد ذلك إلى العالم الإسلامي فلا يستطيعون الانفصال عن المناخ المتخلف في العالم الإسلامي ، ولا يكون عطاؤهم كاملاً بينما ينتظر منهم أشياء كثيرة ، ولكن تغلبهم طبيعة المناخ ومشكلات المناخ المتخلف الذي يعيشون به ، فلا يفيدون كثيراً من دراستهم في الغرب ، فتنعكس هذه الدراسة وهذه العقلية على عملية تطوير المناهج والخطط الموجودة في المؤسسات الإسلامية ، ويمكن أن نلحظ هذا في المراكز الإسلامية في الغرب ، كما يمكن أن نلحظه في المؤسسات الإسلامية التي جاء إليها من كانت له دراسات وتخصصات منهجية في أوروبا وأمريكا ..

— من الأمور الواضحة أن أبناءنا عندما يعودون من الخارج بعد حصولهم على الشهادات المطلوبة يأتون بحماس وغيرة ورغبة في العمل الإيجابي البنّاء ، ويتحرقون شوقاً لإنجاز الأمور ومحاولة إصلاح الوضع .. ولكنهم يصطدمون فعلاً بواقع حياتنا المعاصرة في العالم الإسلامي ، من وجود روتين قاتل وبيروقراطية متفشية إلى أبعد الحدود وحواجز تجعلهم بعد سنة أو سنتين يفقدون هذا الحماس تماماً ويندمجون في واقع المجتمع ، وهذه في الحقيقة مسألة فطرية فلا يمكن للإنسان أن يقاوم أكثر من ذلك ، إلا من آتاه الله سبحانه وتعالى الحكمة والمقدرة واستمرارية الحماس ، ولذلك أعتقد أن دولنا مطلوب منها أن تعيد النظر في الموضوع .. فعندما يأتي هؤلاء الأبناء عليها أن تتقبل منهم آراءهم وأن تحاول أن تلبيها لهم قدر الإمكان وشيئاً فشيئاً حتى يمكن إصلاح الوضع ، الآن هناك كثير من الدول أعلنت عن أنها تريد أن تستقطب العقول المهاجرة للغرب ، على سبيل المثال ، وهذه المشكلة يعاني منها العالم الإسلامي ، فهناك عشرات ومئات الألوف من أبناء المسلمين المتخصصين في شتى الفروع والعلوم والفنون التي يحتاجها العالم الإسلامي اليوم أشد الحاجة يعيشون في الغرب ، وقد حاولت بعض الدول أن تستقطب هؤلاء ، ووعدتهم بالإمكانات ثم فوجئوا بعد عودتهم إلى تلك البلاد - وهذا يعم البلاد الإسلامية كثيراً - أن هذا الأمر كان مجرد حلم أو سراب خادع واصطدموا بواقع الأمور وطبيعتها ، بحيث فقدوا الحماس ، لأنه لم يتوفر لهم الجو العلمي والإمكانات البعيدة عن الروتين وعن متطلبات العمل الورقية وتعطيل الأمور ، فجعلهم هذا ينصرفون مرة أخرى ، وكثير من أبناء المسلمين عادوا إلى الغرب مرة أخرى وهم أشد اقتناعاً بعدم الرجوع مرة أخرى حتى يحدث الله أمراً كان مفعولا ، فأنا أرى أنه لا بد من علاج هذه المشكلة بإيجابية وصراحة ورغبة في تغيير الواقع ..

■■ باعتبار مجيئكم وتعرفكم على أبعاد العمل وعوائقه ومشكلاته من الناحية الرسمية ومن الناحية الشرعية ، ومعرفتكم بطبيعة المناخ الذي لا يزال يساهم بطرد المتخصصين والعقول التي يمكن أن تساهم بإنقاذ العالم الإسلامي من تخلفه ، في الوقت الذي تستقطب فيه أمريكا والغرب كل العقول المفكرة .. ألا ترون بأن تقوم الرابطة بدور تستطيع من خلاله إقناع بعض الجهات وتذليل بعض العقبات ؟

— والله ما أدري إذا كان هناك دور ما ، نحاول التفكير في هذا الموضوع إن شاء الله ، لكن ما أعلمه هو أن كثيراً من المسؤولين الصغار والكبار لديهم الإخلاص والرغبة في تذليل هذه العقبات ، لكن واقع المسلمين عموماً يعطل ذلك فكل إنسان في موقع عمله مسؤول عن سبب هذه المشكلة - وما تخاطب أحداً إلا ويعرف أن هذه المشكلة قائمة وموجودة ويريد أن يعالجها ، لكنه لا يقوم ببذل أي جهد ، ويندمج في نطاق وإطار العمل القائم ويدخل في الروتين ، ثم ينسى الدور الذي عليه أن يؤديه .

وأعتقد أنه لو استصدرنا مئات التوصيات ثم لم تلق رغبة وحماساً في التنفيذ من جميع العاملين بدون استثناء ، يصعب تنفيذها ، ولكن هذه المشكلة ربما تطرح للدرس أكثر ، ونضع توصيات بشأنها ، لأن وظيفة الرابطة في الحقيقة هي الدراسة وتقديم توصيات .

■■ في الحقيقة الرابطة - شئنا أم أبينا - على علاقة بالقضية ، فهي تشرف على دراسات

وتتعامل مع جاليات وتتعامل مع طلبة يدرسون في الغرب ، وتتعامل مع عقول مهاجرة ، في مكاتبها في اوروبا وامريكا . والاصل انها تتعامل مع العقول المسلمة المهاجرة هناك ، فهي موجودة في العالم الإسلامي وهي في الوقت نفسه موجودة في اوروبا وامريكا والبلاد التي تستقطب هذه العقول ، واعتقد بان هذا التواجد يعطيها دوراً ما على مستوى الافراد الموجودين والمهاجرين ، بتوضيح حاجات بلادهم ، وضرورة العمل لتغيير الواقع ، وان الواقع هذا لا يتغير بين عشية وضحاها ، وتغريهم بالعودة إلى بلادهم ، ومن جانب آخر تحاول ان تهيىء لهم المناخ الطبيعي في بلادهم ما امكن ، لان كثيراً من العقول المهاجرة في الحقيقة موجودة في مكاتب الرابطة بالخارج ..

— في هذه المرحلة ؛ تقوم الرابطة بالاستفادة من تلك العقول في مهام مؤقتة في شغل مناصب مؤقتة ، او في عمل دراسات معينة ، وتدل الجهات في العالم الإسلامي على اماكن تواجد هؤلاء وعناوينهم ومجالات تخصصهم حتى يمكن الاستفادة منهم ، هذا جانب لا بأس به كفترة انتقالية ، ولكنني ارى ان علاج المشكلة من جذورها يبدأ بالتعليم ، فلا بد من تغيير مناهج التعليم واسلوب التربية ، اما مدارسنا وجامعاتنا فليس فيها تربية في الواقع ، فيها فقط تلقين وشيء من التعليم ، فلا بد من غرس التربية الإسلامية والروح البنّاءة ، نحن نرى اليهود كيف ينشّئون في ابنائهم المبادىء التي يدعون إليها بطريقة عملية ، في البيت والمدرسة وفي الشارع . وهذا من واجب المسلمين ، كان المسلمون في الماضي يغرسون في الطفل - منذ نعومة اظفاره - الجوانب البنّاءة وروح الإخلاص والتفاني والعمل ، والإخلاص لله عز وجل فينشأ الشاب وهو متحمس ، الآن شبابنا يتخرجون وهم بعيدون جداً عن الحماس ، والاهداف والوسائل والغايات مختلطة عليهم ، لا يعرفون ما هي الوسيلة وما هو الهدف ، فأصبحت الوسائل اهدافاً والاهداف وسائل ، واختلطت الامور كثيراً ، وهذا يحتاج إلى نفس طويل ، وإلى ان يعي المسلمون هذا الدور ، ويحاولون إصلاح مناهج التربية والتعليم حتى ننطلق .

دليل عمل

■■ لا شك بان الجاليات الإسلامية التي تعيش في البلاد الاوروبية مثل : بلجيكا وفرنسا والمانيا وغيرها لها مشكلاتها المعروفة ، وقد لاحظنا ذلك خلال زيارتنا لها ، ولكن كانما يلمح الإنسان بانه لا توجد الدراسة الدقيقة عن هذه المجتمعات ومداخلها وقوانينها وكيفية التعامل معها ، او دليل عمل - إن صح التعبير - للقضية الإسلامية وللمتعاملين معها سواء اكان على مستوى الجالية او على مستوى الطلبة المبتعثين او على مستوى ابناء الجالية الذين لا يزالون مستنقعين بنوعية معينة من الدراسات ، عاجزين عن تجاوزها إلى غيرها ، وكان الإنسان ما شعر بان القضية تاخذ نهجاً علمياً ، وطريقاً منهجياً ، فهذه القضية في الحقيقة على غاية من الاهمية والخطورة : دراسة مداخل الشعوب وتاريخها وثقافتها وخريطتها العقيدية وكيفية التعامل معها ، ووضع دليل عمل للقائمين هناك والعاملين بالقضية الإسلامية ، وبالنسبة لمركز بروكسل - الذي يتبع الرابطة - هناك قضايا التعليم في المعهد القائم به ، وقضايا الإذاعة الموجهة ، حيث يمكن الاستفادة منها في تقديم دروس لتعليم اللغة العربية بشكل عام توجه للجالية ، هناك في الحقيقة إمكانات موجودة ، لكن لا بد لها من خطة منهجية مرحلية كاملة مستوعبة صورة المجتمع الذي يجب ان تتعامل معه ، فكل إنسان يتصرف بما يراه ، وقد يكتشف خطا تصرفه فينتقل إلى تصرف آخر ، فما ادري ، هل صار هناك - بالنسبة للمراكز الإسلامية في اوروبا وامريكا - تصور معين او دراسات تمكن من إيجاد دليل العمل الإسلامي هناك ، وإلى اي مدى استفيد من تجربة المركز الإسلامي والمعهد في بروكسل ؟

— إن مشاكل الجاليات الإسلامية في العالم الخارجي مشاكل قائمة بذاتها ، بعضها مستورد من العالم الإسلامي ومنقول إلى هناك ، وبعضها نابع من البيئة ، وبعضها ناتج من عوامل اخرى كثيرة ، وهناك نوعان من الجالية ، فالغربيون المسلمون لهم مشاكلهم والشرقيون لهم مشاكلهم ، ولكن صعوبة العمل - اعتقد - تاتي من كبر حجم العمل المطلوب تحقيقه من الرابطة ، وهو المطلوب من الخلافة الإسلامية - لو كان هناك خليفة ، فهذه مسؤولية الخليفة - مطلوب منّا حجم عمل اكبر بكثير من طاقاتنا ومع ذلك نحن الآن بصدد الاستفادة من بعض المنظمات الكبيرة في الغرب - خاصة في امريكا - في عمل دراسات عن واقع الجاليات ومشكلاتها ومتطلباتها ، ووضع منهاج عمل لعلاج هذه المشاكل ، لكن هذا في الواقع يحتاج إلى بعض الوقت ، وقد بدأنا بأمريكا - وإن شاء الله بعد ذلك تاتي اوروبا ، لان اوروبا في الحقيقة مشكلاتها اكبر ، فالمجتمع متباين وظروف الجاليات مختلفة بعض الشيء وقد نحتاج إلى اكثر من دراسة .. اما في امريكا فهناك نوع من التجانس في المشاكل ، والدراسة هناك اسهل ، فإذا نجحنا في تلك الدراسة نحاول ان نستعين بمنظمات اخرى في اوروبا او ان تقوم الرابطة بهذا العمل ، اما الآن فلا يوجد طبعاً منهاج عمل .

توصيات فعَّالة ولكن

■■ بالنسبة لموضوع الإعلام - كصورة اخيرة - لا شك بان هناك صحفاً ومجلات إسلامية في العالم الإسلامي قد تكرر نفسها ، وقد تغيب عن بعضها رؤية مشكلات المسلمين وقد تخطىء في معالجتها .. الا تعتقدون ان الرابطة مطلوب إليها ايضاً ان تولي هذا الموضوع او هذا الجانب قدراً من الاهمية فتنظم مؤتمرات للصحافة الإسلامية او تشكل اتحاداً للصحفيين المسلمين وتجمعهم في لقاءات لتحديد الاهداف التي يجب ان تعمل لها الصحف ، وتوزع الاعمال فلا تكرر نفسها ، يعني ان تقوم بخطة إعلامية تشرف عليها ويلتقي الناس عليها في إطار معين سنوياً ، على سبيل المثال .. توضح كيفية تناول مشكلات العالم الإسلامي ومعالجتها ، باعتبار ان المفروض بالصحافة ان تكون سرايا استطلاع تاخذ مواقع الريادة المتقدمة في الكشف عن المشكلات والتحذير منها ، والاخذ بيد الناس لمعالجتها وتقديم المقترحات والحلول للمشكلات التي يعاني منها المسلمون ، والقيام بدور من التوعية ، حتى تجد الخطط التي توضع في المؤسسات والمنظمات الإسلامية بعدها واثرها في العالم الإسلامي .

— كما تعلم ، فقد سبق أن عقدت الرابطة مؤتمرين للإعلام الإسلامي خلال السنوات الماضية وخرجت بتوصيات وتصورات ، أعتقد أنها ناجحة وقد تكون فعَّالة ، ولكنها لم تنفذ .

وقد أدَّت الرابطة دورها ، وارسلت هذه التوصيات ووضعت التصورات لها ومنها : قيام مؤسسة إعلامية كبرى على المستوى الشعبي .. وغير ذلك ، ولكنها في التنفيذ لم تنجح ، والرابطة لا تستطيع أن تقوم بالتنفيذ أيضاً ومن غير الممكن أن يُطلب منها ذلك لانه من عمل الدولة . والآن نحن بصدد تقويم هذه التوصيات ، وما تم فيها ، ومتابعتها ، وملاحقتها ، وإذا لزم الأمر لعقد لقاءات أخرى للصحفيين فلا بأس .

■■ الحقيقة انا لا انظر إلى القضية من جانب التنفيذ ، انا اقول : إنه عندما تلتقي مجموعة من الصحفيين المسلمين سوف يستفيد كل منهم من خبرات الآخر وتقدم اوراق عمل وتناقش ، وهذا بحد ذاته كسب كبير ، حيث تكون قد اوجدت رصيداً من التجانس والعقلية المتقاربة وحققت نمواً في الإحساس بمشكلات معينة .. هذا شيء غير القضية التنفيذية التي تتطلب جهازاً رسمياً وحكومياً .

— نعم .. ولكن هذا تم ، وسوف يتم أيضاً في المستقبل إن شاء الله .

يا رافعاً علم الجهاد

إلى إخوة الجهاد في أفغانستان

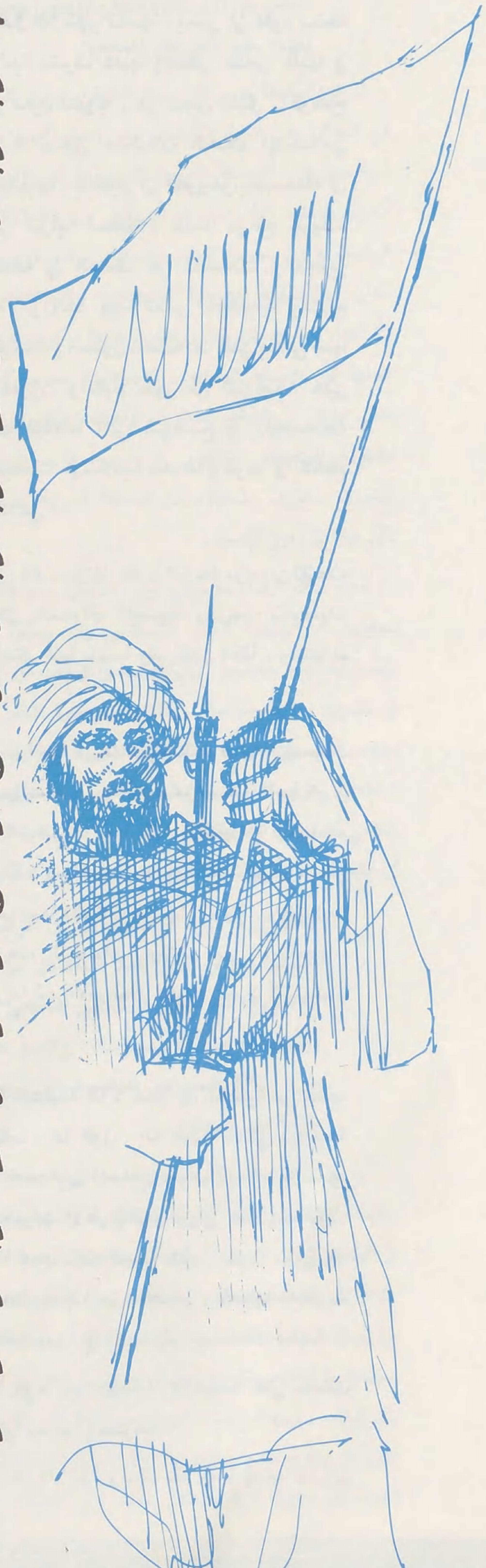

مِنْ أيِّ نَبْعٍ أَسْتَقي أَنْغامي … وَبِأيِّ قافِيَةٍ أَصوغُ كَلامي ؟
كُلُّ القَصائِدِ في فَمي مَحْبوسَةٌ … مُحتاجَةٌ مِنِّي إلىٰ إقْدامِ
سيَّافُ .. أَلْفُ تَحِيَّةٍ أُهْديكَها … مِنْ أَرْضِنا مِنْ مَنْبَعِ الإِسْلامِ
لَوْ أَنَّ سَيْفَكَ في يَدَيْ مُتَخاذِلٍ … أَوْ قاطِعٍ لِأَواصِرِ الأَرْحامِ
لَوْ أَنَّ سَيْفَكَ في يَدَيْ مُتَواطِئٍ … أَوْ خائِنٍ مُتَذَبْذِبٍ مُتَعامِ
ما ارْتَدَّ عَنْكَ الرُّوسُ ؛ في نَظَراتِهِمْ … رُعْبٌ ، وَجَيْشُكَ ثابِتُ الأَقْدامِ
سَيَّافُ ، .. قَدْ ساقَ العَدُوُّ جُنودَهُ … لٰكِنَّهُمْ كَسَوائِبِ الأَغْنامِ
جاؤوا بِلا هَدَفٍ ، وفي أَبْصارِهِمْ … غَبَشٌ ، فَهُمْ في غَمْرَةِ الأَوْهامِ
يا حامِلاً نَهْجَ الرَّسُولِ ، وعَصْرُنا … يَلْهو بِحَمْلِ مَبادِئِ الأَقْزامِ
يا رافِعاً عَلَمَ الجِهادِ ، وأُمَّتي … مَشْغولَةٌ بِتَناحُرٍ وَخِصامِ
اضْرِبْ بِسَيْفِكَ ، فَالرُّؤوسُ « وَإِنْ … بَدَتْ
مَلأىٰ … » مُفَرَّغَةٌ مِنَ الأَحْلامِ
أَوَ ما تَرىٰ ـ فيما تَرىٰ ـ رُؤَساءَهُم … صاروا عَبيدَ مُدامَةٍ وَغَرامِ ؟
لَجَؤوا إلىٰ الأَعْداءِ ، ما وَجَدوا علىٰ … أَعْتابِهِمْ إلَّا فُتاتَ طَعامِ
يَتَناحَرونَ علىٰ مَبادِئِ غَيْرِهِمْ … وَصُفوفُهُمْ تَمْشي بِغَيْرِ نِظامِ
يَتَسابَقونَ إلىٰ اللَّذائِذِ ـ أَيْنَما … وُجِدَتْ ـ وَلا يَقِفونَ دونَ حَرامِ
امْدُدْ يَدَيْكَ إلىٰ حِبالِ رِقابِهِمْ … سَتَرىٰ سَراةَ القَوْمِ كَالأَنْعامِ
هُمْ يَحْلُمونَ بِضَمِّ لَيْلىٰ خِلْسَةً … وَبِشُرْبِ كَأْسٍ تَحْتَ جُنْحِ ظَلامِ
وَأَراكَ تَحْلُمُ أَنْ تَرىٰ عَلَمَ الهُدىٰ … يَعْلو ، وَأَنْ تُبْنىٰ ذُرا الإِسْلامِ
سَلَكوا إلىٰ العَلْياءِ دَرْبَ خَديعَةٍ … وَسَلَكْتَ دَرْبَ الفارِسِ المِقْدامِ
وَرَفَعْتَ رَأْسَكَ في زَمانٍ ضُيِّعَتْ … فيهِ الحُقوقُ بِوَصْمَةِ اسْتِسْلامِ
شَتَّانَ بَيْنَ النَّاسِ في أَهْدافِهِمْ … شَتَّانَ بَيْنَ عَصاً وَبَيْنَ حُسامِ
سَيَّافُ .. ما وَقَفَ الزَّمانُ مُقَدِّراً … إلَّا لِكُلِّ مُجاهِدٍ وعِصامي
ما زِلْتُ أَقْرَأُ في سِجِلِّ جِهادِكُمْ … ما أَغْفَلَتْهُ وَسائِلُ الإِعْلامِ
لَمْ نَنْسَ يا سَيَّافُ ما قاسَيْتُمو … في نُصْرَةِ الإِسْلامِ مِنْ آلامِ
دِينٌ تَذوبُ بِهِ الفَوارِقُ بَيْنَنا … فَإِذا بِنا في أُلْفَةٍ وَوِئامِ
نَبْغي السَّلامَ ؟ نَعَمْ .. بِسَيْفِ عَدالَةٍ … نَبْني سَلاماً لا كَكُلِّ سَلامِ
سَيَّافُ .. هٰذي نَفْحَةٌ مِنْ خاطِري … أَلْبَسْتُها ثَوْباً مِنَ الأَنْغامِ
سِرْ ، فالطَّريقُ طَويلَةٌ ، لٰكِنَّها … تُفْضي إلىٰ عِزٍّ وَحُسْنِ خِتامِ

شعر : عبد الرحمن صالح العشماوي

جامع عمرو بن العاص أول العمائر الإسلامية في أفريقيا

استطلاع

بقلم : عبد الغني محمد عبد الله

■■ الأوائل .. دائماً تصيبهم الشهرة .. وهذا المبدأ ليس وقفاً على البشر فقط .. بل للجماد أيضاً شهرته . وكما يتحدثون عن هؤلاء الرجال الأوائل ، أو تلك النساء الرائدات . فإن رجال الآثار ونقاد الفنون دائماً يتحدثون عن الأفكار الأولى في الفن بجميع ميادينه .. ومن بينها .. العمائر .

وصحيح أن حركة النقد الفنية الحديثة لا تهتم كثيراً بفنوننا الإسلامية ؛ برغم أن الفنون الإسلامية من أعظم الفنون ، ومن أطولها عمراً في التاريخ ، وليس هناك من شك في أنها قد بلغت مبلغاً كبيراً من السمو ، ومن الرقي الفني . ولكن علماء الغرب في فترة السيادة الغربية على العالم ـ منذ بداية العصر الحديث ـ قد زاد اهتمامهم بفنونهم وبالتالي حديثهم عن عظمتها وأخذها بالدور الرائد ، ناسين أو متناسين هذا الرصيد الكبير الذي سلمته الحضارة الإسلامية كمصدر إلهام لفناني الغرب . ■■

وإذا كانت بعض دور العبادة في ديانات أخرى قد أصاب عمارتها وزخرفتها رقي فني كبير . ومع اعترافنا بهذا التطور الفني في العمارة والزخرفة ، إلَّا أنه بالمقابل : وصلت دور العبادة لدينا ـ هي الأخرى ـ في عمارتها وزخرفتها إلى مراحل رائعة من التطور الفني .. ليس كلها بطبيعة الحال . ولكن أغلبها .. شأننا في ذلك شأن الآخرين . ويقف نقاد الفنون وأساتذة تاريخ العمارة الغربيون بشيء من الخجل أمام تلك العمائر الإسلامية ـ لكونهم لم ينصفوها ـ فتلك الروائع الفنية في قبة الصخرة والمسجد الأقصى والمسجد الأموي ـ باعتبارها قد أقيمت في عصر إسلامي مبكر ـ قد حيرت العقول الفنية ، وذهبت فيها وفي تفسير فلسفتها الفنية الإسلامية مذاهب شتى .

وقد اتجهت الفنون الإسلامية إلى تزيين المساجد بعناصر زخرفية ذات أنماط متعددة باعتبار أن الزخرف ليس من التعبير ،

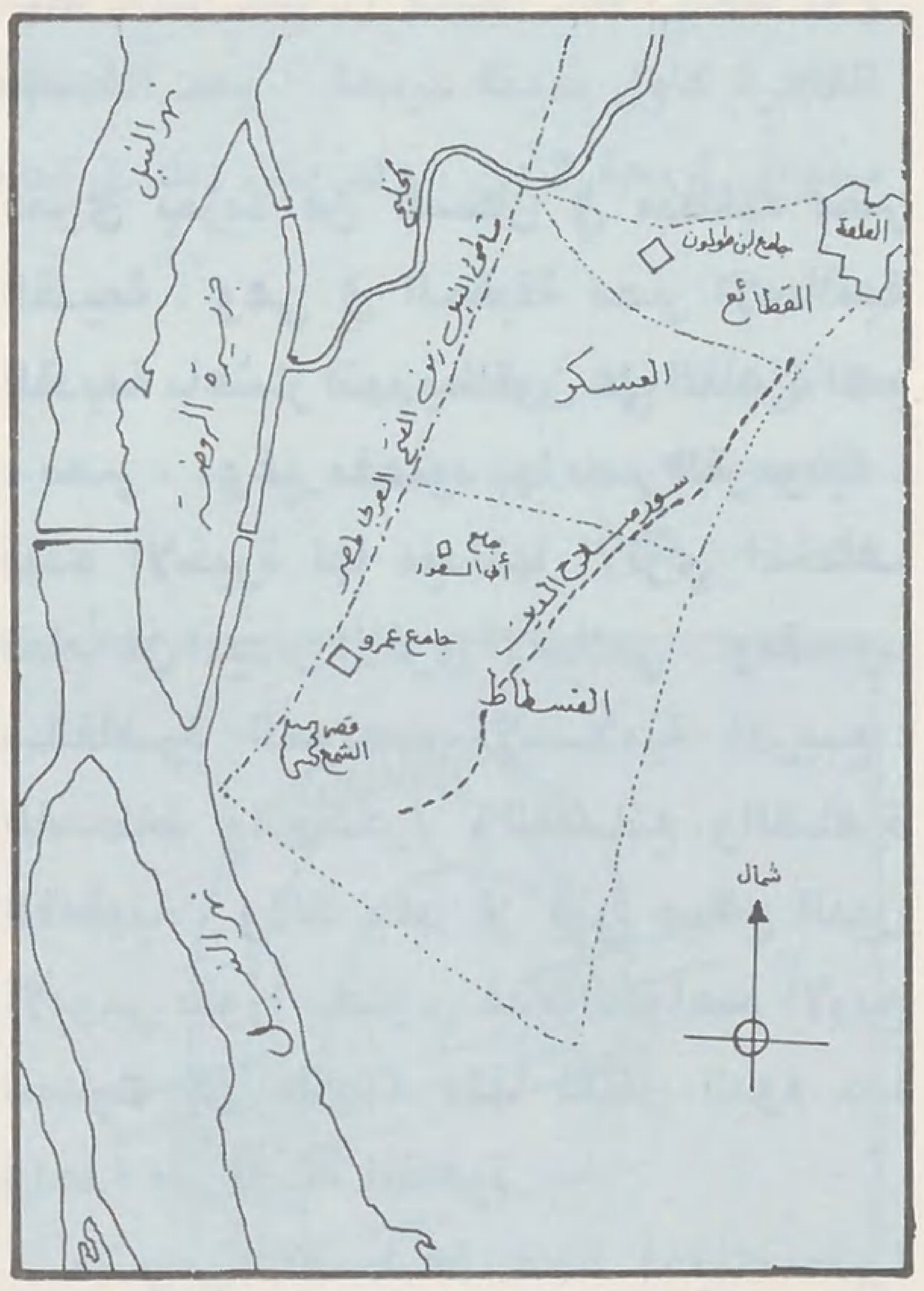

■ موقع جامع عمرو بن العاص في الفسطاط ■

وباعتبار أن تلك الزخارف نوع من الفنون .. والفنون تتعامل دائماً مع الوجدان .

ومن هؤلاء الأوائل ـ وقد اتفقنا على أن للجماد أوائل ـ « جامع عمرو » ، وهو أول العمائر الإسلامية في مصر وأفريقية . ولذا فشهرته تتعدى النطاق المحلي إلى النطاق الإسلامي العالمي . وهنا لا يفوتني أن اقدمه لكم . فهو « جامع عمرو بن العاص » في الفسطاط وإن كان العامة في مصر يطلقون عليه اسم « جامع عمرو » فقط .

وهذا الجامع الأثري الشهير لم يحمل هذا الاسم فقط ، ولكن خلال رحلته عبر الزمن ـ (١٤) قرناً ـ أُطلق عليه عدة أسماء ، عدَّد لنا منها ابن دقماق : « تاج الجوامع ، إمام المساجد ، مقدَّم المعابد ، قطب سماء الجوامع ، مطلع الأنوار اللوامع ، موطن أولياء الله وحزبه ، المسجد العتيق ، ومسجد أهل الراية » ، وجاء في المراجع باسمَيْ « المسجد والجامع » .

جامع عمرو بن العاص أول العمائر الإسلامية في أفريقيا

استطلاع

والوقوف بجوار جامع عمرو معناه الوقوف بوسط الفسطاط القديمة، المعسكر ثم المدينة، حينما كانت الفسطاط العاصمة الأولى لمصر الإسلامية .. هذا من وجهة النظر الأثرية، أما واقع الحال اليوم فهو مختلف. فالفسطاط العاصمة ليست هي فساطيط اليوم. فهناك الفسطاط الحديثة وهي عبارة عن حي سكني شمالي المسجد، تحمل شوارعه بعض الأسماء العربية مثل « بني كعب، أهل الراية، (أبو السعود)، وطاهر بن الحسين ... إلخ. أما الفسطاط القديمة، فهي عبارة عن أكوام وخرائب منذ حريقها المدمر أواخر العصر الفاطمي، وهو الحريق الذي حولها إلى أكوام يطلقون عليها اسم « كيمان الفسطاط »، ويتعامل معها رجال الآثار اليوم بشيء من العناية حيث تجرى الحفريات من زمن طويل، باعتبارها كنزاً أثرياً، يكشفون بواسطته تباعاً عن التاريخ الفني والاجتماعي والاقتصادي للمنطقة. ومن الفسطاط القديمة والحديثة بالإضافة إلى الأحياء المحيطة بهما - وهي أحياء صغيرة مثل عزبة أبو قرن، الفواخير (جمع فاخورة وهي عبارة عن مصانع وقمائن لصناعة الفخار)، تُرَبُ النخال، ومناطق أخرى داخل الصحراء تمتد إلى منطقة بطن البقرة - يطلق الأهالي على هذا كله اسم الفسطاط. وأحياناً يقولون: « بجوار عمرو » وهم يقصدون بذلك المنطقة المحيطة بجامع عمرو بن العاص. أو يختصرون ويقولون: « عمرو » فقط، ومن اتجاه الحديث سيفهم السامع ما إذا كان المقصود بذلك الجامعَ نفسه أم انه تُقْصَد المنطقة كلها.

وطبيعة منطقة الفسطاط القديمة، وحفرياتها تمنع محبي الاستطلاع عن الذهاب إليها بسبب حالتها السيئة، فهي نوع مختلف عن باقي المناطق الأثرية، لأنها مدينة مهدمة، هجرها أهلها فجأة بسبب الحريق المتعمد الذي شبّ بها. ولذا فهي طبقات فوق طبقات .. بلا ترتيب، ولكنها الآثار التي لا يمكن التعامل معها إلّا من خلال التراب، وما هو تحت الأرض. ويبدو أن هذا الحريق قد دفع أهل الفسطاط وساكنيها بعيداً عنها إلى أحياء جديدة تجاورها. أو لتغذية أحياء

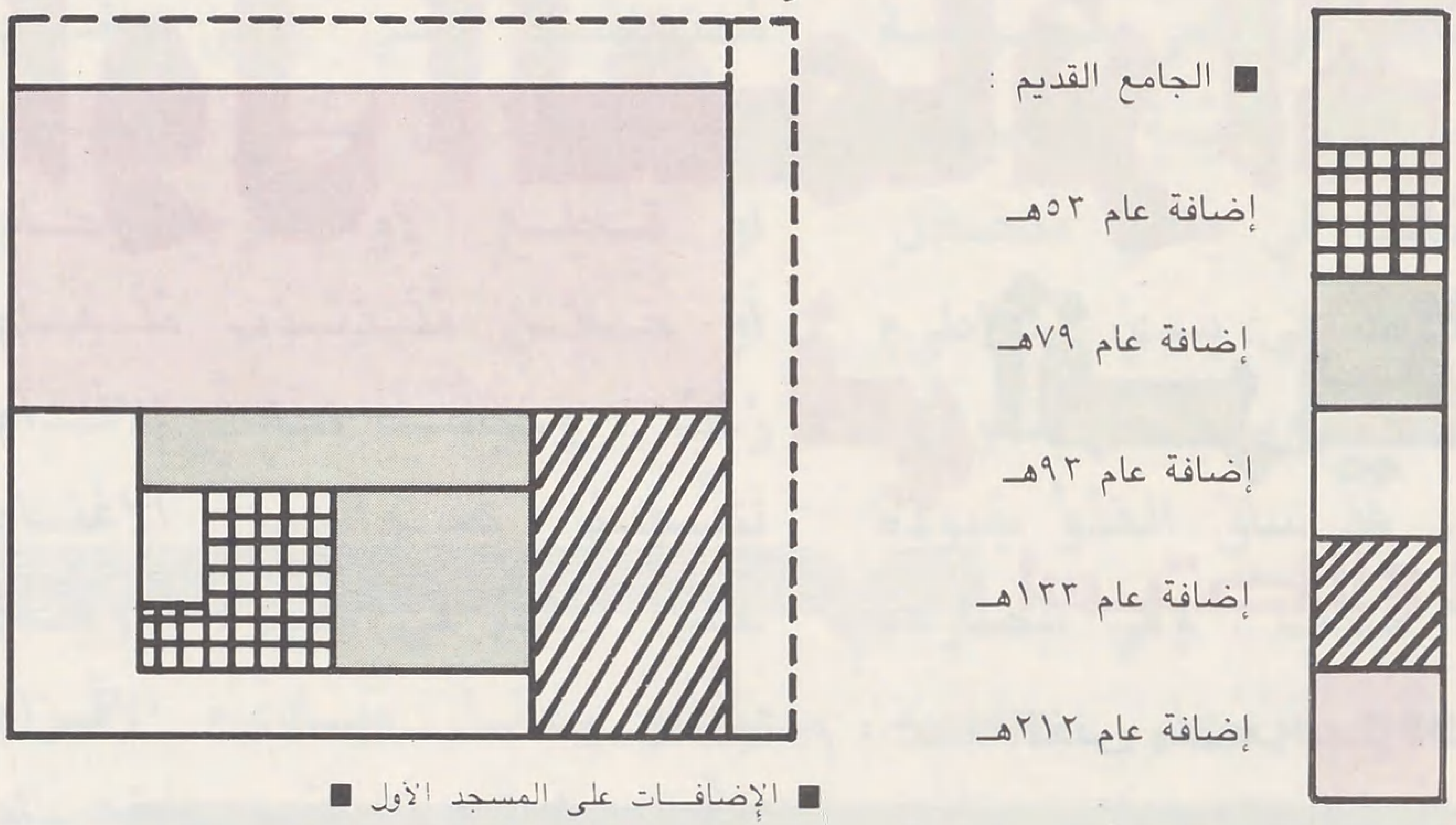

■ الإضافات على المسجد الأول ■

■ المقصود بالقاهرة العواصم الإسلامية الأربع: الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة الفاطمية وذلك بعد أن بنى صلاح الدين الأيوبي سوراً يحتوي هذه العواصم. ■

أخرى بمزيد من السكان في منطقة مصر القديمة، وهي في الحقيقة مصر الإسلامية القديمة باعتبار أنهم يطلقون على القاهرة اسم « مصر »، وغير مقصود بها مصر الفرعونية، فهذه الأخيرة لها ميدانها الأثري المختلف تماماً عن الميدان الأثري الإسلامي .. ومقصود بالقاهرة العواصم الإسلامية الأربع: الفسطاط والعسكر، والقطائع والقاهرة الفاطمية، وذلك بعد أن بنى صلاح الدين الأيوبي سوراً يحتوي هذه العواصم الأربع فصارت كل عاصمة منها تشكل اليوم حياً واحداً من أحياء القاهرة.

جنوبي الفسطاط عدة أحياء منها « الخوخة، وأثر النبي، وإسطبل عنتر، وكوم غراب، وقصر الشمع »، وأقرب هذه المناطق إلى الفسطاط وجامع عمرو، هي منطقة « ماري جرجس »، وهي منطقة تنتشر فيها عدة كنائس منها: « ماري جرجس، الست بربارة، أبو سرجة والكنيسة المعلقة »، وتقف الأخيرة فوق إحدى الدعائم القوية من الطوب الأحمر في مدخل حصن بابليون. وباعتبار أن الحصن روماني تم اقتحامه إسلامياً فقد صار أثراً مشتركاً .. وهو على أي حال موقع يشعر فيه الإنسان بالرهبة نظراً لضخامة أسواره وارتفاعها وقلة الضوء المتسرب إلى داخله، ذلك كله يطرح على المشاهد سؤالاً يظل حائراً في الإجابة عليه حتى خروجه من هذا الموقع؛ وهو: كيف استطاع جند الإسلام اقتحام هذا الحصن الرهيب، والحيرة ليست لدينا نحن ولكن عند الآخرين الذين لم ينعموا بنعمة الإسلام.

ونعود إلى جامع « عمرو » آخر أثر إسلامي متكامل بقي في الفسطاط. وأول ما أقيم فيها ..

■ جامع عمرو بن العاص آخر أثر إسلامي متكامل بقي في الفسطاط وهو الوحيد الذي نجا بعد حرقها . ■

وهو الوحيد الذي نجا بعد حرقها ، وهو بالتالي أقدم أثر إسلامي باق حتى الآن في مصر بل وفي أفريقيا كلها ..

وببقائه طوال تلك الفترة عاصر أحداثاً جساماً في تاريخ مصر والعالم الإسلامي ، ولذلك فهو واحد من هؤلاء الشهود على مجد الإسلام وعظمة دولتـه ـ أو دوله ـ منذ إنشائها في بداية القرن الأول الهجري وحتى اليوم .

وقد تعرَّض الجامع للتغيير والتوسيع والترميم والتزيين مرات عديدة طوال تلك الفترة الطويلة من الزمن مجدداً شبابه .. قائماً بدوره ومستمراً في أداء ذلك الدور على أكمل وجه حتى الآن .

كم استقبل من الحكام والوزراء والبحاثة والكتاب ومحبي الاستطلاع والرحَّالة والمؤرخين ـ المحبين والكارهين ـ يحكي لهم في صمته ويستنطقون أحجاره بعقولهم .. وقد لا يفهمون ما يقوله لهم ؛ فقراءة الآثار فن .. وذكاء .

بناه عمرو بن العاص سنة ٢١هـ عقب فتح مصر مباشرة ، واتسع بعد ذلك بشكل مطرد حتى صار على مساحته الحالية .. وكان ـ وما يزال ـ مبناه نتاجاً إسلامياً خالصاً في مختلف ميادين العمارة الإسلامية وزخرفتها .. وقد نما وكبر مع نمو الفنون الإسلامية وتطورها .. ونراه حتى اليوم لا يزال يؤدي دوره .. قائماً في مكانه ، لم يتغير ، وإن كان كل ما حوله قد تغير .

ومعروف أن « جامع عمرو » كان في الوسط ـ وسط الفسطاط ـ ومن حوله كانت خيام القبائل في شكل دائري ... لتتساوى جميع القبائل في درجة قربها من المسجد .. وذلك كان في الفسطاط « المعسكر » ثم الفسطاط « المدينة » .

والفسطاط المدينة لم تقم بها حصون .. وتعليل ذلك أن أهل مصر اقبلوا على الإسلام عن عقيدة وإيمان .. فالآثار دائماً في خدمة التاريخ السياسي والاجتماعي والفكري والاقتصادي إذا ما أُحسنت قراءتها .

ولهذا لم ير عمرو بن العاص خطراً من أهل مصر ، وهذه ظاهرة تستحق التسجيل ، وإن كانت هناك إشارات قليلة عن أحد الخنادق حول الفسطاط ، أقامه ابن جحدم العامل على مصر من قِبَل عبد الله بن الزبير سنة ٦٤هـ ، وفي رأينا أن سبب ذلك هو الخوف من زحف أموي منتظر ، ولم يكن السبب هو الخوف من أهل مصر ، وقد تعرض المقريزي لهذا الخندق في خططه .

وهناك تلميحات أخرى من ابن دقماق عن بعض المحارس المتفرقة . ويقال عن قصر الشمع ـ قرب كوم غراب جنوبي الفسطاط بمسافة قليلة ـ وعن قصر الروم ـ بجوارهم ـ يقال إنهما كانا من بعض خطط الفسطاط ، إذا أخذنا في الاعتبار أن المقصود بكلمة « قصر » معنى (الحصن) وعلى ذلك فتحصين الفسطاط جاء متأخراً .

وكان جامع عمرو في وسط الفسطاط ـ إلى جانب كونه مكان الصلاة والعبادة ـ يمثل مركز الحكم ، وبيت المال ، والإدارة . وتعسكر حوله القبائل المشتركة في فتح مصر .. ومن هنا يمكن الاستدلال بكل ارتياح على أن الفسطاط كانت مدينة مدوّرة . وهذا هو النمط الذي فضّله العرب في بناء المدن الجديدة ..

ولم يتغير هذا النمط إلَّا بعد بناء مدينة القاهرة كأول مدينة مربعة .. بعد الفسطاط بحوالي أربعة قرون ، ولم يكن ذلك في مصر فقط .. بل في البلاد الأخرى مثل البصرة والكوفة .

■ نوافذ جامع عمرو ■

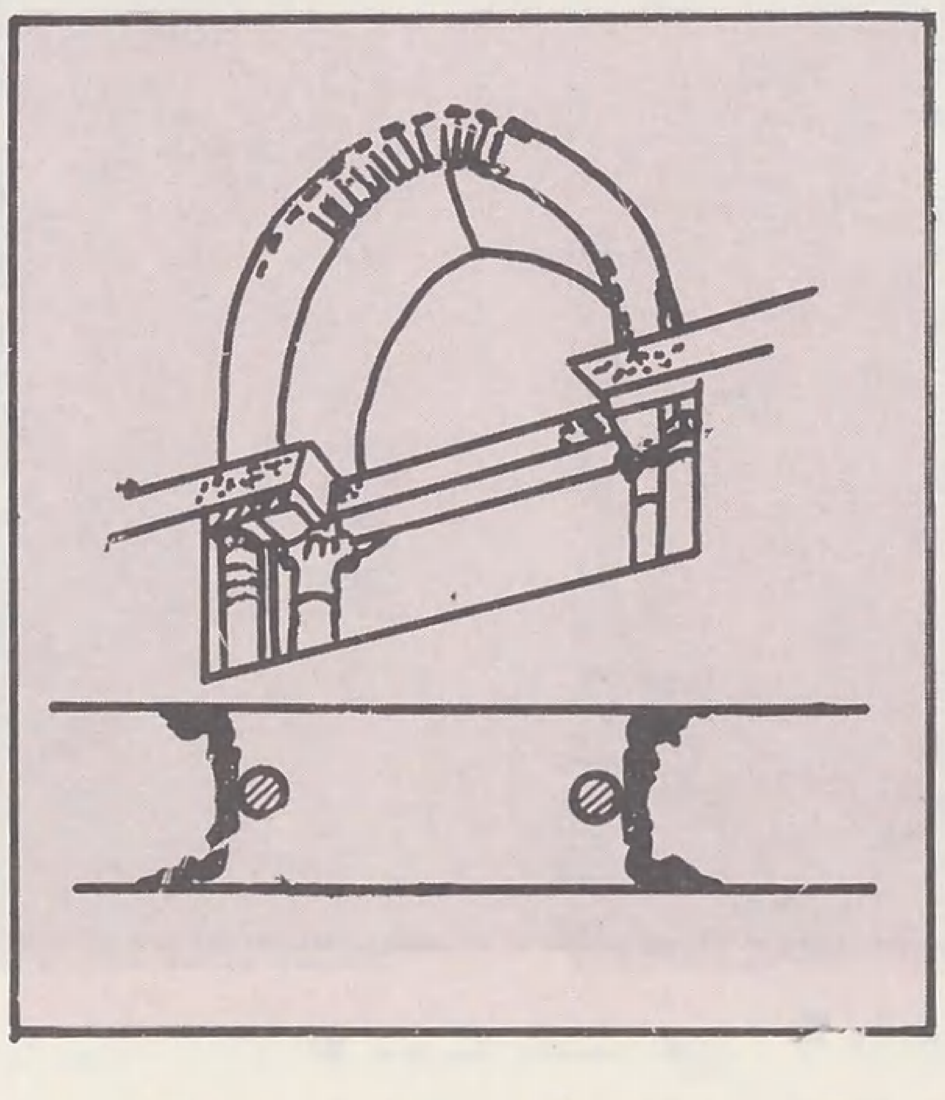

والحديث عن « جامع عمرو » طويل . فهو حتى عصر محمد علي كان قد حدثت به (١٥) عملية هدم وبناء يمكن تقسيمها جميعاً حسب تطور المسجد إلى سبع مراحل .. والثماني الباقية كانت ترميمات :

١ ـ أول بناء أنشىء سنة ٢١هـ وكانت مساحته صغيرة ٥٠×٣٠ ذراعاً ، له ستة أبواب وسقف منخفض وبدون صحن وحوائطه من الطوب اللَّبِن ، والمحراب مسطح ومرسوم على الحائط (أي لم يكن مجوفاً) .

٢ ـ سنة ٥٣هـ أعاد بناءه مسلمة بن مخلد ، مع توسيع رواق القبلة وإضافة صحن للمسجد ، وإضافة طلاء الحوائط ، والفرش (بالحصير) ، وبناء أربع صوامع في الأركان استخدمت كمآذن .

٣ ـ سنة ٧٩هـ كانت إضافة عبد العزيز بن مروان ؛ وهي عبارة عن توسعة في جهتي الشمال الغربي والجنوب الغربي ، وأدخل الصحن في المسجد .

٤ ـ سنة ٩٣هـ كانت إضافة قرة بن شريك حيث وسَّع المسجد وأنشأ المحراب المجوف (وفق أكثر الآراء الأثرية) . وتم تذهيب تيجان الأعمدة وأصبح للمسجد أحد عشر باباً .

٥ ـ سنة ٩٧هـ (خلال خلافة سليمان بن عبد الملك) أضيف بيت المال للمسجد وتم بناء النافورة (الفوارة أو المِيضَأة) .

٦ ـ سنة ١٣٣هـ كانت أول توسعة عباسية وقد نفذها أول والٍ عباسي لمصر « صالح بن علي » وقد وصل المسجد بهذه التوسعة إلى نصف مساحته الحالية .

٧ ـ الإصلاحات التي تمت سنة ٢١٢هـ ، وقد أشرف عليها « عبد الله بن طاهر » خلال خلافة « المأمون » وهي أهم المراحل ، إذ أنها المرحلة التي ثبتت عليها مساحة المسجد ، وهي المساحة الحالية ١١٠×١٢٠م وأصبح مسقطه الأفقي

جامع عمرو بن العاص أول العمائر الإسلامية في أفريقيا

استطلاع

عبارة عن شبه منحرف . ووصلت أبوابه إلى (١٣ باباً) وصارت هذه المساحة البالغة (١٣٢٠٠) متر مربع يحتويها سور هو عبارة عن حائط من الطوب الأحمر بارتفاع تسعة أمتار تقريباً .

ولقد تعرض المسجد للإهمال في العصور التالية ، وناله الكثير من عدم الاهتمام ، حتى إنه في السنوات الأخيرة قد اقتصرت الصلاة فيه على جزء صغير منه فقط ، وأهملت الفوارة ، وتساقط طلاء حوائطه التي أصبحت بلون أسود بفعل الرماد المتخلف عن إضاءة القناديل الزيتية أو وسائل الإنارة بالكيروسين في العصر الحديث ، وغطى التراب الناعم ساحته ، وتهدمت بعض حوائطه ، وتكومت من حول أسواره أكوام التراب والمخلفات ، وأصبح موقعه نفسه مهملاً .. ولا تحوطه عين الرعاية أو العناية اللازمة : لا باعتباره واحداً من أهم العمائر الدينية وأسبقها وأبقاها في قارة أفريقيا عامة وفي مصر بصفة خاصة ، ولا باعتباره أثراً إسلامياً من أقدم الآثار الإسلامية الباقية في العالم الإسلامي .

الترميم

ومنذ عدة سنوات .. ومع عودة الاهتمام بالآثار الإسلامية . تم البدء في ترميم مسجد عمرو بن العاص وتجديده بشكل شامل ، وجاء ترميمه على الطراز العباسي - في المرحلة السابعة - مع بعض التغيير ، وقد وصل الترميم الآن إلى مرحلة متقدمة ، وصار المأمول أن ينتهي ترميمه وتجديده وبذلك نحفظ واحداً من أكبر المساجد في العالم الإسلامي .. وأقدمها .

واستمرت عملية الترميم فترة طويلة نسبياً ؛ بالنظر إلى ما يعترض هذه العملية من مشاكل فنية وأثرية ضاغطة على مهندسي الترميم ، وهي في الوقت نفسه ليست بالعملية الهيِّنة أو بالقليلة ، ولا شك أن هدم المسجد وإعادة بنائه بعمارة وزخرفة جديدتين (تأخذ الطرز الإسلامية في تكوينها وتنفيذها) سوف يكون أسهل ألف مرة من عملية الترميم هذه ، إذ أن الترميم الأثري مطلوب فيه العودة بالأثر المُرَمَّم (مع ضم الميم الأولى) إلى أصله الذي بني عليه مع أخذنا في الاعتبار أنواع العقود (الأقواس) واتساع بحورها وزواياها وطول أرجلها .. ونوعها .. وهذه عملية طويلة ومعقدة ، تتم مراجعتها ألف مرة ومرة .. وكذلك بالنسبة للزخارف .. هل هي مطابقة للطبيعة أم مجردة عنها .. وهل أوراق الأفرع الزخرفية هي لنبات « الأكنتس » أو العنب أو البرسيم ؟ .. هذا مع ملاحظة أن لكل عصر سماته المعمارية والزخرفية .

فاتساع فتحة العقد (القوس) في القرن الأول الهجري تختلف عن مثيلتها في القرن الرابع أو الخامس . وشكل ورقة العنب يختلف كذلك ، ومعروف أن كل الوحدات الزخرفية الإسلامية قد تغيرت لتأخذ طابعها وطرازها الإسلامي المميز في القرن الثالث الهجري ، خاصة تلك الوحدات النباتية التي اتخذت شكل الكُلْوَة أو علامة الاستفهام ، وكان أول ظهورها في مدينة « سامرا » بالعراق .

وخلاصة القول عن الترميم إنه مشكلة ليست بالهينة ، وإنه يحتاج إلى فهم أثري وفني إسلامي قبل الشروع فيه ..

وعلى أي الأحوال فالملاحظ في ترميم « جامع عمرو » أنه يجيء مطابقاً لأوصاف المرحلة السابعة حسبما تكلمت عنها المراجع ، وحسبما يتضح من الصور المرافقة .. ويزيد عنها بإضافة « بائكة » واحدة على رواق القبلة تشكل بلاطة وأحدة زيادة على بلاطات ذلك الرواق ليتسع أكثر .

العناصر المعمارية للمسجد

ويجدر بنا أن نلقي نظرة على العناصر المعمارية للمسجد في مرحلة تجديده السابعة التي سبقت الإشارة إليها . حيث إن الترميم جاء مطابقاً لها - إلَّا في اختلافات قليلة - وسنجد أن هذه العناصر هي :

● رواق القبلة : وهو يتكون من (٧) بلاطات تكونها (٧) بائكات موازية لحائط القبلة ، وكل بائكة مكونة من (١٩) عقداً

■ نافذة قبل الترميم ■

■ واجهة المسجد ■

■ الفسطاط المدينة لم تقم بها حصون ذلك أن أهل مصر أقبلوا على الإسلام عن عقيدة وإيمان . ■

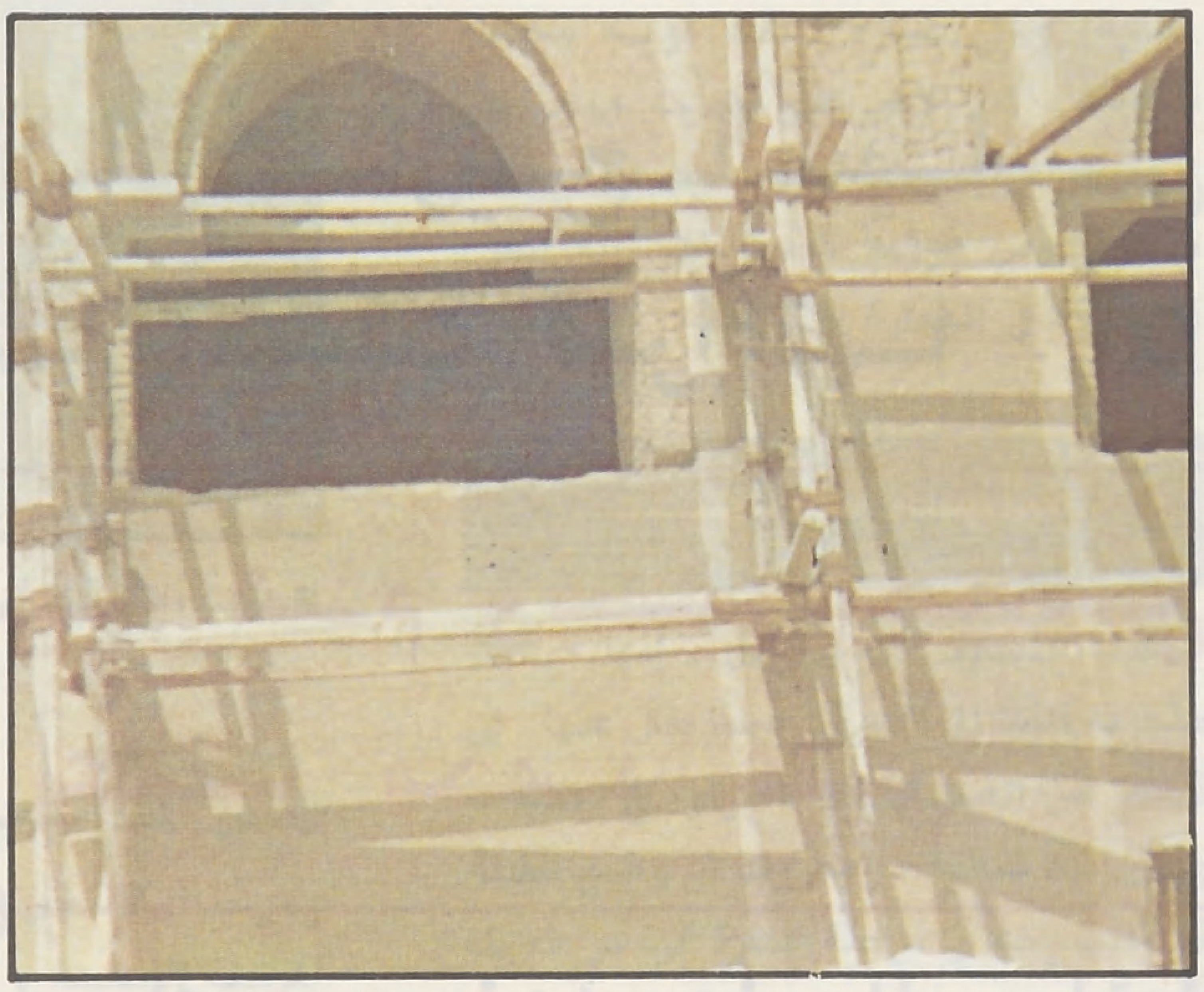

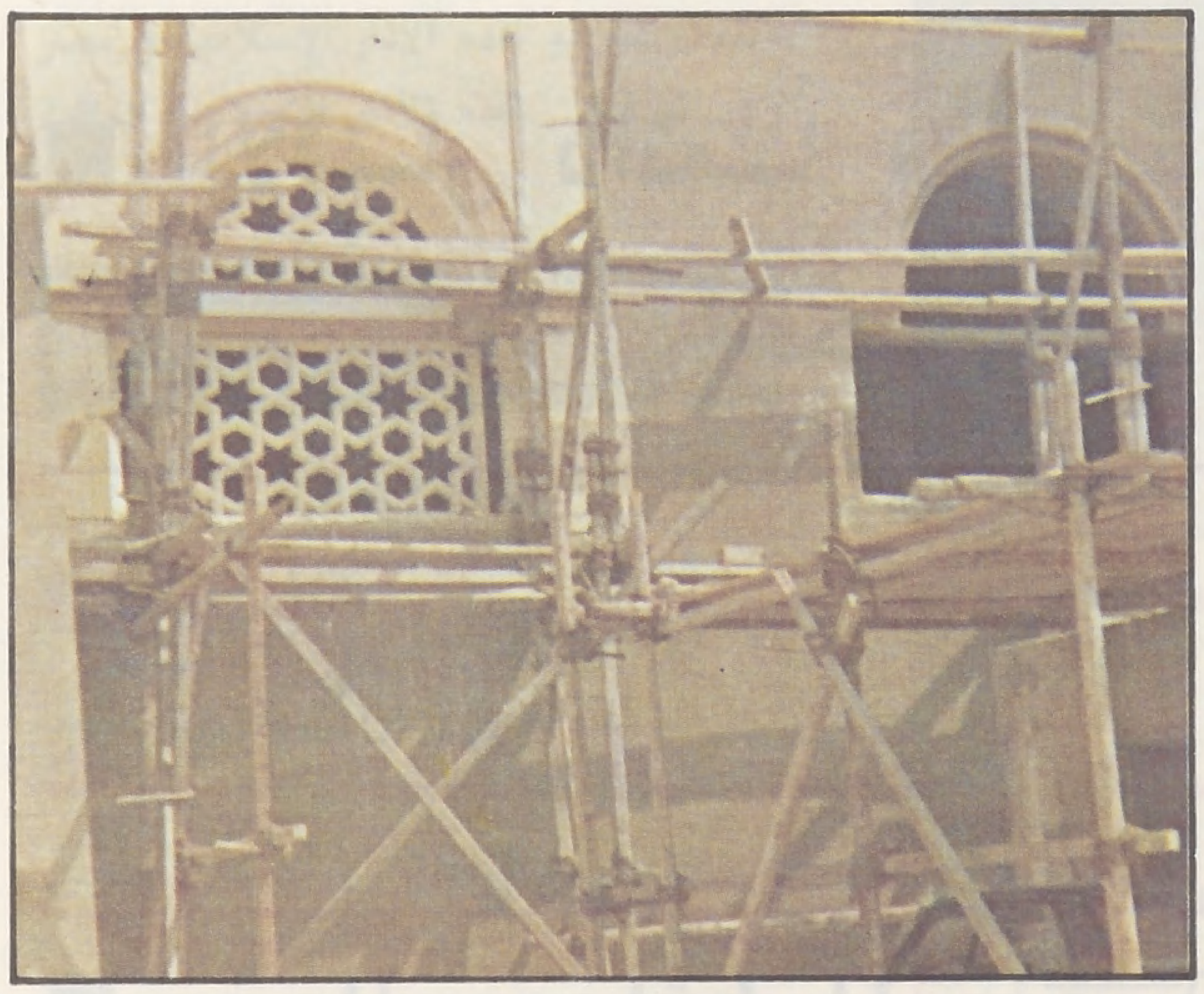

■ النوافذ وعملية الترميم ■

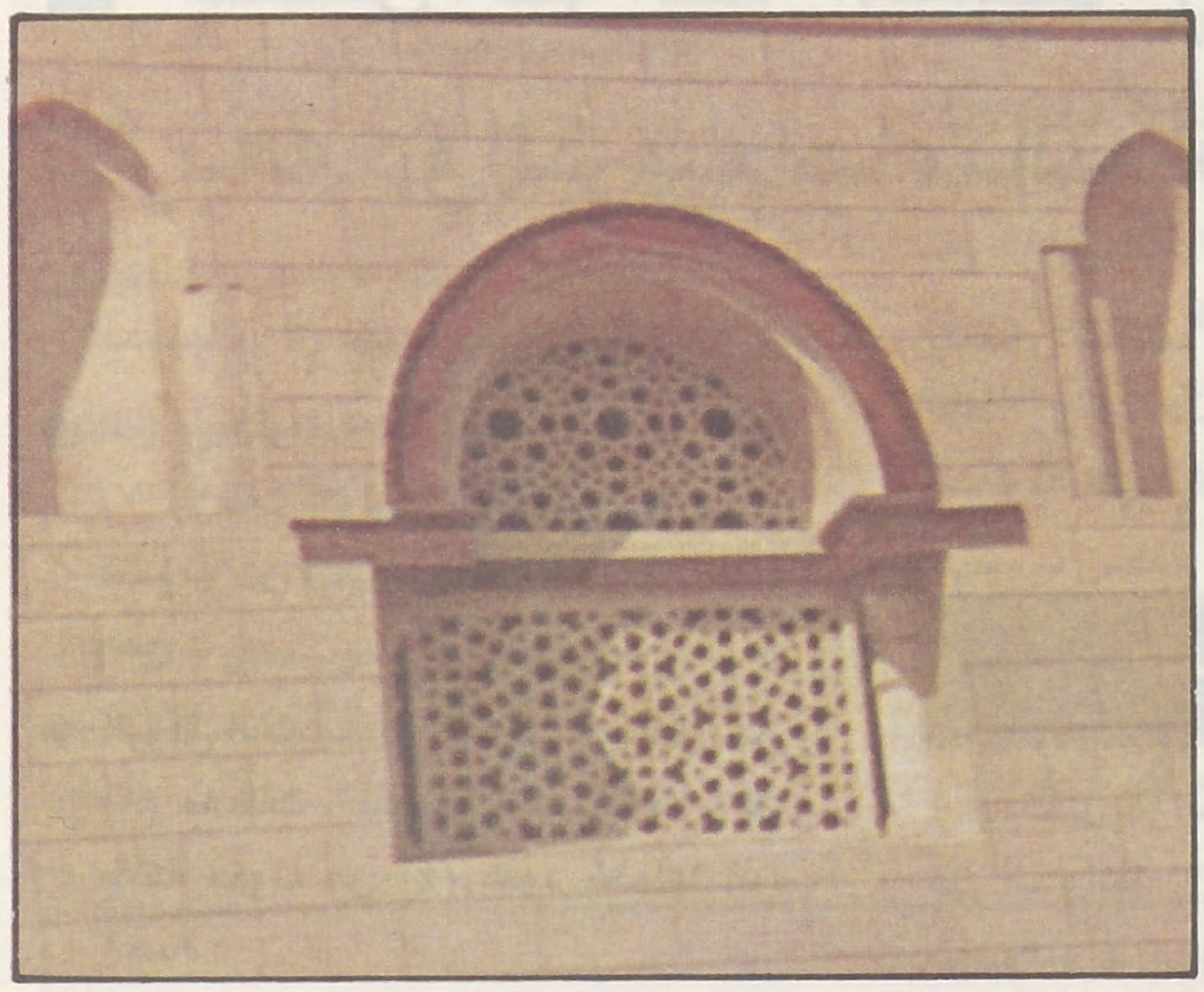

■ النوافذ بعد الترميم ■

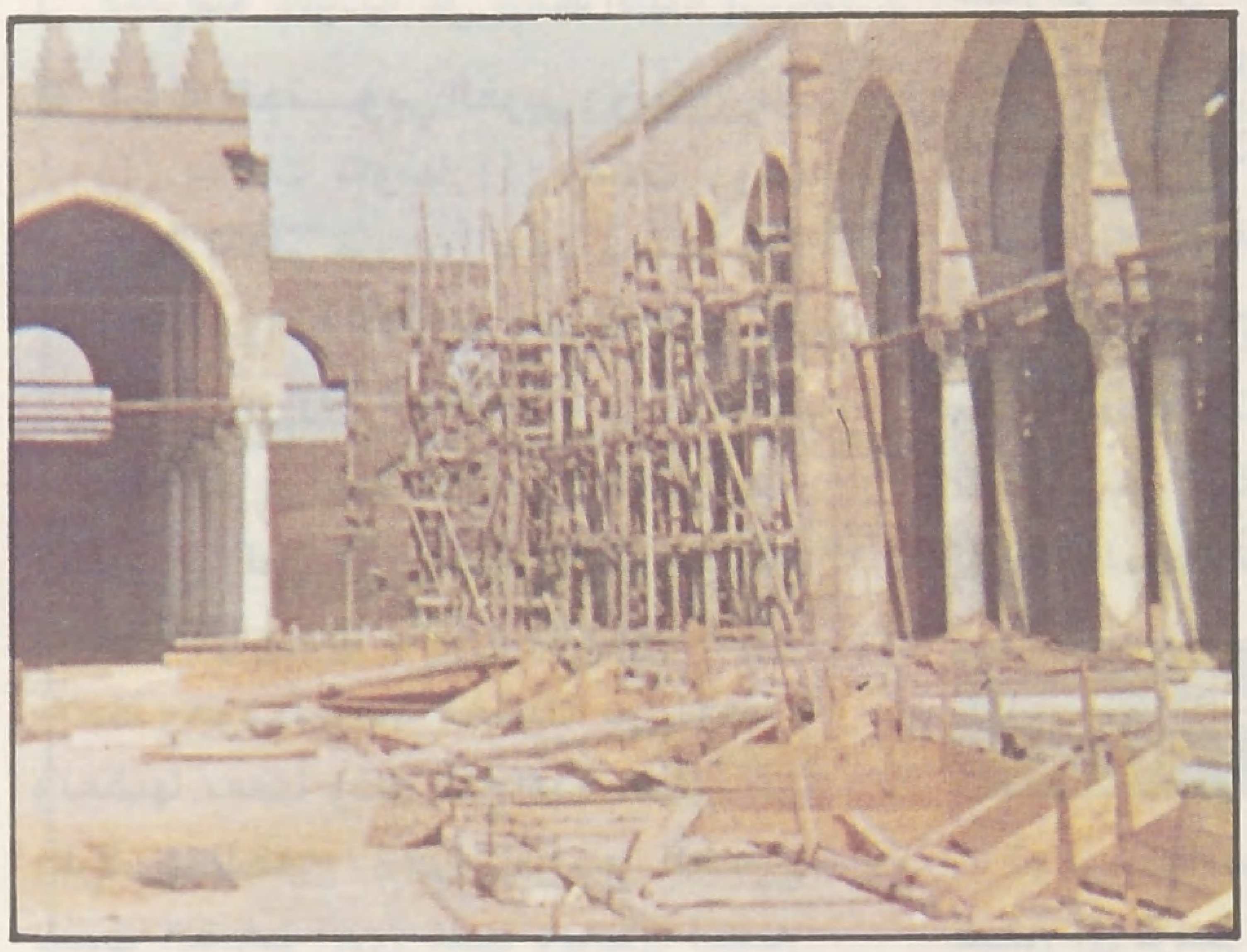

■ أثنـاء الترميم ■

جامع عمرو بن العاص أول العمائر الإسلامية في أفريقيا

استطلاع

■ الآثار دائماً في خدمة التاريخ السياسي والاجتماعي والفكري إذا ما أحسنت قراءتها . ■

■ حدثت خمس عشرة عملية هدم وبناء لجامع عمرو بن العاص حتى عصر محمد علي . ■

■ يتخلل حوائط المسجد (٤٢) نافذة موزعة على الحوائط الأربعة ؛ والترميم جاء بالنوافذ مطابقة لمثيلاتها القديمة تماماً .

يحملها (٢٠) عموداً .

- الرواق المواجه للقبلة : ويتكون من (٧) بلاطات تكونها (٧) بائكات ، كل بائكة مكونة من (٢٠) عقداً يحملها (٢١) عموداً .
- الرواق الشمالي الشرقي : ويتكون من (٨) بلاطات ، تكونها (٧) بائكات ، كل بائكة مكونة من (٤) عقود تحملها (٥) أعمدة .

(تقفل هذه البائكات السبع بائكة معترضة عمودية على حائط القبلة) .

- الرواق الجنوبي الغربي : ويتكون من (٤) بلاطات تكونها (٤) بائكات ، وكل بائكة تتكون من (٨) عقود تحملها (٩) أعمدة (وهذه البائكات عمودية على حائط القبلة وموازية للصحن) .

والملاحظ أن عدد الأعمدة اكثر من عدد العقود في البائكة الواحدة بسبب التصاق العمود الأخير لكل بائكة ـ بالحائط ـ ، كما نلاحظ وجود الروابط الخشبية بين الأعمدة وبعضها بعضاً وذلك لمنع هذه العقود من (الرفس) للخارج (أي انفراجها للخارج بسبب الضغط الذي عليها وبالتالي انكسار العقد وانهيار السقف) ، وهذه الروابط قد يتصور بعضهم أنها لتعليق وسائل الإنارة فقط ، ولكن هذه الوظيفة هي الوظيفة الثانوية للروابط الخشبية .

النوافذ

ويتخلل حوائط المسجد (٤٢) نافذة موزعة على الحوائط الأربعة ، ونلاحظ أن الترميم جاء بالنوافذ مطابقة لمثيلاتها القديمة تماماً ، حيث إن كل نافذة (شباك) قد أقيمت داخل محراب قليل التجويف بنصف طاقية مضلّعة ، وهذا المحراب يستند على عمودين صغيرين رشيقين .

وتجيء (جلسات) هذه النوافذ على ارتفاع خمسة أمتار ونصف المتر من سطح الأرض ..

وهي المسافة التي روعيت تماماً في الترميم الحالي ، على الرغم من تغير مناسيب ارتفاع الأرض المحيطة بالمسجد .

النافورة

تم ترميمها هي الأخرى ، وإن كانت لم تحتجْ إلى ترميم شامل ، وهي عبارة عن قبة هواء ، ويطلق عليها اسم « فوارة » وهي مكان الوضوء ، وتتكون معمارياً من جوسق (قبة تجلس فوق ثمانية أعمدة) ومفتوحة من جميع الجهات بين الأعمدة ، وهي في وسط صحن المسجد تماماً .

المآذن

للمسجد مئذنتان متشابهتان قصيرتان ، الأولى تقف على المدخل الرئيس القديم ، والثانية في الركن الخلفي الأيمن للمسجد ، ولكل مئذنة قبة عثمانية مخروطية الشكل ، وعند التصاق هذه القبة ببدن المئذنة توجد عدة نوافذ صغيرة لإضاءة وتهوية الدرج ، ولكل مئذنة أيضاً شرفة واحدة ذات سور خشبي مرتفع ، وكان من الممكن هدمهما واستبدالهما بما هو أحدث إلَّا أن الرغبة في المحافظة على الطراز المعماري للمسجد وعدم التغيير فيه إلَّا للضرورة : هذه الرغبة اضطرت القائمين بعملية الترميم إلى الإبقاء على هاتين المئذنتين كما هما .

المداخل الرئيسة

وللمسجد مدخلان يقعان على ميدان جامع عمرو . الأول قديم بفتحة واحدة داخل

(حنية) وعلى يساره دعامة قوية ساندة للحائط ، أما الآخر فهو حديث وبارز عن الحائط الرئيس للمسجد ليصبح مدخلاً تذكارياً ومن فوقه الشرافات (العرائس) المشهورة في العمارة الإسلامية .

قبلـــة المسجـــد

قبلة المسجد الأولى يقال : إنها جاءت منحرفة قليلاً إلى الشرق . وممّا يقال عنها : إن ثمانين من الصحابة قد اشتركوا في تحديدها وقيل إنهم ثمانية . ومعروف أن وضع القبلة تم تصحيحه في مرحلة عمارة قرة بن شريك سنة ٩٣هـ .

وفي الترميم الحالي استخدم الكثير من الأعمدة القديمة للمسجد ، أما ما أهمل منها فهو ما لم يصلح تماماً للترميم ، وقد استبدل بغيره ، من النمط نفسه .

والمسجد عموماً يطل على « ميدان جامع عمرو بن العاص » أحد أهم الميادين في القاهرة عموماً ، والفسطاط على وجه الخصوص .

والجديد في الترميم هو أن الأروقة في الداخل قد أعيد تنظيمها بشكل يتناسب مع

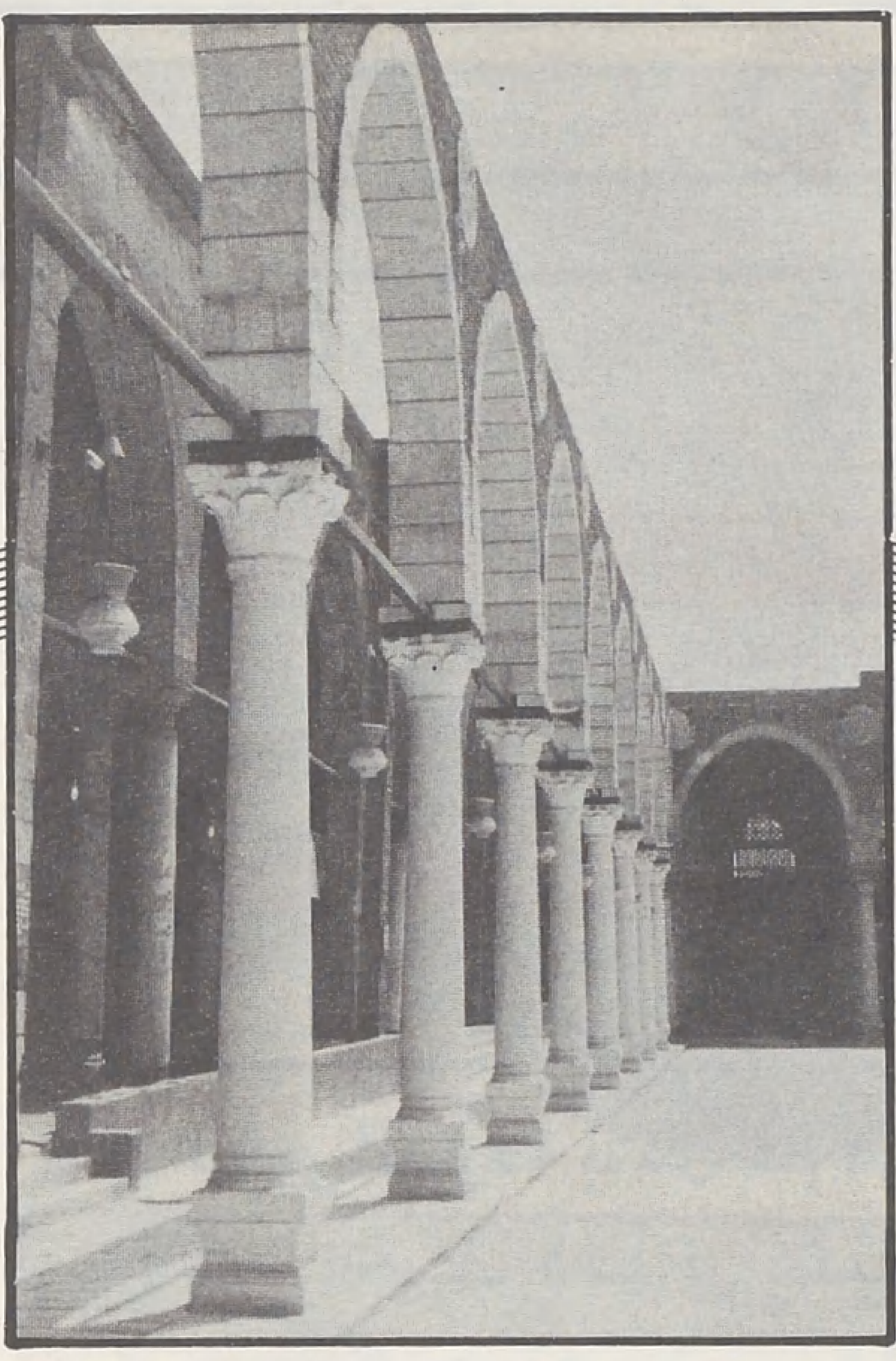

■ إضافة بائكة جديدة لرواق الصلاة ■

الشكل المنحرف للمسقط الأفقي للمسجد .

وهو بذلك قد تغير في نمطه المعماري قليلاً عن المرحلة السابعة « المرحلة العباسية » .

وقد قارب المسجد أن يأخذ شكله القديم بالكامل ولكن بألوان وظلال وأضواء حديثة .. وقد أضيفت إليه مشكاوات جديدة للإنارة ذات لون يميل إلى الاخضرار ... وقد اتفق على تحويله إلى جامعة إسلامية جديدة تسهم إلى جانب الجامعات الإسلامية القديمة في نشر الدين الإسلامي والتعريف به .

وقد قارب جامع عمرو بن العاص أن ينضم كلية ـ بعد الانتهاء من ترميمه ـ إلى موكب المساجد أو الجوامع الكبرى في العالم الإسلامي بعد أن تم إهماله لفترة طويلة ..

وليظل كما هو أقدم الآثار الإسلامية في مصر وفي أفريقيا .. أقدم الآثار الإسلامية الباقية للآن .

المراجـــع

١ ـ مساجد مصر [وزارة الأوقاف] .

٢ ـ العمارة الإسلامية المبكرة [البروفيسور كريزويك] .

٣ ـ فتح العرب لمصر [(بتلر) ترجمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد] .

٤ ـ القاهرة [نخبة من الأساتذة ـ تاريخ آثار ، فنون] .

٥ ـ القاهرة ـ تاريخها وآثارها [الدكتور عبد الرحمن زكي] .

٦ ـ تاريخ المساجد الأثرية (جزءان) [الأستاذ حسن عبد الوهاب] .

٧ ـ العمارة الإسلامية في مصر [الدكتور كمال الدين سامح] .

٨ ـ العمارة العربية في مصر الإسلامية [الدكتور فريد شافعي] .

٩ ـ المدخل [الدكتور احمد فكري] .

١٠ ـ مداخل جامع عمرو [تقرير مطبوع على الآلة الكاتبة (الأستاذ عبد الرحيم إبراهيم)] .

الأدب وجامع عمرو بن العاص

●● قيلت في جامع عمرو بن العاص اشعار كثيرة نختار من بينها ابياتاً « لعابد بن هشام الأزدي » يمتدح « مسلمة بن مخلد » ويشير إلى عمارته لهذا الجامع وتجميله وزخرفته ، ويشيد بالصوامع في اركانه ـ التي استخدمت كمآذن ـ وتجاوب أصوات المؤذنين :

لقد مَدَّتْ لِمَسْلَمَةَ الليالي
على رَغْمِ العِداةِ مَعَ الأمانِ
وساعَدَهُ الزَّمانُ بكُلِّ سَعْدٍ
وَبَلَّغَهُ البعيدَ مِنَ الأماني
أمَسْلَمَ فارْتَقِ ، لا زِلْتَ تَعْلُو
على الأيَّامِ ـ مَسْلَمَ ـ والزَّمانِ
لَقَدْ أَسْلَمْتَ مسجِدَنا فَأَضْحَى
كَأَحْسَنِ ما يكونُ من المَبَاني
فَتَاهَ بِهِ البِلادُ وسَاكِنُوها
كَما تاهتْ بِزِينَتِها الغَوَانِي
وكَمْ لَكَ مِنْ مَنَاقِبَ صَالِحَاتٍ
وَأَجْدِدْ بالصَّوامِعِ لِلأذانِ
كَأَنَّ تَجاوبَ الأصْواتِ فيها
إذا ما اللَّيْلُ ألقَى بالجِرانِ
كَصَوْتِ الرَّعْدِ خَالَطَهُ دَوِيٌّ
وَأَرْعَبَ كُلَّ مُخْتَطِفِ الجَنَانِ

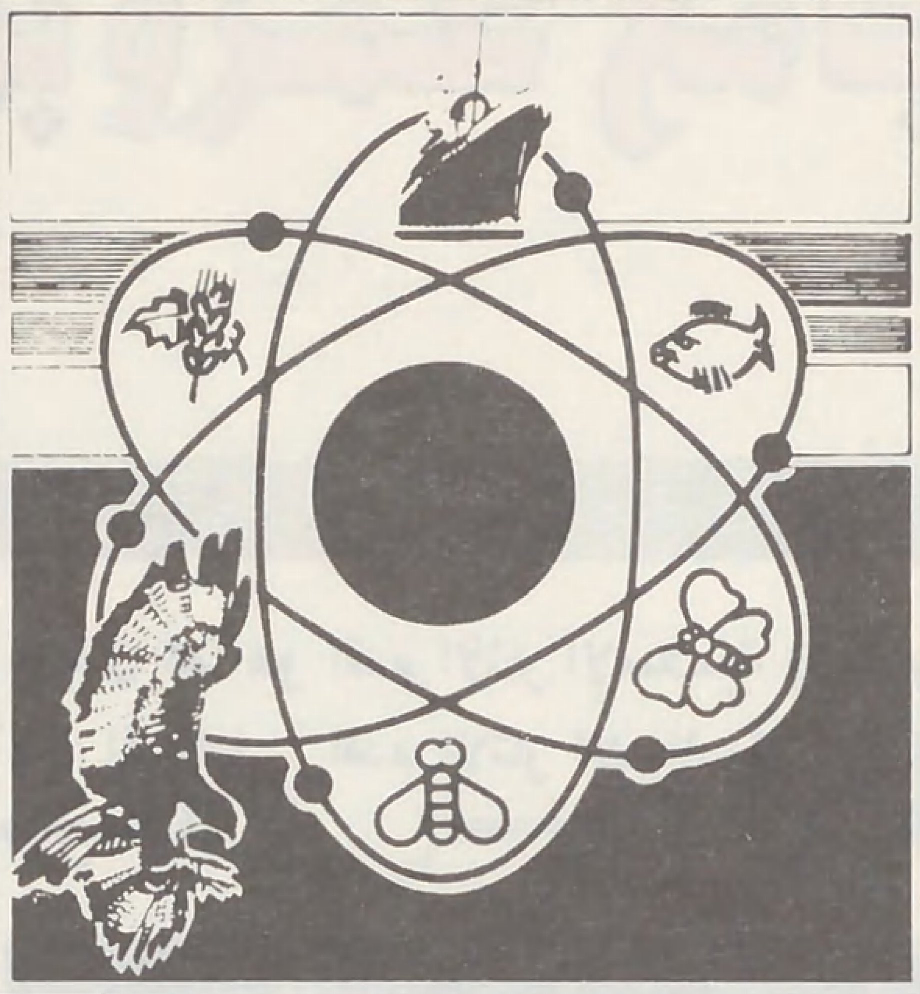

العلم والحياة

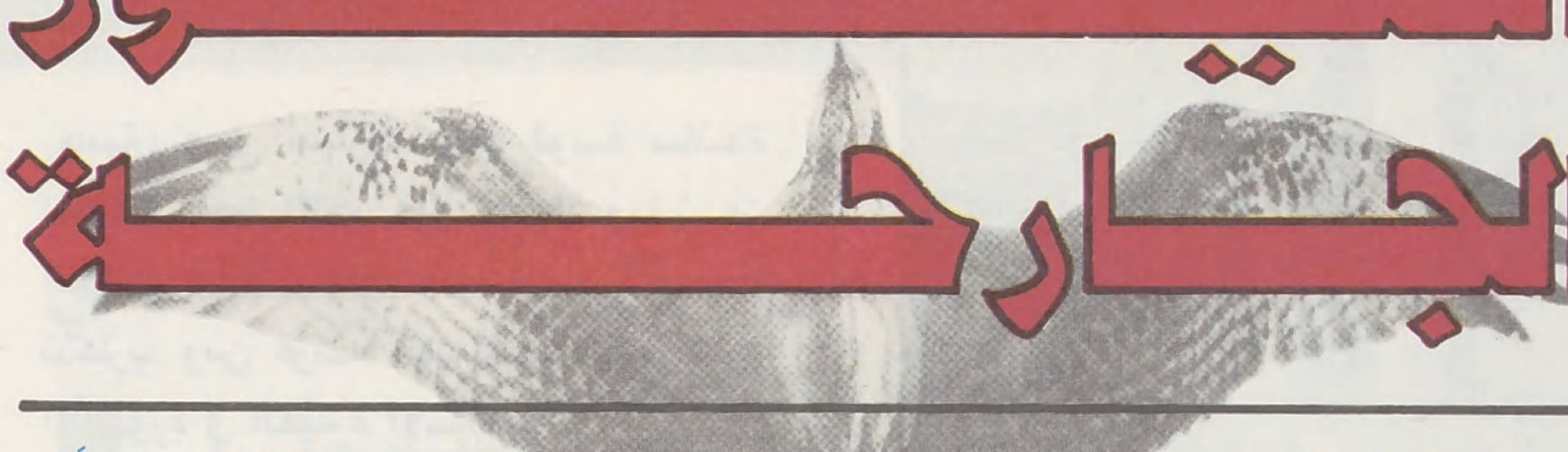

الطيور الجارحة

■■ الطيور الجارحة بشكل عام هي الطيور التي تتغذى على الكائنات الحيَّة . ولكن هذا التعريف فضفاض يتسع لكثير من طيور البر والبحر ، التي يتغذى بعضها على الحشرات . جدير بالذكر أن الطيور النباتية قليلة .

لذلك فإن التعريف الأكثر دقة هو أن : الطيور الجارحة هي ذوات المخالب التي تساعد على الإمساك والقتل ، وذوات المناقير المعقوفة التي تساعد على تمزيق اللحم . ■■

ويمكن تصنيف هذه الطيور في أسرتين : أسرة الصقور وتضم : الحدأة ، والصقر ، والنسر ، والعقاب ، والبازي . وأسرة البوم وتضم أنواعه جميعا .

جميع الطيور التي تنتمي لإحدى الفصيلتين لها مخالب ومناقير معقوفة .

فصيلة الصقور هي أقرب إلى البط والطرائد Gamebirds ، بينما البوم في منزلة بين السُّبَد (الضُّوَع) Nightgar والوقواق Cukoo .

هناك شواهد سلوكية وتشريحية تدل على أن الصقور ذوات الأجنحة الطويلة أقرب إلى البوم . ولكن يعزو بعض العلماء هذا التشابه إلى أن أداء وظائف متشابهة يؤدي إلى بنية متشابهة ، وليس ذلك دليلاً على الانتماء إلى فصيلة واحدة .

الجوارح من فصيلة الصقور تنشط نهاراً لأنها تعتمد على النظر ، بينما ينشط البوم ليلاً لأنه يعتمد على السمع . بعض الصقور تعتمد على السمع إلى جانب النظر ، وقليل منها يعتمد على الشم .

وهكذا تلتقي الصقور مع البوم في المخالب والمنقار المعقوف ، وتفترق في وقت الصيد والحاسة التي يعتمد عليها للصيد . ولكن غالباً ما يقصد بالطيور الجارحة : الصقور وليس البوم .

توجد أنواع من الصقور في قارات العالم كلها ، ما عدا القارة القطبية الجنوبية . وتشمل فصيلة الصقور - حتى الآن - (٢٨٧) طائراً يبلغ وزن أصغرها (٦٠) غراماً ، وأكبرها تسعة كيلو غرامات . بعض أنواعها يأكل الخنافس والنمل الأبيض ، وبعضها يأكل الكائنات الكبيرة مثل الفيلة الميتة والحيتان ، وبعض منها لا يأكل الحيوانات الميتة . البوم لا يتغذى على الحيوانات الميتة لأنها لا تتحرك فتحدث الصوت المطلوب الذي يعتمد البوم على سماعه للانقضاض على صاحبه .

ضمن فصيلة الصقور هناك أكثر من تصنيف . بعض العلماء يضعون نسور العالم الجديد في فصيلة مستقلة ، ثم العُقَاب والطائر الكاتب Secretary Bird والنسور الأخرى في فصيلة أخرى ، ثم الصقور والبازي في فصيلة ثالثة . هناك خلاف أيضاً على تصنيف العُقَاب Osprey ، هل هو من الصقور أو النسور ، أم بين بين . يتميز العقاب بإصبع خارجي قابل للرجوع إلى الخلف . وهو مناسب للإمساك بالسمك الذي يتغذى عليه ، كما أن له فتحة أنفية يستطيع إغلاقها متى أراد . وهو أقرب إلى الصقور من حيث بناء العش ووضع البيض ذي الصدف الأخضر في داخله ، ولكن بعض ملامحه التشريحية تجعله أقرب إلى الحدأة Kibe ، خاصة من حيث افتقاره للدرع العظمي الواقي للعين ، وكذلك تشابه القفص الصدري .

جدير بالذكر أن بعض الطيور الجارحة قلما تطير ، رغم قدرتها على الطيران . ومن هذا النوع الطائر الكاتب .

من ناحية أخرى فإن نسور العالم الجديد لها مناقير غير معقوفة ، وأقدام أقرب إلى أقدام الدجاج منها إلى أقدام النسور ، ولها إصبع خلفي بدائي . كما أنها تتمتع بحاسة شم

■ نسران من نسور العالم القديم ■

لا تتمتع بها الجوارح عادة . وهي لا تبني عشوشاً ، وإنما تضع بيضها في العراء ، وعندما يتعرض للضوء يمكن رؤية صدفة صفراء داخله . عكس العقاب ونسور العالم القديم ، التي تبني عشوشاً ، وتضع بيضاً في داخله صدف أخضر . الطريف أن معظم النسور تبول بعيداً عن عشوشها .

من حيث الموطن قلما تقطن الطيور الجارحة المحيطات أو الجزر البعيدة . قد يظهر بعضها قريباً من الشواطىء في موسم الهجرة أو الشتاء ، ولكنها قلما تتخذ تلك الأماكن موطناً دائماً لها ، أو تتوغل بعيداً عن الشواطىء . وتفسير ذلك إمّا أنها لا تستطيع عبور مساحات كبيرة من الماء ، أو أنها تكره ذلك .

لذلك فإن قليلاً منها يسكن الجزر . جزيرة « هاواي » مثلاً لا يوجد فيها سوى نوع واحد ، وكذلك جزيرة نيوزيلاندا .

هناك (٢٥) نوعاً منها يقطن البيئات المائية مثل السواحل والبحيرات والأنهار والمستنقعات ، وهذه تتغذى على الأسماك والرخويات والكائنات المائية ، وهي لا تستطيع أن تعيش بعيداً عن الماء .

الطيور الجارحة قوية في طيرانها ، وبإمكانها أن تنتقل من إقليم مناخي إلى آخر . وهي تحلق عالياً في الجو إلى ارتفاعات لا يوجد فيها ما تصطاده . إن بعضها يطير على ارتفاع (١١) ألف متر .

والحقيقة أن معظم الطيور الجارحة تنتقل من موطن إلى آخر مع أنها تفضل موطناً معيناً على غيره ، وبعضها يفضل مكاناً معيناً من ذلك الموطن . وقليل منها لا يبرح موطنه ، مثل طيور الغابات . بشكل عام كلما تنوعت نباتات الإقليم وتضاريسه ، وبالتالي طعامه ، كان عدد الطيور الجارحة أكثر . لذلك نجد عدد الطيور الجارحة في الصحراء قليلاً . بطبيعة الحال هناك عوامل أخرى تتدخل في تفسير كثرة أو قلة الطيور الجارحة في موطن معين .

في إقليم « التندرا » مثلاً ، نجد أن الطيور الجارحة تكثر في فصل الصيف ، عندما تذوب الثلوج ، وتأتي ملايين الطيور للتكاثر ، فتجد الجوارح غذاءً وفيراً ، أما في الشتاء فالطيور المهاجرة ترحل وترحل معها الطيور الجارحة . هناك عامل آخر يتدخل في هذه الظاهرة وهو كون الجوارح - كما أشرنا من قبل - تنشط نهاراً ، ولذلك فهي تأتي إلى التندرا في الصيف الذي يمتد نهاره ثلاثة أشهر ، وتختفي في الشتاء الذي يمتد ليله ثلاثة أشهر ، هناك

■ الكاركار : صقر من أمريكا الجنوبية .. وهو أقرب في سلوكه إلى النسور ■

■ الباشــق ■

نوع من الصقور يدعى « السُّنْقُر Gyrfakon » يعيش في « التندرا » على مدار العام ، لأنه يتغذى على « الترمجان » (أو الدجاج القطبي) الذي يعيش هناك على مدار العام .

الملاحظ في « التندرا » أن كل طير فيه من الجوارح متخصص في أكل نوع معين من الطرائد . ولذلك قلّما يحدث تنافس بينها .

بشكل عام يعتبر « التندرا » أقل الأقاليم استضافة للطيور الجارحة . إنه أقل حتى من الصحراء ، رغم ارتفاع درجة الحرارة وندرة الطعام .

أما المناطق شبه الاستوائية وغابات المناطق شبه القاحلة فهي أغنى المناطق بالطيور الجارحة ، ويعيش فيها ما لا يقل عن (٧٣) نوعاً . إن دفء هذه المناطق وعدم تساقط الثلوج فيها يبقي على شتائها غنياً بالطعام ، كذلك فإنه في الشتاء تتوفر كمية من الضوء تسمح للجوارح بالصيد . هذا إضافة إلى تنوع « طوبوغرافية » الأرض وتنوع بيئاتها ، وبالتالي طعامها .

كما ذكرنا ؛ فإنه قلما يبقى جارح أسير إقليمه المناخي . مثال ذلك : السّخام Sooty (من الصقور) الذي يتناسل في الصحراء الليبية الحارقة ، ولكنه يعيش عادة في جزر

■ الحُر ، نوع من الصقور التي تعيش في الصحراء ■

■ السُّنْقُر : الجارح الوحيد الذي يعيش في « التندرا » على مدار العام ■

البحر الأحمر . و « البريجرين » (الشاهين) يتناسل في صحراء شمالي أفريقيا ، ولكنه يوجد في كل الأقاليم عدا الغابات الكثيفة ، النسر الذهبي يعيش في الصحراء ، ويتكيف مع « ألاسكا » . في « السفانّا » مثلاً نجد (١١٢) طائراً من الجوارح ، ولكن ستة فقط منها مقتصرة على السفانا ، بينما يعيش الباقي في مناطق أخرى غيرها .

في الغابات الاستوائية تقل رغبة الطيور الجارحة بالهجرة ، لأن المناخ دافىء أو حار على مدار العام ، ورغم تعاقب المطر والجفاف ، فإن التأثير محدود ، لأن الغابات الحقيقية تنمو في تربة عميقة ، والطيور الجارحة لا تعتمد على النظر ، بسبب كثافة الأشجار ، هذا ومعرفة الإنسان بهذه الطيور لا تزال قليلة ، لأن بعضها لا يزال يصعب الوصول إليه .

هناك طيور جارحة استوطنت المدن ، وإن تكن لا تعتمد عليها اعتماداً كلياً . من هذه الطيور نسور مصر والعالم الجديد ، وفي إثيوبيا كذلك ، وفي نيو دلهي . وبعض هذه الطيور لا تتكاثر في المدن ، بل في الجبال ، وبعضها يقتصر وجوده على الخرائب والمعابد القديمة .

العلم والحياة

فالق الأكباد

بقلم : الدكتور غريب جمعة

■■ في مقال سابق على صفحات « الأمة » الغراء [عدد شعبان ١٤٠٣هـ] تحدثنا حول وظائف عضو من أهم أعضاء الجسم هو الكبد أحد أربعة كبار في الجسم أي أربعة أعضاء إذا نزع أحدها من الجسم ، أو توقف عن العمل فإنه يفضي إلى الموت ، وهي : المخ ـ القلب ـ الكليتان ـ الكبد . وقد رأيت من إبداع الله ما رأيت في هذا العضو الذي يقوم بوظائف متعددة دون كلل ولا ملل ، بل ويتميز على بقية الأربعة بأن الله أودع فيه القدرة على تجديد خلاياه التالفة واستبدالها بأخرى صالحة للقيام بوظائفها الأساسية ﴿ ... صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ... ﴾ (النمل : ٨٨) .

وكنت قد وعدتك بالحديث عن بعض أمراض الكبد إتماماً للفائدة ، وربما يعجب بعض القراء من تناول مثل هذه الموضوعات على صفحات مجلة إسلامية ، لكني أرى من وجهة نظري المتواضعة أن الاهتمام بالصحة والأخذ بأسباب الوقاية من ـ الأمراض حفاظاً على نعمة العافية ـ من الدين . والإسلام يمتدح القوة ويرغب أن يكون أبناؤه أقوياء في كل شيء : في عقيدتهم ، في علمهم ، في أخلاقهم ، في أجسامهم ؛ يقول رسول الله ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ... » [رواه مسلم] ■■

ولا شك أن المؤمن القوي أقدر على أداء التكاليف الشرعية والنهوض بأعباء الحياة .

بل لقد أشار القرآن الكريم إلى أن قوة الجسم كانت إحدى صفات « طالوت » التي أهَّلته للقيادة والمُلك للملإ من بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٤٧) هذا هو المنطلق الذي نبدأ منه عند تناول هذه الموضوعات وأرجو أن يكون صواباً وبالله التوفيق .

وسوف أحاول بعون الله أن أتحدث عن أكثر أمراض الكبد انتشاراً حيث تصيب قطاعاً كبيراً من مجتمعنا ، ولن أدخل في تفصيل يشتت الذهن لأنه لا يهم إلا المشتغلين بالطب وحدهم ، وكما يقولون : ما لا يدرك كله لا يترك جله .

وتنقسم أمراض الكبد إلى نوعين : الأول هو النوع الحاد مثل : التهاب الكبد الفيروسي ـ التهاب الكبد الأميبي ـ خُرَّاج الكبد .

والنوع الثاني وهو المزمن ، مثل : تَلَيُّف الكبد الذي تتمثل خطورته في مضاعفاته القاتلة مثل : القيء الدموي (النزف) الناتج عن دوالي المريء ـ الغيبوبة الكبدية ـ الاستسقاء ؛ وينتج تليف الكبد عن : البلهارسيا ـ التهاب الكبد المزمن ـ الخمر . ولنبدأ بالتهاب الكبد الفيروسي الذي يطلق عليه أيضاً : التهاب الكبد الوبائي ، ويسميه العامة : الصفراء أو اليرقان .

سبب الإصابة

تنشأ الإصابة (العدوى) بهذا المرض عن ثلاثة أنواع من الفيروسات هي : فيروس «أ» ، فيروس «ب» ، فيروس (لا هو «أ» ولا هو «ب») . تصل هذه الأنواع الثلاثة إلى الكبد وتحدث فيها التهاباً ودماراً قد ينتهي بالموت في ١٪ (واحد بالمائة) من المرضى الذين يصابون به . ولعلَّك لا تعجب أخي القارىء إذا كان « فالق الأكباد » هو عنوان المقال . والفلق هو الشق (فلق الشيء أي شقَّه ، وبابه (نصر وضرب) وما أحسب الدمار الذي يحدث بالكبد إلّا من شقوق قد تصل إلى أخاديد يحدثها هذا الفيروس الخبيث الذي يعربد في خلايا الكبد وهو يخرج لسانه في تحد صارخ للطب والأطباء ، ومن عجائبه أنه يبلغ حداً من الصغر بحيث لا يرى إلّا بالمجهر (الميكرو سكوب) الإلكتروني ، كما أنه يستطيع أن يقاوم درجة حرارة تصل إلى ٩٠ درجة من أربع إلى ست ساعات .

وإذا كان سبب الإصابة هو الفيروس «أ» فإنه « يُوَدِّعُ » الجسم بعد الشفاء : أما النوعان الآخران فلديهما ولع بالكبد وقدرة عجيبة على البقاء فيها وتعريضها للإصابة بالأمراض المزمنة ، وقد يبلغ هذا الفيروس حداً من الخبث والخطورة يجعله يتسلل إلى الجسم بهدوء دون أن يبدي أية أعراض ظاهرة لوجوده ، ويظل يعربد في الكبد بخفة وهدوء حتى يؤدي إلى مضاعفات خطيرة ، ويعرف هذا المرض بالالتهاب الكبدي غير الصفراوي الذي لا يمكن اكتشافه بالفحص الإكلنيكي ، وإنما يكتشف بتحليلات معملية خاصة .

وتوجد مجموعة من الأشخاص الأصحاء تعتبر من حاملي هذا الفيروس ، ومثل هؤلاء الأشخاص يسهمون بانتشار هذا المرض حيث إنهم عرضة للإصابة به ، كما أنهم يمثلون وسيلة فعَّالة لنقله إلى الآخرين ؛ وتبلغ نسبة هؤلاء الأشخاص واحداً

حتى الاعتدال في شرب الكحول يضر بالجنين

أشارت أول دراسة واسعة النطاق من نوعها في الولايات المتحدة إلى أنه حتى الاعتدال في شرب الكحول خلال فترة الحمل يؤثر على وزن المولود . وتقول نتائج الدراسة إن المولود الذي تشرب أمه خمراً مرة أو مرتين في اليوم خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل مهدد بقلة الوزن ، ونصح العلماء الذين قاموا بالدراسة التي أشرف عليها « المعهد القومي لصحة الطفل » المرأة الحامل بالامتناع عن شرب الخمر نهائياً في فترة الحمل ، وجدير بالذكر أن الأطفال الذين يولدون بوزن أقل من الوزن العادي مهددون بالأمراض والوفاة المبكرة مستقبلاً ، وقد شملت الدراسة (٣١٦٠٤) مواليد

تزايد نسبة الزهري في المواليد الجدد في الولايات المتحدة

في دراسة نشرتها مجموعة باحثين من «مجلة الجمعية الطبية الأمريكية» ورد أن حالات الزهري في المواليد الجدد في الولايات المتحدة قفزت بنسبة ٣٨٪ بين عامي ٧٨ - ١٩٨٢م، وعادة ما تكون أمهات هؤلاء المواليد صغيرات وغير متزوجات. ينتقل الزهري من الأم إلى الجنين بنسبة مائة بالمائة إذا كان المرض في مراحله الأولى ولم يعالج، ويمكن تقليل نسبة إصابة المولود بالمرض إذا عولج وهو لا يزال جنيناً.

فيتامين «أ» يقلل من وَفَيات الأطفال

قال باحث في جامعة «جون هوبكنز»: إن تناول جرعات كبيرة من فيتامين «A» مرتين سنوياً قد يكون فعالاً لمقاومة عدد من الأمراض التي تتسبب في وفاة ربع عدد الأطفال الذين يموتون في الدول النامية، وأشارت دراسة لمدة سنة أجريت في إندونيسيا أن الأطفال الذين يتناولون فيتامين «A» يقل احتمال وفاتهم بنسبة الثلث عن الذين لا يتناولون ذلك، ونصح الباحث بعدم تناول الفيتامين بشكل أقراص بل مباشرة من الخضروات ذات الأوراق الخضراء.

بالألف في الدول الغربية، وأربعة بالمائة في مصر، و ٩ بالمائة في السعودية، أما في بعض الدول الافريقية فترتفع نسبتهم إلى عشرين بالمائة وهي تحمل الفيروس «ب» خاصة.

وقد تمكن العالم «بلُوم برْج» من اكتشاف فيروس الكبد «ب» عام ١٩٦٥م وقد اعتبر ذلك الاكتشاف بمثابة وثبة علمية كبيرة في مجال أمراض الكبد، وقد حصل على جائزة «نوبل» عن اكتشافه هذا عام ١٩٧٧م.

طرق العدوى

يتم انتقال العدوى بالفيروس من شخص إلى آخر عن طريق الطعام والشراب الملوثين به، خصوصاً إذا كان المريض من الذين يقومون بإعداد أو تقديم أو بيع الأطعمة، شأنها شأن العدوى بحمى التيفود والدوسنتاريا (الزُّحَار) الأميبية والباسيلِّيَّة، ويوجد الفيروس بدم المريض، ويخرج مع إفرازاته، مثل: البول والبراز والعرق وحتى اللعاب!! وعلى ذلك تكون القُبْلَة من وسائل الإصابة به، وكذلك الاتصال الجنسي خصوصاً إذا كان الزوج هو المصاب، وقد أدى ذلك إلى ارتفاع نسبة العدوى بهذا الفيروس في المجتمعات الغربية بسبب انتشار وباء العلاقات غير المشروعة بين أفرادها؛ وإذا أصيبت الحامل بهذا الفيروس فإنه يمكن أن تضع طفلاً حاملاً للجرثوم، كما يمكن أن تنتقل العدوى إلى طفل حديث الولادة بسبب الاتصال الوثيق بينه وبين أمه، وقد يكون ذلك بعد أيَّام أو ساعات من ولادته.

وتؤدي الحقن غير المعقمة جيداً دوراً هاماً في نقل العدوى، حيث إن الفيروس يوجد بدم المريض كما ذكرنا، ويستمر وجوده طيلة فترة الحضانة التي تصل إلى شهر تقريباً، وطيلة فترة المرض ولمدة أربعة أشهر بعدها!! وقد وجد أن أقل من جزء من مائة جزء من قطرة دم كافٍ لإحداث العدوى (أي أننا لو فرض وقسمنا قطرة دم إلى مائة جزء فإن جزءاً واحداً من هذه المائة كاف للإصابة بهذا الفيروس) ولا يغيب عنك اثر قطرة أو قطرات الدم التي تَعْلَقُ بإبرة المحقن.

وتعتبر الإبرة الصينية وإبر الوشم أيضاً من وسائل نقل العدوى؛ وقد يتم عن طريق الحقن انتقال العدوى بمرض شبيه بالالتهاب الكبدي الوبائي، ويسمى الالتهاب الكبدي المَصْلِي؛ وله فيروسه الخاص به، وهو يحدث أعراضاً شبيهة بالالتهاب الكبدي الوبائي إلَّا أنه يختلف عنه بأمور كثيرة، منها: أنه يعطي مناعة دائمة، كما أن فترة الحضانة بالنسبة له قد تمتد من اسبوعين إلى ستة أسابيع.

ويعتبر نقل الدم من أهم الوسائل لانتقال العدوى بالالتهاب الكبدي الوبائي خصوصاً إذا كان المتبرع بدمه (المعطي) مصاباً بهذا المرض، وقد اكتشف أن الحشرات المنزلية، مثل: البعوض والبق والبراغيث تسهم في نقل العدوى كذلك.

أعراض المرض

يمر المريض بثلاث مراحل، لكل منها أعراضها وعلاماتها المميزة لها:

المرحلة الأولى:

تتميز هذه المرحلة بإحساس المريض بآلام عامة في الجسم، وصداع، وانتفاخ في البطن، والم تحت الضلوع السفلى اليمنى (حيث يقع الكبد) ويتراوح ارتفاع درجة الحرارة بين ٣٨° – ٣٩°. ويفقد المريض شهيته للطعام، وربما يشعر بالقيء عند رؤية الطعام، وإذا كان من المدخنين فإنه يفقد رغبته في التدخين، وقد يطلب المريض السوائل فقط في هذه الفترة التي تستمر حوالي اسبوع، وربما يشخص الطبيب الحالة على انها نوبة إنفلونزا عادية.

المرحلة الثانية:

وفي هذه المرحلة يعلن المرض عن نفسه حيث يتغير لون البول إلى لون العرقسوس أو الشاي، أما البراز فيصبح فاتح اللون (بلون الطين الصلصال) وتصطبغ مقلة العين باللون الأصفر وتمتد هذه الصبغة إلى الجلد والأغشية المخاطية.

ونحب أن نلفت النظر إلى أن اصفرار العين لا يعني الإصابة بالالتهاب الكبدي الوبائي دائماً، فقد ينتج ذلك عن بعض الأدوية والأطعمة، وتشخيص ذلك متروك للطبيب المختص، ولا داعي للاندفاع في التشخيص من أدعياء الطب.

وقد لا يظهر اللون الأصفر في مقلة العين، كما في حالة الالتهاب الكبدي غير الصفراوي سالفة الذكر، وفي هذه المرحلة أيضاً يزداد حجم الكبد مع الإحساس بألم فيها عند فحصها بواسطة الطبيب، وتنخفض درجة الحرارة قليلاً وتتحسن شهية المريض قليلاً أيضاً (على الرغم من إعلان المرض عن نفسه) وتستمر هذه الفترة من ٣ إلى ١٠ ايام.

المرحلة الثالثة:

وتعتبر هذه المرحلة مرحلة النقاهة حيث يبدأ المريض بطلب الطعام، ويعود البول إلى لونه الطبيعي، وكذلك البراز، وتختفي الآلام تحت الضلوع السفلى اليمنى، وتبدأ الصبغة الصفراء بالزوال تدريجياً، وتستغرق هذه المرحلة من اسبوعين إلى ستة أسابيع، وعند ذلك يمكن أن نقول: إن المريض قد شفي إكلينيكياً، ولا يتم الشفاء الكامل إلَّا عندما تاتي نتائج الأبحاث المعملية لوظائف الكبد بالحدود الطبيعية، وقد تستمر شكوى المريض على الرغم من شفائه اكلينيكياً ومعملياً، وهذا راجع إلى الحالة النفسية للمريض التي تجعله يتوهم دائماً انه من مرضى الكبد، وينشأ عن ذلك نوع من القلق يجعل تنفسه عميقاً مما يدفع الكبد إلى أسفل الضلوع ويجعله محسوساً عند الفحص بواسطة الطبيب، ولا شيء عند هؤلاء المرضى إلَّا القلق.

العلاج

لا يمكن هنا أن نكتب وصفة طبية نمطية، ولكن ما نقوله هو مجرد خطوط عامة تلفت نظر القارىء حتى يعرض نفسه على الطبيب ليستكمل علاجه حسب حالته، ولكل حالة ما يناسبها.

بالنسبة للطعام فإنه يفضل الإكثار من النشويات والسكريات مع الإقلال من الدهون، اما البروتينات فيمكن إضافتها عند استرداد المريض لشهيته، أما إذا اختلت وظائف الكبد فإنها تؤدي إلى الغيبوبة الكبدية.

وبالنسبة لحقْن الجلوكوز بالوريد فإنه لا ينفذ

العلم والحياة

إلَّا في حالة الفقدان التام للشهية ، أو القيء المتكرر الذي يصعب معه إعطاء طعام عن طريق الفم ؛ ويمكن إعطاء الفيتامينات ، ولكن يجب تجنب المهدئات والمنومات تماماً . أما بالنسبة لاستعمال الكورتيزون ومشتقاته فإنه لا يزال محل جدل ، والافضل عدم استعماله في هذه الحالات حيث إنه يقلل من مناعة الجسم ومن قدرته على التخلص من الفيروس .

وبالنسبة لمشتقات الكبد مثل : « اللِّيتْرُوزون » و « اللِّيبُوزِيس » فإنها لا تفيد في حالة الالتهاب الكبدي الوبائي لانها تحتوي على مادة « المِيثُونِن » التي لها دور في إحداث الغيبوبة الكبدية ، لذلك فإن استعمالها قد يؤدي إلى الإسراع بدخول المريض في غيبوبة كبدية قد تكون قاتلة .

الوقاية من الإصابة (العدوى)

لا شك أن الوقاية تمثل خط الدفاع الأول في صد هجوم الفيروس المتوحش والمُغِير ، حيث إنها تحول بينه وبين فريسته وكما يقولون : « درهم وقاية خير من قنطار علاج » . وتتمثل الوقاية فيما يلي :

[١] التزام القواعد الصحية ، مثل : تغطية الطعام والشراب وعدم وصول الحشرات والميكروبات إليه ، وهنا يقف الإنسان وقفة إجلال وخشوع امام توجيهات الرسول ﷺ في هذا المجال الذي يطلق عليه (الطب الوقائي) بلغة العصر ، يقول ﷺ :

« غطّوا الإناء وأوكئوا السّقاء ، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلَّا نزل فيه من ذلك الوباء » .

وكأنه ﷺ يرى أن للأوبئة فصولاً معينة ، وهذا ثابت علمياً ، كما أن الحشرات التي تنقل الميكروبات تنشط بالليل والناس نيام .

وينهى رسول الله ﷺ عن النفخ في الشراب فقد يكون النافخ حاملاً لميكروب مرض معين ينتقل مع النفخ في الشراب فيصيب (يعدي) غيره : عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه :

« أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب . فسأله رجل : القذارة أراها ؟ فقال : أَهْرِقْهَا » [الترمذي]

ويوجه إلى غسل اليدين قبل الطعام وبعده فيقول : « بورك في طعام غُسِل قبله وغُسل بعده » .

ولا شك أن ذلك يمنع وصول الميكروبات العالقة باليدين إلى الفم (خصوصاً الأظافر) بعد قضاء الإنسان حاجته أو لمس جسم ملوث .

ثم يأمر بنظافة البيوت حيث نبقى فيها معظم الوقت ، فهي مكان الراحة والنوم والطعام ، وهو ما يسمى بلغة العصر : « صحة البيئة » ، يقول ﷺ :

« إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظّفوا أفناءكم وساحاتكم ولا تَشَبَّهُوا باليهود يجمعون الأكُبَّ في دورهم » (الأكب هي الكناسة والقمامة)

فمتى يعقل المسلمون هدي نبيهم في هذه المجالات حتى يكونوا على مستوى هذا الهدي من حسن السمت وجمال المظهر ، ونظافة البيوت والمدن ، وسلامة مجتمعاتهم من الأوبئة ؟

ولقد انتزعت هذه التوجيهات وغيرها شهادة رجل غير مسلم هو « برنارد شو » حيث يقول في كتابه « حيرة الأطباء » :

« إن الإسلام هو الدين الوحيد بين الأديان السماوية الذي اهتم بالنظافة وجعلها جزءاً لا يتجزأ من العبادات ، وإنه بفضل تعاليم الإسلام حمى الله الشعوب التي اعتنقته من كثير من الأوبئة التي كانت تفتك بأوروبا في العصور الوسطى قبل نهضتها » .

ويضيق صدر الإنسان ولا ينطق لسانه حينما يوازن بين انتشار الأوبئة في المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الأوروبية ، وما احسبك اخي القارىء تجهل نتيجة الموازنة ... لقد انعكست الصورة حتى يمكننا القول :

إنه بفضل تعاليم الإسلام التي اقتبستها أوروبا من المسلمين بالأندلس (ذلك الفردوس المفقود) اختفت الأوبئة التي فتكت بها في العصور الوسطى ، وبِهَجْرِ المسلمين لهذه التعاليم ظهرت أوبئة العصور الوسطى في أوروبا :

[٢] ومما يساعد على الوقاية من الالتهاب الكبدي الوبائي : التسخين للأطعمة والأشربة (التي تقبل التسخين) حتى درجة (٩٠) لمدة عشر دقائق ، كذلك تجنب أكل الأسماك المُحَارِيَّة ، مثل : « أم الخُلُول » التي ثبت أنها تجمع الفيروس من الماء ثم يتكاثر بداخلها ، وقد ظهرت الإصابة بالفيروس في مجموعة من الأشخاص بعد ستة أسابيع من تناولهم لها ، وكان ذلك في السويد سنة ١٩٥٥م .

[٣] كما أن من أسباب الوقاية استعمال الحقن البلاستيكية التي تستعمل لمرة واحدة فقط بدلاً من الحقن الزجاجية ، وهذه من أنجح الوسائل في الوقاية من هذا المرض ، وكم سمعنا عن شخص أعطيت له حقنة ضد المغص أو حقنة مقويات وبعد فترة ظهرت عليه أعراض المرض الكبدي بسبب استعمال هذه الحقنة بواسطة أحد المرضى ، كما يجب أن نستبعد عمال المطاعم وكل من له صلة بإعداد الطعام أو تقديمه عند إصابتهم بهذا المرض ، وأن لا يعودوا إلى مزاولة عملهم قبل مضي اربعة شهور ، كما يجب عمل الفحص الدوري الدقيق لهؤلاء الأشخاص والتأكد من خلوهم من هذا المرض بالإضافة إلى بقية الأمراض المعدية .

[٤] ومن وسائل الوقاية الهامة جداً : استبعاد الأشخاص المصابين بهذا المرض والحاملين لفيروسه من التبرع بالدم ، وقد يتم إعطاء الشخص المنقول إليه الدم (١٠) ملليجرامات من عقار « جاما جُلُوبْيُولِن » تَعْقُبُهَا جرعة شهرية أخرى ولكن هذا لا يزال قيد البحث : وكثيراً

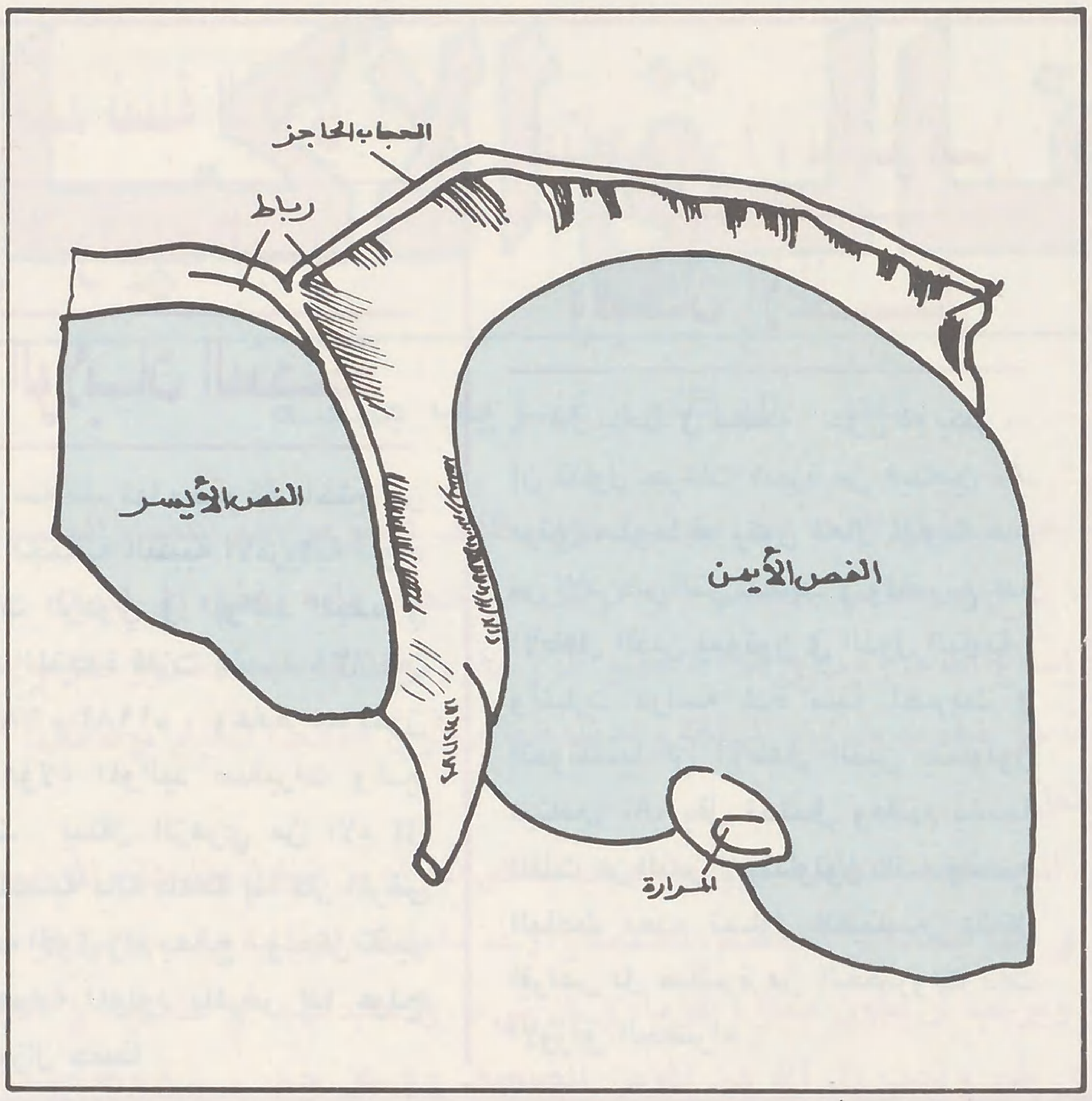

■ هذا المنظر يدل على الحيوية والقيام بالوظائف على الوجه الأكمل ، ثم تتحوَّل الكبد إلى عضو معتل ذي قوام متهتك بفعل الفيروس العربيد ■

ما نرى بعض محترفي التبرع بالدم يتواجدون بالمستشفيات ، وأمام بنوك الدم ، وهم بحالة يحتاجون معها إلى الفحص والعلاج ونقل الدم قبل غيرهم . ولكنها حرفة يتكسبون بها للحصول على ثمن المخدرات التي يتعاطاها الكثير منهم !! . وهذه إحدى مآسي التبرع بالدم .

[٥] هناك محاولات لتطعيم المرضى ضد هذا المرض . وتجرى الأبحاث في أمريكا لتحضير طعم ضد فيروس هذا المرض . ولو تم التوصل إلى هذا الطعم فإن ذلك سيكون من أهم أسباب الوقاية ضد هذا الوحش ، مفترس الأكباد وفالقها ، والذي تزداد ضحاياه يوماً بعد يوم حتى أصبح يهدد حياة الملايين في الدول المختلفة .

وتبقى كلمـــة

وما دمنا بصدد الحديث عن العدوى وعن أحد الأمراض المعدية ، فلا يمكن أن نتغافل عن أحاديث رسول الله ﷺ في هذا الباب حيث اتخذها خصوم السنَّة النبوية غرضاً للشغب عليها والنيل منها والطعن فيها لأنها في ظاهرها يناقض بعضها بعضاً حسب زعمهم .

بل لقد قال غِرٌ منهم (أو طُلب منه أن يقول) ـ فض الله فاه ـ : هذه الصفحات يجب أن تنزع من صحيح البخاري : ونُشر هذا الكلام على الناس في جريدة يتولى رئاسة تحريرها نصراني مخلص لنصرانيته ونحن ننزه القلم عن ذكر اسم كل منهما .

وأهم هذه الأحـــاديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال رسول الله ﷺ :

(١) « لا عدوى ولا طِيَرة ولا هَامَةَ ولا صَفَر وفِرّ من المجذوم كما تفر من الأسد » [البخاري] .

(٢) « لا عدوى ولا صفر ولا هامة » فقال أعرابي : يارسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيُجْرِبُها كلها : قال رسول الله ﷺ : « فمن أعدى الأول ؟ » [البخاري ومسلم] .

(٣) « لا يورِدُ مُمْرِضُ على مصح » [البخاري ومسلم] .

(٤) وعن أسامة بن زيد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال عندما سئل عن الطاعون : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » [البخاري ومسلم] .

(٥) وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : « كان في وفد ثقيف رجل مجذوم ، فأرسل إليه النبي ﷺ : « إنَّا قد بايعناك » [مسلم] .

(٦) وثبت عن جابر أن النبي ﷺ أكل مع المجذوم في قصعة واحدة وقال له : « كُلْ ، ثقةً بالله وتوكلاً عليه » [الترمذي] .

وننقل تعقيب الدكتور محمد علي البار ، وهو بفضل الله ذو قدم راسخة في الطب والدين من غير أن نزكي على الله أحداً ، الذي قال :

« ففي هذه الأحاديث الشريفة يبين رسول الله ﷺ للعرب وللناس كافة أن العدوى وحدها أو الميكروب وحده ليس هو السبب في حصول المرض ، وأن هناك أسباباً أخرى بيد الله سبحانه وتعالى إن شاء صرفها وإن شاء جمعها فكان المرض وكانت العدوى : أما الاعتقاد بأن هذا الميكروب هو سبب المرض الوحيد ، وأن العدوى هي سبب المرض الوحيد فهو أولاً : جهل بحقائق الأشياء ؛ وثانياً : جهل بقدرة الخالق عزَّ وجل ؛ وثالثاً : تعظيم للأسباب الظاهرة فيتكل عليها المرء ، وبذلك يخرج من دائرة التوحيد إلى دائرة الشرك بالله تعالى : فيرى الأسباب الظاهرة ولا يرى سببها الحقيقي وهو الله جلّت قدرته وتعالت حكمته فيضل كما ضلّ السابقون من عرب ومن عجم ، وكما ضل اللاحقون والمعاصرون من ذوي الكلمات الرنانة والألفاظ البراقة التي يخدعون بها النَّاس ، ﴿ ... وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة : ٩) .

ولا بد إذاً من الالتفات إلى المسبب الأول ، كما قال رسول الله ﷺ لذلك الأعرابي : فمن أعدى الأول ؟ وبذلك ترد الأمور كلها إلى الله الواحد الأحد المتصرف بكونه وعباده بما شاء كما يشاء ، بالصحة والمرض ، بالعدوى وبالمقاومة ... والميكروب وحده لا يساوي المرض ، والعدوى وحدها لا تساوي العاهة » [العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ : ٣٠] ، ويقول أيضاً :

« ... ولكن ذلك كله لا ينفي الأسباب ، فالأسباب موجودة بقدر الله وقدرته ، ونحن مطالبون بمعرفة الأسباب واتخاذها ، فإن هذا لا ينافي كمال التوحيد ، ولكن الذي ينافي التوحيد هو اعتقاد الأسباب أنها فاعلة بذاتها ، فلا ينظر إلَّا إليها ، ولا يعتمد ولا يثق إلَّا بها ، وينسى الله الذي بيده الأسباب كلها يصرفها كيف يشاء ، فلا ينبغي على المؤمن أن يتوكل أو يعتمد على أحد غير الله ومع ذلك يتخذ الأسباب ويعلم أنها مربوبة مقهورة بيد بارئها وخالقها . ولذا جاءت الأحاديث الشريفة توضح ذلك بأبلغ عبارة وأجمل بيان ، « لا عدوى ولا طيرة وفرّ من المجذوم كما تفر من الأسد » لا عدوى بذاتها . ومع هذا لا بد من أخذ الأسباب والاحتياط وأن تفرّ من المجذوم . « ولا يورد ممرض على مصح » أي ولا يحتكّ المريض بالصحيح ، فإن ذلك أدعى لانتقال المرض ، ولذا رفض مبايعة المجذوم بيده تعليماً وتشريعاً حتى يتجنب أفراد أمته دواعي المرض : ومع ذلك أكل مع المجذوم ثقة بالله وتوكلاً عليه حتى يعلم الجميع أن الأمر كله بيد الله ، وأن العدوى لا تكون إلَّا بإرادة الله : وأن الله الواحد الأحد هو المتصرف في ملكه ، وأن الأسباب جميعاً بيده .. وأن التوكل عليه والثقة به من أهم أسباب دفع العدوى مع الأخذ بالأسباب الظاهرة المعلومة ، فإن هناك من الأسباب الخفية المجهولة ما يجعل الداء دواء وما يجعل الدواء داء » [العدوى بين الصحة وحديث المصطفى ﷺ : ص ٣٦ وما بعدها] .

وهكذا ترى أن هذه الأحاديث لا تعارض بينها ، وعلى خصوم السُنة أن يسألوا أهل الذكر إن كانوا يريدون أن يتعلموا ، أمَّا إذا أبوا فإنَّا نقول لهم : آمنوا به أو لا تؤمنوا فإن الحق أبلج والباطل لَجْلَجْ .

■ اصفرار العينين في حالة الالتهاب الكبدي الوبائي ■

المـــــراجع

(أ) باللغـــة العربيـــة :

(١) العدوى بين الطب وحديث المصطفى ، للدكتور محمد علي البار .

(٢) في رحاب الطب النبوي ، للدكتور نجيب الكيلاني .

(٣) الموسوعة الطبية الحديثة ، ج٢ .

(٤) رحلة في الجهاز الهضمي ، للدكتور علي مؤنس (كتاب اليوم الطبي) .

(٥) قبسات من السنة ، لفضيلة الشيخ أحمد البسيوني .

(٦) الطب في ضوء الإسلام ، لصاحب هذه السطور .

(٧) الحميات والأمراض المعدية ، للدكتور محمد جمال الدين العرقان .

(٨) بعض الدوريات مثل : مجلة الوعي الإسلامي ـ مجلة المصور ـ جريدة الندوة السعودية .

(ب) باللغـــة الأجنبيـــة :

1. Diseases of the liver and Biliary system. by Dr. Ali Moanis.

2. Gastroentrology, Diseases of the digestive system. by Dr. Mohammad Essam Fikry.

3. Clinical Medicine by: Dr. Mohammad Saleh Ibrahim and Others.

مكتبة الأمة

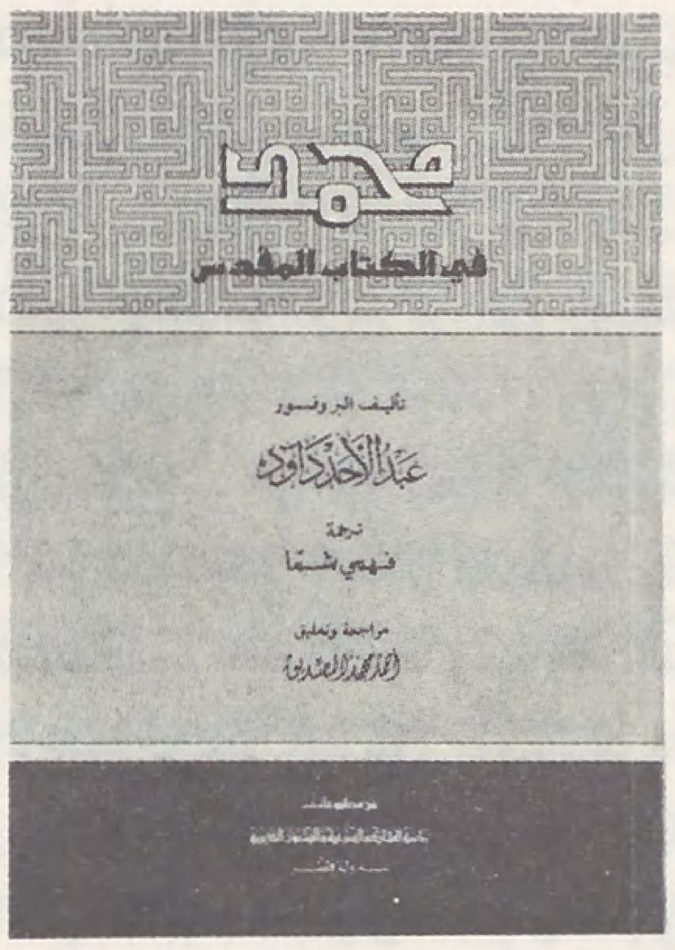

الكتاب : محمد ﷺ في الكتاب المقدس

الكاتب : عبد الأحد داود

ترجمة : فهمي شما

الناشر : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر

□□ تعود أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه كان قسيساً من طائفة الكلدانيين الموحدين التابعة للكنيسة الكاثوليكية، يحمل شهادة الليسانس في اللاهوت، ويدعى «دافيد بنجامين كلداني»، وبعد أن شرح الله صدره للإسلام أصبح يسمى عبد الأحد داود، وقد قال عن هذه اللحظة التي آمن فيها بالله عزَّ وجل ونبيه محمد ﷺ: «أصبحت نقطة تحولي نحو السلوك الأنموذجي للمؤمن» والكتاب - فيما نحسب - يقدم وسيلة ناجعة لإقناع الكتابيين بأن النبي الموعود الذي بشرت به كتبهم وأنبياؤهم هو محمد ﷺ، حيث تغلغل مؤلفه في عمق الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد، ليعرض أسراراً كثيرة وحقائق مذهلة في هذا السبيل ... ويقول: «... ولكنني حاولت أن أعتمد في مناقشتي على بعض أقسام من الكتاب المقدس والتي قلما تسمح بأي جدل لغوي، ولن أذهب إلى اللاتينية أو الإغريقية أو الآرامية، لأن ذلك سيكون عديم الجدوى، إلَّا أنني فقط أورد فيما يلي النص بالكلمات نفسها من النسخة المصححة التي نشرتها جمعية الكتاب المقدس البريطانية ...» ويعرض بعد ذلك نصوص الكتاب المقدس التي تشير إلى أن النبي الموعود هو محمد ﷺ، كما أن الكتاب يأتي بتفصيل مستفيض ليثبت تحريف أهل الكتاب ... والكتاب بعد ذلك وثيقة عظيمة تبين حقائق ثابتة وأصيلة تسترعي الانتباه وتستحق التفهم والاهتمام ...

قدَّم للكتاب الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله المحمود وكيل رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ويتألف من: كلمة تعريفية للشيخ إبراهيم القطان قاضي القضاة في الأردن سابقاً، ونبذة مختصرة عن حياة وسيرة مؤلف الكتاب، ومقدمة مترجم الكتاب، ومن الأبحاث التالية:

- محمد في الكتاب المقدس، نبي الجزيرة العربية «وحي من جهة بلاد العرب».
- محمد ﷺ كما جاء في العهد القديم: ملاحظات تمهيدية.
- وسوف يأتي أحمد لكل الأمم.
- حق الابن البكر في وراثة عهد أبيه.
- لغز تقديس الحجر «المصبا Mispa».
- محمد - ﷺ - هو الشَيْلُوْ «Shiloh».
- محمد - ﷺ - وقسطنطين الكبير.
- محمد - ﷺ - ابن الإنسان.
- الملك داود يدعو بـ «يا سيدي».
- السيد أو الربّ في العهد أو الميثاق.
- الأنبياء الحقيقيون يبشرون بالإسلام فقط.
- الإسلام مملكة الله على الأرض.
- الإسلام والأحمديات التي أعلنتها الملائكة.
- يودوكيا تعني أحمدية.
- يوحنا المعمدان يعلن عن نبي قوي.
- النبي الذي تنبأ به المعمدان كان محمداً - ﷺ - دون ريب.
- معمدانية يوحنا وعيسى مجرد نوع من صبغة الله.
- صبغة الله أو المعمودية بالروح القدس وبالنار.
- ليس البارقليط هو الروح القدس.
- البرقليطوس يعني أحمد.
- ابن الإنسان من هو؟
- محمد - ﷺ - هو المقصود بـ «ابن الإنسان» الذي جاء في الرؤى.
- ابن الإنسان بحسب الرؤيا اليهودية ...

وقد سبق لرئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر أن طبعت الكتاب المذكور في أصله الإنكليزي. □□

الكتاب : تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي

الكاتب : الدكتور شوقي أحمد دنيا

الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت

□□ الكتاب في أصله أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه من كلية التجارة بجامعة الأزهر، وقد استهدفت هذه الأطروحة الإجابة على تساول بات مطروحاً على الساحة الإسلامية والعالمية عامة بعد أن عجزت النظم القائمة عن إنجاز التقدم الاقتصادي لشعوب العالم كلها، والتساؤل هو «هل هناك نظام تمويلي مغاير لنظم التمويل السائدة يستطيع أن يتعامل بفعالية مع مشكلة التمويل التي صارت وكأنها مستعصية على الحل؟».

وتنقسم الأطروحة إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ...

تناول الباحث في الباب الأول «أساسيات التمويل والاستثمار في الاقتصاد الإسلامي»: الوضعَ الاقتصادي المعاصر للعالم الإسلامي ومشكلة التمويل - الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي - المفاهيم الأساسية لأنموذج التمويل الإسلامي ...

وفي الباب الثاني «مصادر التمويل العام في الاقتصاد الإسلامي» تناول: مؤسسة الزكاة - مؤسسة الخراج - إيراد المشروعات العامة - الضرائب -

إيراد المشروعات الاقتصادية العامة ...

وتناول في الباب الثالث « النظم والسياسات التمويلية » نظامَ التمويل بالفائدة وموقف الاقتصاد الإسلامي منه - البديل الإسلامي لنظام التمويل بالفائدة - الدور التمويلي للسياسات الاقتصادية .

وجاءت خاتمة الأطروحة لتقدم ملخصاً عاماً لما جاء في أبوابها الثلاثة ، وقد أُلحق بها جدول بأهم المراجع العربية والمعربة ، والأجنبية ، والتقارير والإحصاءات ، ومعاجم اللغة ... □□

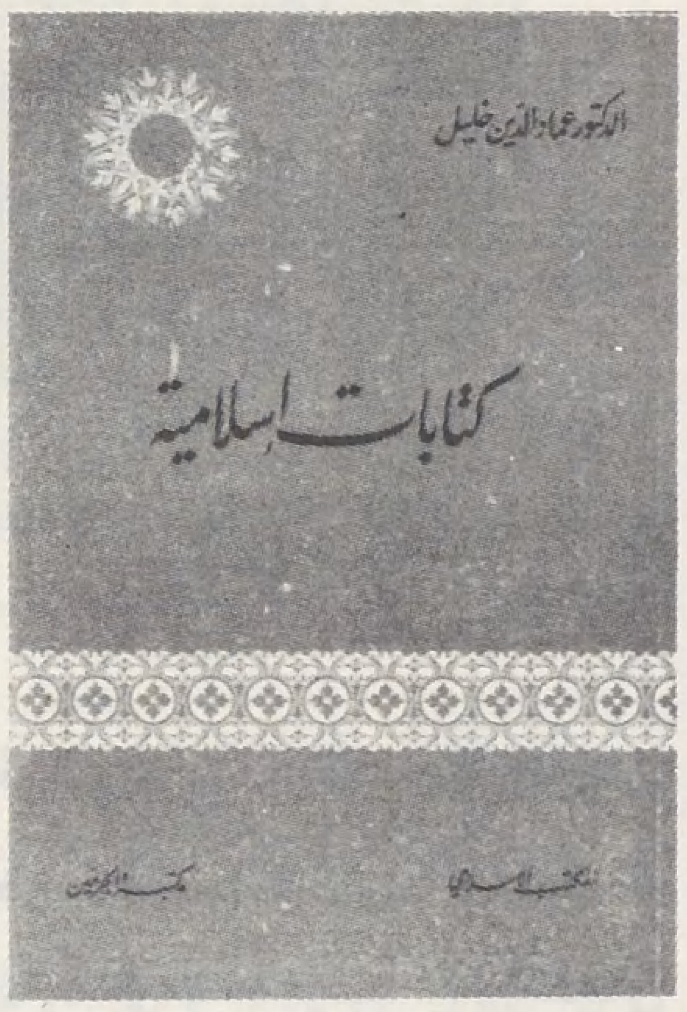

الكتاب : كتابات إسلامية

الكاتب : الدكتور عماد الدين خليل

الناشر : المكتب الإسلامي بيروت - مكتبة الحرمين - الرياض

□□ الكتاب في أصله مقالات متفرقة كتبها مؤلفها منذ منتصف الستينيات حتى نهاية السبعينيات . وقد قسمها بعد جمعها والتنسيق بينها إلى ثلاثة أقسام . جعل أولها تحت عنوان : (إشارات) لأنها تضمنت إشارات سريعة من خلال منظور إسلامي إلى عدد من القضايا المعاصرة [الحلم الكبير - المقدسات أم القضية - رجل السلاح أم بطل السلام ؟ - التأرجح المحزن - حقل التجارب - المساحة السوداء - ماذا بعد الاعتراف ؟ - الظلال ذلك الإنجاز المتفرد - محمد رفعت : الصوت والوهج - الانتصار الحقيقي] .

وثانيها تحت عنوان : (صحافيات) لأنها تضمنت مجموعة من المقالات والافتتاحيات الصحفية التي كانت قد نشرت في عدد من الصحف العربية تعليقاً على حادث ، أو تعقيباً على موقف ، أو عرضاً لمسألة من واقع حياتنا الراهنة [في الذكرى الرابعة لثورة الموصل ١٩٥٩م - الإرشاد الذي يمشي على رأسه - مفرق الطرق - الذين يخربون بيوتهم بأيديهم - نعم .. جنرالات بلا جنود - سفينة حنان إلى ...؟! - أنت قدر الله - كلمة في أذن الشيخ - لحظة الانتصار - رسائل إلى المسلمين في كل مكان] .

وثالثها تحت عنوان : (مناقشات) لأنها تناولت بالمناقشة والنقد عدداً من المسائل المتعلقة بالفكر والعقيدة والتاريخ [حول التاريخ الإسلامي - أثر الفكر الإسلامي في تفسير التاريخ - ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم - نقد للملاحظات - واحد من اثنين - الإسلام ليس تراثاً - لن يُشرَّح جسمنا ونحن أحياء - حول حقوق التأليف والنشر - جرح وتعديل في القرن العشرين - التخريب في المنعطفات - على هامش مؤتمر السيرة الثالث] ، ومعطيات الأقسام الثلاثة تتارجح بين التحليل الفكري الهادىء الدقيق ، وبين العرض الأدبي الحار والصوت الصحفي ذي النبرات المرتفعة ... لكنها جميعاً تصدر عن المعيار الإيماني الواحد ، وتحمل شخصيتها الإسلامية المتميزة . □□

الكتاب : الإسلام وفلسطين

الكاتب : رفيق شاكر النتشة

الناشر : فلسطين المحتلة - لبنان

□□ الكتاب في أصله محاضرة ألقاها الكاتب ، وبدأ بالحديث عن مكانة فلسطين في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وأن فلسطين أرض الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء (ذكر نماذج من هؤلاء) ، ثم عقب على ذلك بالحديث عن أمر الإسلام بقتال الأعداء وكيف أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة كما أخبر بذلك الرسول ﷺ ، وتطرق لقضية فقهية (حكم الجهاد مع قائد فاسق) ...

ثم تحدث عن شيء من غزوات الرسول ﷺ ، كما ناقش موضوع الوطنية في الإسلام ، وبين كيف أشاد الرسول ﷺ بحلف الفضول ، وقوله ﷺ : « أحد جبل يحبنا ونحبه » وعن مكة « ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك » .

ثم تحدث عن « عروبة فلسطين قبل الإسلام » ، وكيف أن التوراة تؤيد حق العرب في فلسطين ، وأورد شيئاً من أقوال زعماء الصهيونية في هذا السبيل ، وبين أن اليهودية دين وليست عرقاً ، ثم ذكر نبذة عن المجازر التي قام بها يهود ضد غيرهم عبر التاريخ ، وكيف وقعت عليهم الاضطهادات في بقاع مختلفة من العالم رداً على فسادهم و إفسادهم إلَّا في بلادنا حيث قوبلوا بالتسامح والترحاب ...

بعد ذلك تحدث عن الدول الاستعمارية ودعمها للحركة الصهيونية العالمية (ألمانيا - بريطانيا - أمريكا ...) وعن التخطيط الصهيوني الاستعماري لتهويد فلسطين [كورش الفارسي - نابليون ودعوة اليهود لإقامة دولتهم في أرض الميعاد - حلم هرتزل] وعن السلطان عبد الحميد والقضية الفلسطينية ورفضه السماح لليهود باقتطاع هذا الجزء من أرض الإسلام ، وصموده أمام إغراءاتهم ، والعمل على إسقاطه وتسلم جماعة تركيا الفتاة (الاتحاد والترقي) وارتفاع عدد اليهود في فلسطين نتيجة ذلك ... ثم تحدث عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين خاصة بعد الانتداب البريطاني حتى حلول النكبة عام ١٩٤٨م ثم الهجرة بعد النكبة .

بعد ذلك كان الحديث حول « الاعتداءات الصهيونية على المساجد والكنائس والأملاك العربية في القدس » [حرق الأقصى وشيء من تاريخ القدس الإسلامي] وعن غفلة العرب والمسلمين أمام يقظة وتحرك يهود ، وذكر شيئاً عن جهاد شعب فلسطين ضد الاستعمار والصهيونية للوقوف في وجه هذه المخططات . □□

كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية

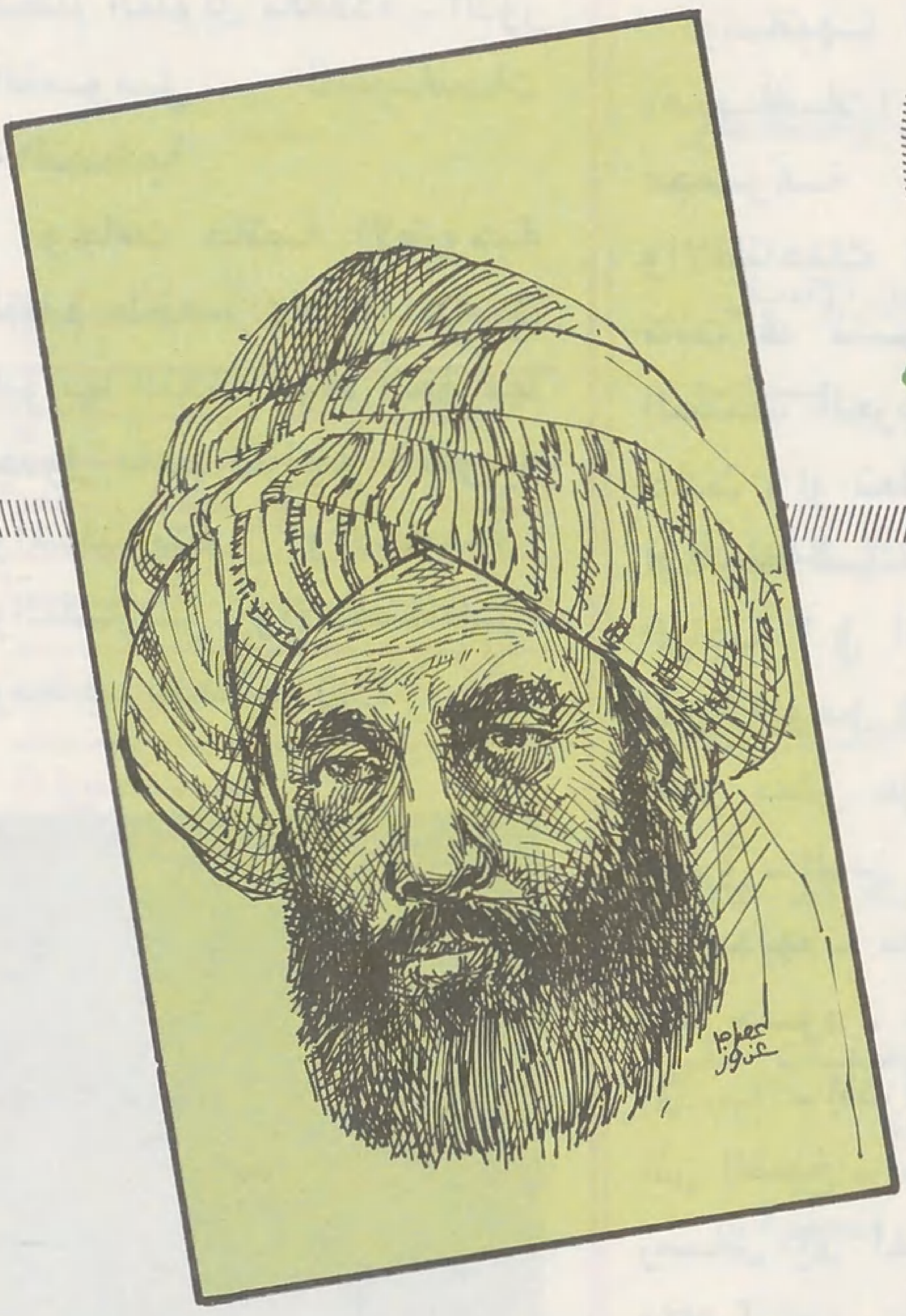

الإسلام والإيمان

ففي هذا الكتاب أثبت ابن تيمية رحمه الله أن مسمىٰ الإيمان عند السلف الصالح غير مسمى الإسلام ، وأن الإسلام هو أعمال الجوارح مع الإقرار ، أمَّا الإيمان فيشمل هذين ويتميز بأعمال القلب التي لا تنفك عنها أعمال الجوارح بل تكون لازمة لها ، دالة عليها .

وقد فرَّق الله تعالى بين المسمَّيَيْن فقال سبحانه : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ .

وفي حديث جبريل المتفق عليه : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمداً رسول الله وتقيم الصَّلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » وقال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

وقال ﷺ في حديث آخر متفق عليه أيضاً : « الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول : لا إله إلَّا الله ، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » فجعل الشهادتين أصله وجعل منه إماطة الأذىٰ عن الطريق ، وهو من عمل الجوارح . كما جعل منه الحياء وهو من عمل القلب .

أصل الإيمان

وجعل أصل الإيمان الذي هو الإقرار بالشهادة ؛ المتضمن طبعاً الإقرار بباقي الأصول أفضل الشعب ، وإنما امتازت الشهادة بهذا من وجهين :

أولهما : أنها أصل العبودية ، وأن من قالها خالصاً بها قلبه كانت حياة له وتولَّد له عنها من سائر الشعب بقدر إخلاصه .

ثانيهما : أنها تنجي أهلها ـ أي أهل التوحيد ـ من الخلود في النار وهذا ليس إلَّا لها ، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلَّا أحمي عليه في نار جهنم فيُجْعَل صفائحَ فيكوىٰ بها جبينه وجنباه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرىٰ سبيله إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار » قال ابن تيمية رحمه الله : [فهذا بعد تعذيبه خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يدخل الجنة] اهـ ص ٦٣ .

فالشهادة تنجي من الخلود في النار ، ولكن عذاب خمسين ألف سنة ليس بهيِّن على كل حال ، وبهذا يتبين من كلا الوجهين السالف ذكرهما أن أفضليتهما إنما هي أفضلية أصل على فرع ، فالأصل أفضل من الفرع ولكنه لا يغني عنه ، إذ بالثمار التي يحملها الفرع يظهر مدىٰ تمكن الأصل من القلب وتفاعله معه .

الأعمال من لوازم الإيمان

لذا كانت الأعمال من لوازم الإيمان ، فإن انتفى بعضها انتفى منه قدرٌ بحسبها ، ومن هٰهنا جاء في كثير من الآيات والأحاديث نفي الإيمان عمن ترك بعض الواجبات وهو نفي لكماله لا لأصله :

فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ (النور : ٦٢) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

بقلم : ربيعه السارح [أم عبد الله]

■■ ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام أبو العبّاس تقي الدين ، الإمام المحقق ، المجتهد المشهور المحدث ، المفسر الأصولي ، النحوي ، الواعظ الخطيب ... الحنبلي ، ولد بحرّان سنة ٦٦١هـ .. بلغ رتبة الاجتهاد وأخذ عنه من لا يحصىٰ .. قدم مصر وحبس بالقلعة ، وعاد إلى الشام وسجن فيها .. عاش مجاهداً بسيفه وقلمه ولسانه إلى أن توفي بدمشق سنة ٧٢٨هـ . رحمه الله ونفعنا بعلمه .. ■■

في هذا الكتاب تحدّث المؤلف رحمه الله عن مسألة الإيمان حديثاً مطولاً شافياً كافياً ، ولما كانت هذه المسألة هي أعظم مسائل الدين ، وعلى سلامة فهمها يتوقف صلاح الدنيا والآخرة ، ارتأينا عرض زبدة ما جاء في هذا الكتاب حولها مع تبسيط الأسلوب وإيجاز العبارة ، مقتصرين على ذكر مذهب الصحابة والسلف الصالح دون التعرض للخلافات التي تعرض لها المؤلف رحمه الله ، إمعاناً منه في إبطال الباطل وإحقاق الحق .

■ الشهادة أصل العبودية ، ومن قالها خالصاً قلبه كانت له حياة ، وتولد له عنها من سائر شعب الإيمان بقدر إخلاصه . ■

■ لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ■ [حديث شريف]

(الأنفال : ٢) وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (السجدة : ١٥) وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الحجرات : ١٥) .

ومن الأحاديث قوله ﷺ : « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » [رواه أحمد] وقوله : « لا تؤمنوا حتى تَحَابّوا » [رواه مسلم] وقوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه » [متفق عليه] وقوله : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « الذي لا يأمن جاره بوائقه » [رواه البخاري] .

فإن هؤلاء لم يأتوا بالإيمان الواجب الذي وعد الله أصحابه بدخول الجنة بلا عذاب ، بل عصوا الله فتعرضوا لوعيده ، فخرجوا بذلك من دائرة هذا الإيمان إلى دائرة الإسلام ، وكلما نقص التزام العبد بأوامر ربه كلما خرج من تلك ، وانزوىٰ في هاته .

والمثل في هذا كمثل بيت في حديقة غنّاء واسعة ، في أرض عالية ، فالبيت هو الإسلام والحديقةُ هي الإيمان والأرض هي الملة . فالعبد كلما سار وتوغل في الحديقة ، كلما وجد من الفواكه والمناظر والأجواء ما هو أطيب من سابقه ، وسيرُه فيها سيكون بحسب حسن خلقه والتزامه بأوامر مولاه ، وكلما أساء الخلق أو عصى كلما عاد القهقرى حتى يخرج من الحديقة وينزوي في البيت . والبيت له أركان خمسة ، كلما تضعضع أحدها كلما خيف عليه الهلاك ، فإن انهدم بعضها تعرض للهلاك حقاً ، ولا يزال محتمياً بركن الشهادة وهو أقواها ، حتى إذا انهدم هذا الركن بأحد نواقض الإسلام التي تأتيه بها الرياح من كل جانب ، هوىٰ في أرض الملة فخرّ كافراً .

وعليه فإن الكفر الذي يخرج من الملة يترتب على انتفاء أصل الإيمان من القلب أما انتفاء بعض فروعه فالمترتب عليه هو كفر دون كفر .

نواقض الإسلام

والذي ينتفي به أصل الإيمان هو أحد نواقض الإسلام العشرة التي لم يذكرها المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب الذي نستوحي هذه الأسطر من مضمونه ، وإنما ذكر كل واحد منها في كتاب « مجموعة التوحيد » فعددها كما يلي :

[● الأول : الشرك بعبادة الله . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾

كتاب «الإيمان»

■ الإسلام اكتساب ، والإيمان أكثر موهبة وشيء يضعه الله في صدور من يشاء من عباده ويعطيهم عليه من الأجر ما لا يعطي على العمل . ■

ومنه الذبح لغير الله ، كمن يذبح للجن أو للقبر !

● الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم ، كَفَر إجماعاً .

● الثالث : من لم يكفِّر المشركين ، أو شَكَّ في كفرهم أو صحح مذاهبهم كفر .

● الرابع : من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكملُ من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ـ كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ـ فهو كافر .

● الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به .

● السادس : من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر . والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ .

● السابع : السحر ، ومنه : الصرف ، أي : صرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها . ومنه : العطف ، أي : ترغيب الإنسان فيما لا يهواه بطرق شيطانية . فمن فعله أو رضي به كفر . والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

● الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

● التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر .

● العاشر : الإعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ، إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾] اهـ (ص : ٣٣) .

فهاته هي النواقض التي بإتيان أحدها يخرج المرء من ملة الإسلام والعياذ بالله ، أمّا أن يأتي ما هو دونها فإنه يكون مذموماً عليه ، مستحقاً للعقوبة بقدره ، أي بقدر سوء إسلامه ، فإن إسلام المرء قد يكون حسناً وقد يكون سيئاً ، إذ جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » فلا شك أن الذي ترك ما لا يعنيه أحسن إسلاماً ممن لا يترك ذاك ، وكلما حسُن إسلام المرء كلما كمل إيمانه ، أي كلما عمل بالطاعات والتزم بآداب الدين كلما ترقى في مدارج الإيمان إلى الإحسان ...

فالإسلام أيضاً يزيد وينقص بزيادة الطاعات ونقصانها ، ولكن زيادته ونقصانه غير زيادة الإيمان ونقصانه ، فإن العبدين إذا استويا في العمل استويا في الإسلام مع أنه قد يكون أحدهما أقوى إيماناً من الآخر ، فالإسلام اكتساب والإيمان أكثره موهبة وشيء يضعه الله في صدور من يشاء من عباده ويعطيهم عليه من الأجر ما لا يعطي على العمل ، وإن كان واجباً على العبد أن يسعى دوماً إلى تقوية إيمانه بدوام الطاعة وطول الفكرة ، متعرضاً لفضل الله تبارك وتعالى والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

تفاضل الإيمان غير تفاضل الإسلام

فتبين مما سبق تفصيله أن تفاضل الإيمان غير تفاضل الإسلام ، وأيضاً لا يجب على كل أحد أن يعرف تفصيل أصول الإيمان ، بل يجزئه أن يؤمن بها إجمالاً ، غير أن الذي عرفها تفصيلاً وآمن بها أكمل إيماناً وأعظم ثواباً ، ومن هنا كان فضل العلماء على سائر الخلق ، ومن تعرض لتفصيلها الثابت بالكتاب والسُّنة ولم يؤمن به فإنه يخرج عن الملة ، لهذا كان من فقه الداعية إلى الله بل من واجبه ألَّا يحدث الناس إلَّا بما تطيقه عقولهم ، ولا يخوض في الشبهات أمام عامتهم ولو لإبطالها خشية أن تكون فتنة لبعضهم ، فيضلهم من حيث أراد أن يهديهم ، وما الهداية والتوفيق إلَّا بالله .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

تصريحات وأقوال

■■ [إن النَّاس حولنا يتجمعون على عقائدهم ويتنادَوْن بشعاراتها وإذا سمحنا لأسباب الفرقة أن تنال منّا فلا مستقبل لنا ، لأننا لن نكون ..] ■■

(الشيخ محمد الغـزالي)

● الشيخ محمد الغزالي ●

■■ [إن الروس قضوا على حرية واستقلال كثير من البلاد في يوم أو نصف يوم مثل تشيكوسلوفاكيا .. فلماذا لم يستطع الروس القضاء على هذه المقاومة في خلال خمس سنوات ؟!] ■■

(عبد رب الرسول سيّاف)

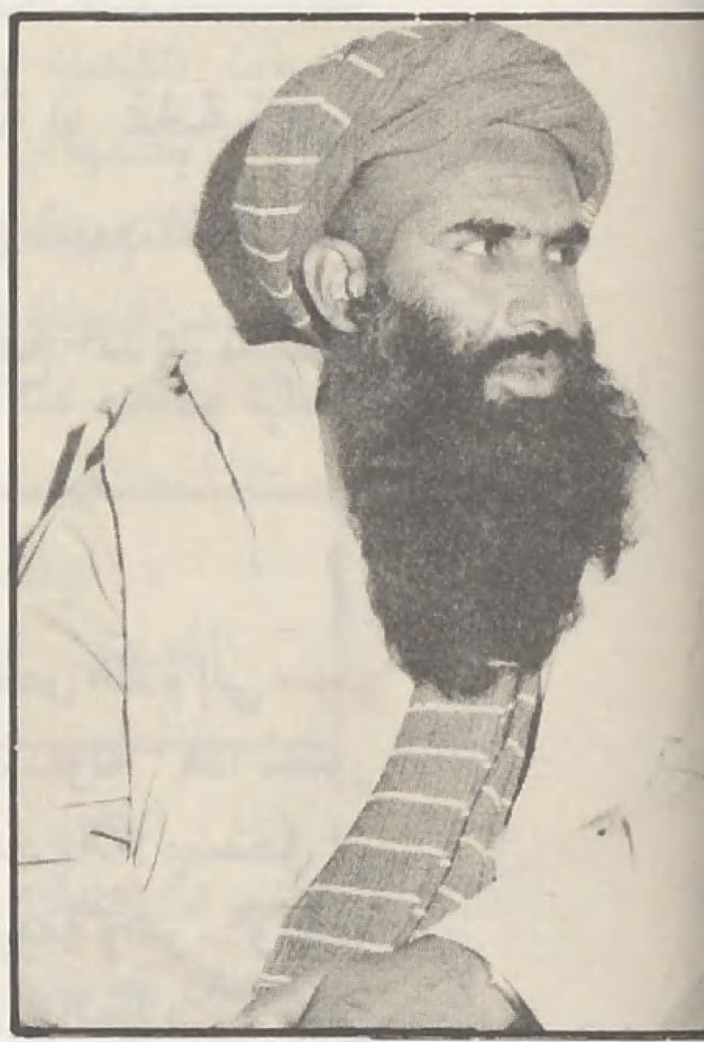

● عبد رب الرسول سياف ●

■■ [يتعين على أفريقيا ودول العالم الثالث أن تدرك أن صندوق النقد الدولي أداة سيطرة وليس أداة للتنمية الاقتصادية .. وكلَّما سارعت الدول النامية إلى إدراك هذا الموقف كلما كان ذلك أفضل ..] ■■

(جوليوس نيريري-رئيس جمهورية تانزانيا،والرئيس الحالي لمنظمة الوحدة الافريقية)

● جوليوس نيريري ●

■■ [إن أكثر من نصف مليون شخص ماهر هاجروا من الدول النامية إلى الدول الأغنى منذ الستينيات ، وهذا العدد يمثل عشرة أضعاف عدد العاملين في المجال العلمي الذين قاموا بدور الريادة في التحول العلمي للدول الصناعية كلها ..

إن سرقة العقول كلَّفت الدول الفقيرة ما يُقدَّر بحوالي (١٠٠) بليون دولار لاستثمار الموارد البشرية ..] ■■

(رئيس قسم التكنولوجيا في « الانكتاد » ـ مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية والتجارة)

■■ [إن مشاعر الكراهية تجاه إسرائيل لن تختفي حتى بعد إقرار السلام مع جميع الدول العربية ، ولذلك يتعين على الإسرائيليين التعود على العيش وسط بحر العداء لمدة قد تصل إلى عشرات الألوف من السنين ..] ■■

(إسحق شامير)

● إسحاق شامير ●

■■ [كان الغزو الأول للجزائر بقوة السلاح وانتهى عام ١٨٧١م . ويتمثل الغزو الثاني في حمل الأهالي على قبول عدالتنا وآرائنا ، وسوف يتحقق الغزو الثالث عن طريق المدرسة وتغيير العقلية الجزائرية .] ■■

(أحد وزراء التربية الفرنسيين في نهاية القرن الماضي)

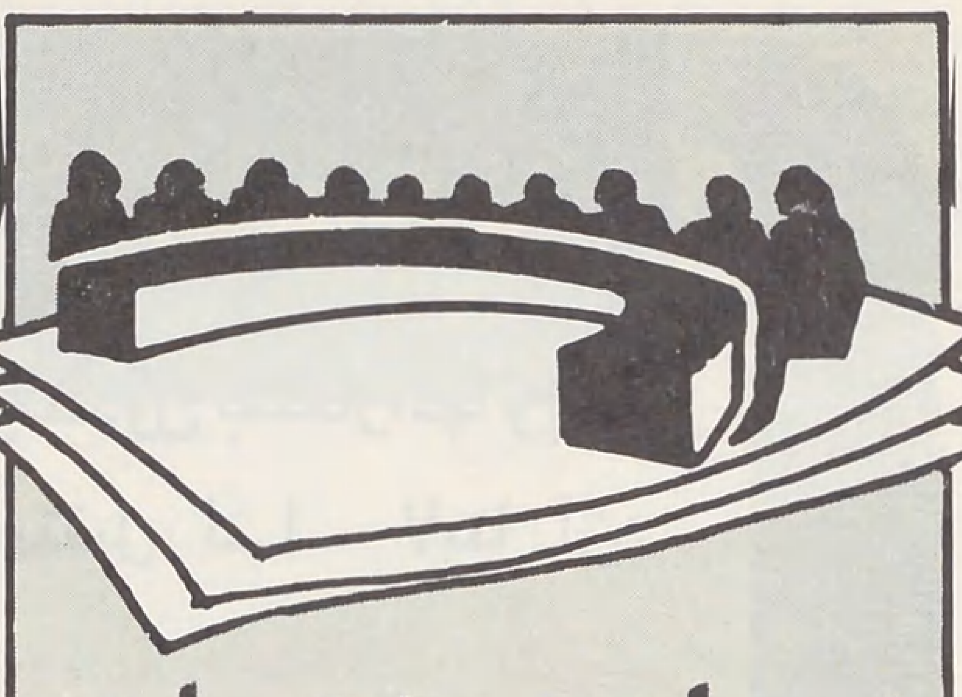

ندوات ومؤتمرات

معنى الحياة وقيمتها بين الإسلام والأديان والمذاهب الأخرى

■■ هل للحياة معنى ؟ وهل لها تبرير يرجح استمرارها ودوامها وبقاءها على هذا النحو ؟ وهل لها بعد ذلك نهاية أو غاية ؟ في محاولته للإجابة عن هذه الأسئلة كانت المحاضرة التي ألقاها بالدوحة الأستاذ الدكتور محمد كمال جعفر رئيس قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بالقاهرة والأستاذ بكلية الشريعة بجامعة قطر ، وذلك في إطار الموسم الثقافي السابع الذي تقيمه رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ■■

استهل المحاضر كلامه ببيان المقصود بالحياة الذي يرمي إليه فقال : إنها الحياة الإنسانية ، وليس مطلق الحياة الحيوية (البيولوجية) أو تسلسل وتطور الحياة بين جميع الأحياء ، كما انه يقصد من (الحياة) : المعنى الكوني الميتافيزيقي ـ كما يصطلح الفلاسفة ـ ، اما كلمة (معنى) فتعني هنا « مذاقاً » ، او « مفهوماً » ، على المستوى الذاتي .

معنى الحياة عند البوذية

ثم بدا في استعراض نماذج من الفكر القديم والوسيط والحديث ، والتي يمكن ان تشكل اتجاهات عامة ينضوي تحتها الكثير من المذاهب التي حاولت تقديم الإجابة عن السؤالين فذكر ان اول ما يقابلنا في خلال القرن السادس قبل الميلاد هو النمط البوذي او الخلاصة التاملية لبوذا ، وهي تنبني على تصور واحد هو ان الحياة معرض احزان ، ومورد كوارث وآلام ، ومباءة تعاسة وشقاء . ومظهر ذلك في حقيقته لا يبدو إلَّا في الإنسان باعتباره اعطي البيان ، فهو يستقبل الحياة بكَاء ، وينتهي منها بكَاء ، ولا يفارق البكاء بين البدء والنهاية . وهو لا يقصد مجرد الحزن بل الحزن العميق الدفين ، المتغلغل في اعماق النفوس يسري في الجسم كما يسري الدم .. لا يتغير !

ثم ذكر المحاضر حوارات بين بوذا واتباعه خلاصتها انه سئل عن وسيلة إيقاف هذه الأحزان ، فقال : هي إيقاف الميلاد ، لذلك اعتبرت النساء المصدر الأصلي للشر والتعاسة في الحياة لأنهن يقذفن إلى الحياة مواليد جدداً يزيدون من التعساء والأشقياء . وحين سئل عن الوجود وخالقه وعن إلهه ، اجاب بانه ليس عنده وقت ليبحث هذه المسائل .

وقال الدكتور المحاضر :

« وإحقاقاً للحق : هناك نقطة واحدة في البوذية اتفق فيها مع بوذا وهي ان بعض الاحزان والآلام قد تعود إلى سوء تصرف الإنسان ، او إساءة تصوره .. فسر بوذا هذه النقطة بقوله : إن الأشياء عابرة في هذه الحياة ، والإنسان لا يقنع إلَّا بالثابت ، فهو ينظر إلى المتحرك العابر المنتقل إليه كانه ثابت ، يمسك به فيفر عنه ، فيحصل الحزن ، او يتطلع إلى شيء ليس في يده فلا ياتيه ، فيتم الحزن .. ويعلق المحاضر على هذه الفكرة بانها : الاغترار ببعض مظاهر الحياة الدنيا على انها ثابتة دائمة ، ولقد رسم القرآن واثبت هذا بالنسبة للكافر ذي الجنتين الذي قال حين دخل إحداهما : ﴿ ... مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ... ﴾ .

والنقطة الأخيرة عند البوذية هي ان بوذا افرغ ما في جعبته من صور الالام والمآسي والاحزان والكوارث والتعاسة والشقاء ، والبلاء إلى درجة لا يمكن لإنسان معها ان يكون عنده امل قط او هدف يسعى إليه ، او دافع يجعله يسعى ، لهذا : كانت نقطة الانطلاق عند البوذية ان تحمل قصعة السؤال او التسول ، لتذل نفسك وتقهرها ، وتحطم بدنك ، لأن بدنك نجس من اخمص القدم إلى منبت الشعر .. ويتبع المحاضر ذلك بقوله : هذا تصور للحياة على ان هذا الوجود خادع ، لا يستحق ان يعاش فيه ، والتواجد فيه جريمة وشر .. ويجب ان يتوقف الزواج والنسل والميلاد ... حتى وصلت بهم الحال لدرجة ان توجوا هذا بإحراق البدن نهائياً ، لأنه لا مدعاة له ولا قيمة ، ويشارك البدن في ذلك كل ظواهر هذا العالم ، فإنها كلها في النظرة البوذية محض خيال ووهم .

« أفلاطون » : الحياة محض وهم

ثم انتقل الدكتور محمد كمال جعفر إلى انموذج آخر من الفلسفة اليونانية ـ إلى افلاطون ـ الذي استمد رفضه للعالم الحسي من النظرة البوذية والآثام واوجه الأحزان والآلام في الحياة واستبعد ان يكون هذا قد صدر من إلـه خيِّر جميل حق .

ويرد الدكتور على ذلك فيقول :

هذا هو الزيغ العقلي والنظرة الجزئية التي تركز على جانب من الحياة . فافلاطون لم يدرك ان نسيج الحياة حين صنعه الخالق وضع في هذا النسيج كل لون واعطى كل شيء خلقه ، حتى يتم الوجود بجميع جوانبه ، وجميع جزئياته ، مع حفظ التوازن والتناسق ، وهو ما اشار إليه القرآن الكريم بعدم التفاوت ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ (الملك : ٣) والعقلية الإنسانية

الأستاذ الدكتور محمد كمال جعفر :

- استاذ ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة .
- تلقى دراسته الاولى بالازهر الشريف ، وحفظ القرآن الكريم .
- تابع دراسته بكلية دار العلوم وتخرج فيها .
- اكمل دراسته العليا في جامعة « كمبردج » البريطانية حيث نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية .
- له ثمانية وستون كتاباً باللغتين العربية والإنجليزية تدور حول الفلسفة والتراث ومقارنة الاديان .
- عمل بجامعات ليبيا والسعودية وقطر .

لا تستطيع ان ترقى او تصعد او تهيمن على هذه الرؤية الشاملة إلَّا ان يخبرها الذي صنعها ، وإلَّا ان يعلمها ان عنصر الشر ضروري واساسي في الوجود لتتميز الأشياء ، وان الازدواج والتناقض في ظواهر الحياة شرط اساسي لأنها حياة مصممة لغاية محددة كما سنرى في النظرة الإسلامية .

« أبيقـــور » : الموت طبيب الأصحـاء

اما « ابيقور » ـ من فلاسفة اليونان ـ القرن الأخير قبل الميلاد ـ ، فرغم انه ظُلِمَ ونسبت إليه اتجاهات هو منها بريء ، فإنه وقع فيما وقع فيه بوذا حين اعتبر ان الحياة مرض عضال لا يشفي منه إلَّا الموت ، وسمى الموت (طبيب الاصحاء) .. فنزعته تشاؤمية محضة ، وقد استغل النظرات الفردية الشخصية بسبب ما الم به من مرض ، وعمم ذلك .. فاعتبره هنا شاعراً اكثر منه فيلسوفاً .

والنص الذي لجا إليه « ابيقور » لتاكيد نزعته هو : [الموت هو الطبيب الذي يشفينا من اشد الامراض فتكاً ، وهو مرض الحياة] ثم حاول ان يبدد الخوف من الموت فقدم تبريره : [لا تخف من الموت لان الموت سيريحك .. ما الذ النوم] مشبهاً الموت بالنوم ، ويضيف قائلاً : [الحياة رقصة بين عدمين] .. ثم يعلق الأستاذ المحاضر قائلاً :

إنه من المستحيل على المفكر ايا كان مركزه او ثقته بفكره ان يبرر الحياة ، او يقنع الناس بهدفها ومعناها ، ما لم يكن الإيمان بالله نقطة انطلاقه .. وهذا ما حدا بالفلاسفة الملاحدة ان يسلموا بانهم مع الدينيين في شيء واحد هـو : « ان الحياة لا معنى لها إلَّا إذا انطلقت من تصور ان هناك مدبراً منشئاً ، مهيمناً ، منظماً ، موجداً لهذه الحياة لغاية معينة ، ثم يقولون : ونحن لهذا السبب ننكر ان هناك منشئاً » .. إنهم فقدوا معنى الحياة لانهم فقدوا الإيمان .

أنمـوذج من الفكر الحديث « شوبنهور » وعبثية الوجود !

وما فكر فيه « ابيقور » من ان الحياة مرض ، وان الموت مخلص من هذا المرض ، هو الذي دفع « شوبنهور » إلى القول بعدم وجود معنى للحياة .

واعتبره المحاضر اخطر فيلسوف لانه استطاع ان يقدم ادلة عقلية ـ اعتبرها كافية ومقنعة ـ على عدم وجود معنى للحياة ، وعلى عبثية هذا الوجود ..

وفي تطاول فكري قال « شوبنهور » : (إن هذا الوجود ـ على ما هو عليه ـ لا يصح لكائن مهما كان ان يفتخر به او يعتز به او حتى ينسب إليه) وهو يزعم ـ وهنا مكمن الخطورة ـ انه سيقدم ادلة عقلية . وليس رايه نزعة عاطفية او شعورية ، ولكنه منطق مبني على اسس عقليـة .. يقول « شوبنهور » : (إنه بالنسبة لهؤلاء الذين يقولون إن الحياة درس ، فإنه لهذا السبب بعينه اتمنى لو تركت في سكينة وسلام العدم حيث لا حاجة لي إلى دروس ..) ويلخص اسباب ذلك على النحو التالي :

اولاً : لا توجد سعادة حقيقية ، وإن وجدت فنادرة وعابرة .

ثانياً : متع الحياة ـ إن وجدت ـ متع سريعة الانقضاء ، وقد تكون مجلبة للحسد ، بناء على خطا الحاسد .

إلى ان يقول في النهاية : إن ظاهرة الموت ظاهرة رهيبة ، لا يمكن معها ان تكون هناك قيمة للحياة .

الوجوديـــة : لا حقيقة مطلقة للإنسان

يقول الدكتور محمد كمال جعفر : لقد دعت الوجودية إلى نقاط براقة جذبت شباباً كثيرين ، فقد دعت إلى الحرية والالتزام والمسؤولية والإيجابية ، وكل من يستمع إلى هذه النقاط ينطلق معها ، ولكن حقيقتها غير ذلك .. لقد انطلق (جان بول سارتر) من قـول « دستـوفيسكي » [إذا لم يكن الله موجوداً ، فإن كل شيء يصبح مسموحاً به] وقال « سارتر » : « من هذا تنطلق الوجـودية ، من مُسَلَّمَة انه ليس هناك إلـه ـ جل وعلا ـ إذاً ليست هناك قوة خارجة تضع مثالاً او نمطاً من السلوك ،

لذلك اعتبرت الإنسان يُوجِدُ نفسه ، بمعنى ان ماهيته وحقيقته تتكون تباعاً ، إلى ان تتم في اخريات عمره » .

وبعد ان حذَّر المحاضر بان هناك وجودية مؤمنة ممثلة في (باردئيف) ، و (جاسبرز) حيث اعتبرهما مع النصارى وليسا وجوديين مؤمنين كما قالوا عنهم .. بدا الدكتور جعفر في مناقشته لهذه الوجودية فقال : انا اوافق على ان الإنسان تظهر قيمته ساعة الاحتضار ، لان الأعمال بخواتيمها ، لكن الَّا تكون لي حقيقة مطلقاً كإنسان ، او ماهية أعرَّف بها إلَّا عند دنو الموت ، فهذه غريبة ! ولماذا فعلت الوجودية ذلك ؟ فراراً من ان تسلم بان الكون ـ على النسق الذي هو عليه ـ كان معلوماً او مشروعاً مخططاً من قبل الله ...

ثم ناقش المحاضر « سارتر » في بعض تفصيلات مذهبه الذي يحيل فيه المجتمع إلى عرابدة وَمَرَدَة ، وذكر ما انتهى إليه اساتذة الفلسفة الإسلامية في مصر في مناقشتهم للوجودية وقالوا برفضها لانها فلسفة برجوازية تنزع إلى إلزام الناس بها ، وتعزل الإنسان عن الجماعة ، وتولع بإبراز القبيح ..

مع اليهوديـة والنصرانيـة

وفي رحاب الأديان السماوية كانت اليهودية والنصرانية ، وهما تلتقيان في نقطة واحدة هي ان هذه الحياة في جملتها جاءت لتؤكد ملكوت الله

معنى الحياة وقيمتها بين الإسلام والأديان والمذاهب الأخرى

ومملكته .. ولم يعترض الدكتور جعفر على هذا التصور إسلامياً ، لكنه اعترض على تفسير هذا التصور ، ففي التصور اليهودي : مملكة الله إنما هي مملكة لشعب ـ استاثر بتفضيل الله ، وإحسانه واستاثر بتمكين الله له في الأرض ، كما استاثر بتمثيل قوة الله وسلطانه ـ هو الشعب اليهودي ، فغاية الحياة في نظرهم ان تزهو تلك المملكة التي يُعيَّن فيها الله ـ جل جلاله ـ ملكاً ، وبلغة المساومة والتجار يقولون : « اعد إلينا قضاتنا وملوكنا وعلماءنا واحبارنا ، وكن ملكاً علينا » .. فهم يطلبون من الله شيئاً في سبيل ان يؤدوا إلى الله شيئاً ، وهذه المملكة في الدنيا ، ولذلك كان من الغريب والعجيب ان تجد كتاباً يُزْعَمُ انه سماوي يخلو من فكرة الآخرة ! إن هذا شاهد واضح حاسم على حدوث تخريب وإغماض لفكرة الآخرة .

وقد حُوِّل الملكوت في النصرانية بالصورة نفسها ـ مع بعض التوسع ـ فبدلاً من ان يكون هذا الملكوت خاصاً بالشعب اليهودي وُسِّع بعض الشيء ، وطرد منه بعض الناس ، « مملكة الله » هي هذا العالم الذي تمركزت فيه حادثة رئيسة ، وهي حادثة حلول اللاهوت في المسيح ، ما قبل تلك المرحلة يعتبر تمهيداً ومقدمة ، وما بعد تلك المرحلة يعتبر ثمرة ونتيجة ، وفي الآخرة لن ينال هذا الملكوت إلَّا من شارك الدم النصراني بإقامة الطقوس ، ويلقى نظير هذا ان يعيش في هذا الملكوت ..

في الإسلام : الحياة اختبار

بعد ان عرض المحاضر لنماذج وتصورات عن معنى الحياة وقيمتها في العصور : القديم والوسيط والحديث انتقل للحديث عن التصور الإسلامي لمعنى الحياة وقيمتها والغاية منها ، وكيف أن الله خلق الموت والحياة ليبلونا أيُّنا احسن عملاً ، وانه يبلونا بالخير والشر فتنة ، واننا سنُرَدُّ إليه ، وانه خلق الحياة على هذا النمط نسيجاً متنوع القسمات ، مختلف الألوان ، لتظهر كل صفاتنا على حقيقتها ، وانها بذلك مجال اختبار ، وان القرآن اشار إلى حقيقة كبرى هي الميثاق الذي اخذ من بني آدم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧٣ ـ ١٧٣) .

ومن المفسرين من قال : إنه ليس هناك ميثاق ، وإنما إبداع عقل وفطرة في النفس ، تشهد بربوبية الله ، وهذا حجة .. ولم ينكر المحاضر على المفسرين هذه الرؤية لكنه قال : إنه يميل إلى ان هناك ميثاقاً حقيقياً ، مؤكداً ذلك بالحديث النبوي الشريف :

« لقد مسح الله ظهر آدم فخرجت ذريته كالذَّر ، فاشهدهم على انفسهم فشهدوا » .

الإسلام لا يرفض الحياة

ثم اتبع المحاضر ذلك بقوله : إنه لا تجهم ولا تشاؤم في الإسلام ، ولقد اكَّد الإسلام حقيقة ان هذه الحياة عبور وانتقال ، لكنه لم يُشِع الأسى في النفس ، ويخطىء كل من كتب عن الإسلام وقال : إن الإسلام رفض الحياة الدنيا ، فكيف يرفضها ، وهي المكان الذي نبني فيه مكانتنا في الآخرة ؟!.

إن الحياة ليست مرضاً ، بل معرضاً ، كل فرد فينا ـ من الوجهة الإسلامية ـ مراد لله ، موضع لإرادته ، ولن ياتي احد رغماً عن إرادته ، او يكون غير مرغوب فيه ، لأن النظام ـ كما اخبرنا سبحانه وتعالى ـ نظام هياه بلا تفاوت ، والمصطلح الإسلامي « عدم التفاوت » ادق من مصطلح بعضهم (التعادلية) لأن معنى التعادلية انه سيوازن النظام (كحكاية الغراب والجبن) ، فعدم التفاوت ادق ، وهو التناسق ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ (الملك : ٣) فلا تستطيع ان تقول : لِمَ لَمْ يوجد هذا الشيء ، إنما قد تستطيع ان تقول : لِمَ وجد هذا الشيء ؟

والحياة كذلك : جديرة بان تعاش ، فهي من الوجه الحسي معارض جمال ، ومن الوجه الروحي فيها جمال الصداقة والوفاء ... فيها جمال المناجاة لله سبحانه وتعالى ..

القرآن وتجدد الأسلوب

ويقول الدكتور محمد كمال جعفر : إن الإسلام لم يات لفترة معينة ، بل جاء بالصيغة التركيبية التي تخاطب كل جيل ، ويمكن لكل جيل ان يستمع إلى القرآن ، وكانَّه نزل في عصره وفي جيله .. وهذا هو الثبات الخالق او ما يسميه الفلاسفة (الآن الأزلي) وهذه حقيقة فكرية للخالق شاهدة بان هذا الكتاب حق ، ويستحيل ـ فلسفياً ـ ان يُدَبَّج او يؤلَّف بطريقة عقلية بشرية ، لان تجدد الأسلوب وعدم فناء الطلاوة او الجلوة شاهد انه ممن يدوم اثره ، ويبقى سلطانه ، لانه كلام المهيمن .

وبعد اتضاح سيادة النظرة الإسلامية لمعنى الحياة على سائر المذاهب والفلسفات اوجز المحاضر ما ذكره عن هذه المذاهب فقال : إن انماط الحياة المقدمة من المذاهب والفلسفات انتهى بعضها إلى الدعوة إلى الانتحار ، وبعضها انتهى إلى نشر اليأس القاتل في النفوس ، وبعضها قنع بهذه الحياة الدنيا وقبع فيها ، وقال : ما بعدها من حقيقة ، وبعضها حرَّف كلام الله ، وسخَّر آياته لمصالحه وغاياته ، وبعضها ولَّى ظهره لهذه الحياة آملاً في حياة أخرى ، فحرم نفسه من معارض الجمال التي ابدعها خالقه في سبيل ان يلقى عوضاً عن هذا ، وفي سبيل عقيدة مزيفة هي تقديس الإنسان بالقول بإحلال الذات التي لا تحيط بها حقيقة فيه ـ تعالى الله ـ ، وبجعل هذه الذات تحل في شخص وتشارك بدمها في غسل خطيئة الإنسان .

إن الإنسان ليس مخطئاً بحكم الأصل ، وإن كان قد أخطأ الأب ، فقد غفر الله له واجتباه وهداه ، وختمت الرسالات برفع رسوله الخاتم إلى اعلى مقام يمكن ان يحوم حوله عقل ...

واعقب هذا الإيجاز بقوله : إن عدم الكشف عن وجود معنى لدى هؤلاء ليس دليلاً علمياً على عدم وجود هذا المعنى .. بل العكس : فالعلم التجريبي الحديث يدل على ان للحياة معنى ، لذلك فإن فلكياً رياضياً يقول : « إن الكون بصورته الحالية في مجريات التخصص كون معقول ، بمعنى انه مكون ومنشأ على طريقة علمية فكرية ، مقصودة مغيَّاة » .

واختتم الدكتور محمد كمال جعفر قائلاً :

إن الإسلام يحارب في شخص اهله ، ولا يحارب في صلبه ، والإسلام قوي واثق لكنه يحارب في شخص افراده ، واعتقد ان تصحيح فهمنا للنظرة للحياة ثم ربطها بالآخرة سير في الاتجاه الصحيح .

إن دورنا الآن ان نعرف الله ، ومعرفة الله لا تَصْرِفُ عن البحوث العلمية ـ كما قد يظن ـ فإن معرفة الله تبدأ حقيقة بالاستماع إلى كلامه ، وتنفيذ توجيهاته ، والضرب في ارضه ، والخوض في ملكوته ، والبحث في جميع جوانب هذا الكون حتى تظهر لنا آياته في الآفاق وفي الأنفس ، وذلك ما وعد عز شانه ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (فصلت : ٥٣) واعتز بانها سلسلة ممتدة من عطاء الله : تبتدىء بالنشاة .. ثم التمتع بالنظر الكريم .. ويومها تتوج الحياة كاملة .

من قضايا الأســـرة

معاول الهدم في الأسرة المسلمة

●● لا شك أن الأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الأطفال ورعايتهم وتنمية أجسادهم وعقولهم وأرواحهم ، وفي ظلّه يتلقون مشاعر الحبّ والرحمة والتكافل ، وينطبعون بالطابع الذي يلازمهم مدى الحياة ، وعلى هديه ونوره تتفتح الحياة ويفسرون الحياة ويتعاملون معها ، وقد أثبتت التجارب العملية أن أي جهاز آخر غير جهاز الأسرة لا يعوض عنها ولا يقوم مقامها ، بل لا يخلو من أضرار مفسدة لتكوين الطفل وتربيته ، وبالتالي إفساد المجتمع .. يبدو أن هذه الحقائق بدأت تغيب ، وبدأت الأسرة في الوطن الإسلامي تتعرض لمعاول الذين نهلوا من الثقافة الغربية ، وراحوا يدعون لها في بلادنا . غير مميزين بين غثها وسمينها .. إنه من المؤسف جداً أن نُدَرِّس في مدارس المسلمين فلسفة «ديركايم» و «ماركس» و «سارتر» و « سيمون دي بو فوار » وآراءهم في الأسرة ، لا بغية نقدها وتعريتها ، بل تدرّس على أنها الرأي الصحيح ولا صحيح غيره !..

تقول الكاتبة « سيمون دي بو فوار » الحاقدة على الزواج الشرعي والمنادية بالعلاقة الحرة بين الرجل والمرأة : « إن مبدأ الزواج مبدأ فاضح ناب ؛ إذ أنه يحوِّل إلى حق وواجب ما هو بحكم الطبيعة تبادل حرّ ينبغي أن يقوم على الباعث التلقائي » (الجنس الثاني) .. ويقول ماركس : « وغاية ما يمكن اتهامنا به أننا نريد أن نستبدل بشيوع المرأة المستتر وراء نفاق البورجوازية شيوعاً علنياً مشروعاً » . ●●

بقلم : محمد الصالح عزيز

إن دعاة الهدم وأعداء الإنسانية يريدون دك كيان الأسرة ، وتحويل المجتمع إلى اسطبل عفن لا يقل عن اسطبل الدجاج .. ويُعجب دعاة التغريب في بلاد المسلمين بما تبثه أبواق الثقافة الهابطة فيهللون ويباركون وهم يخربون بيوتهم بأيديهم ..

خروج المرأة للعمل

ولئن لم تنجح هذه الدعوات الهدامة - نظراً لما تتمتع به الأسرة في الحس الإسلامي من احترام وتقدير - فإن دعوات أخرى لا تقل خطورة عن الأولى استطاعت أن تنفذ إلى مجتمعاتنا وتنجح في عملها إلى حد بعيد .. وأولى هذه الدعوات خروج المرأة المسلمة إلى العمل خارج البيت بدعوى التحرر الاقتصادي الذي يكسبها ثقتها بنفسها ، وحريتها الشخصية .. ولا نريد مناقشة هذا القول هنا .. إنما الذي نريده : أن نبيِّن خطورة ما جناه عمل المرأة على الأسرة وعلى

كلمة

فقه التغير في أساليب التربية

□□ يروى عن الإمام علي بن أبي طالب ، كرَّم الله وجهه أنه قال : « ربّوا أولادكم على غير تربيتكم ، فإنهم خلقوا لزمن غير زمنكم » .. ما أشد حاجتنا لفقه مدلول هذا القول .. ففي العصور المختلفة تتقلب الأحوال ، وتتغير مواقع الأشياء ، وتسود أعراف ، وتستحدث مؤثرات .. ولا يجدي لزوم الآباء والأمهات أسلوباً معيناً في التربية ، فقد يكون فرض الأمر بالعصا - في التوجيه - مجدياً في وقت ، إلاَّ أن هذا الأسلوب - مع أهمية العقاب في التربية - قد يُنفِّر الأبناء في عصر آخر يعطى للاقتناع دوره ، ويميل إلى بيان المحامد والمساوىء .

ولا يقتصر قول الإمام علي رضي الله عنه على أساليب التوجيه ، بل يتعدى ذلك ليشمل أيضاً طريقة حياة الأبناء جميعها ، ووسائل تثقيفهم ، ولهوهم ، ولعبهم ، وطريقة تعلمهم - بما لا يخرج بالطبع عن الضوابط الشرعية - فإذا كانت وسيلة التعلم في عصر ما تتم بالتلقي على يد عالم أو شيخ مثلاً ، ومع أهمية التلقي بهذه الطريقة في التعلم ، فإن المدارس النظامية - مع ما فيها من سلبيات - يجب ألاَّ يكون منهج الآباء في تربية وتعليم أبنائهم هو مقاطعتها ، بسبب أن هؤلاء الآباء لم يتعلموا في هذه المدارس .

ومع توافر وسائل إعلامية جديدة لم تكن موجودة يمكن للآباء - بالإشراف على أبنائهم واستخدام خير ما يعرض في هذه الوسائل الإعلامية - أن يحققوا تقدماً في توجيه وتثقيف الأبناء وتوسيع مداركهم .

إن فقه التغير في أساليب التربية لتحقيق الأهداف الثابتة ، وإدراك الآباء والأمهات لهذا الفقه ، يعد ضرورة داخل الأسرة المسلمة ، سواء أكان ذلك الإدراك للآباء أم للأمهات □□

معاول الهدم في الأسرة المسلمة

الطفولة خاصة .

خرجت المرأة إلى العمل ، وأصبح البيت حديقة مهجورة وعلى بعض أشجارها طيور يتيمة محرومة من الأب والأم .. لأن الأب والأم مشغولان بأهم من مجرّد حضانة الأطفال .. لقد أصبحت البيوت عبارة عن محطة استراحة للزوجين ، أما الأولاد فعلاقتهم بالآباء علاقة حسن الجوار ، أو علاقة الضيوف الصغار بأهل البيت ، أو علاقة المستأجرين بأصحاب العمارة .. وحرم الأطفال من العناية والرعاية والحنان بعد أن أسلموا إلى دور الحضانة لتقوم بتربيتهم ..

وقد أثبتت تجارب محاضن الأطفال أن الطفل الذي يتناوب تربيته عدة حاضنات تختل شخصيته وتتفكك ، كما أن الطفل الذي يشاركه في حاضنته أطفال آخرون في مثل سنّه لا تنمو في نفسه مشاعر الحب والحنان والتعاون .. تقول « آنّا فرويد » في كتابها « أطفال بلا أسر » : « من أول ما أثبتته تجارب محاضن الأطفال أن الطفل في العامين الأولين من عمره يحتاج حاجة نفسية فطرية إلى الاستقلال بوالدٍ له خاصة ، والاستقلال بأم لا يشاركه فيها طفل آخر ، وبعد هذه السن يحتاج حاجة فطرية إلى الشعور بأن له أمّاً وأباً مميزين ينسب إليهما .. والأمر الأول متعذر في المحاضن ، والأمر الثاني متعذر في غير نظام الأسرة ، وأي طفل يفقد أحد الوالدين ينشأ منحرفاً شاذاً مريضاً مرضاً نفسياً على نحو من الأنحاء »[1] .

وفي مجلة الأزهر ـ العدد السادس لسنة ١٩٧٧م ـ كتب الدكتور « عبد الودود شلبي » ما يلي : « في مكان ما .. اجتمع أكثر من أربعين فتى وفتاة يرجون الشفاء من أمراضهم النفسية .. ومن بين هؤلاء وقف شاب يتقلّص ويصرخ ويحرك قبضته في الهواء في كل اتجاه ويقول : أنا لا شيء .. إنني أخاف من كل شيء .. أكره كل شيء حتى والدتي .. » .

إرضاع الطفل صناعياً

لقد أفسد خروج المرأة إلى العمل كل شيء .. حتى فطرة المرأة نفسها التي أحجمت عن إرضاع طفلها طواعية أو نتيجة تصلّب غددها التي تصنع الحليب ـ بالرغم من التحذيرات الشديدة التي لا تزال توجهها الهيئات الطبية العالمية من انقطاع الأم عن الرضاعة الطبيعية للأطفال ؛ لما لحليب الأم من فوائد لا يمكن مقارنتها بالحليب الصناعي ـ فقد أعلنت الدكتورة « باميلا ديفتر » الباحثة بمعهد أبحاث الطفل بمدينة لندن تحذيراً للأمهات من إرضاع أطفالهن لبن الأبقار ، وما في مستواها ، وقالت : « إن هذه الألبان تحتوي على نسبة عالية من الدسم الذي يصلح لعجول الماشية وحدها ؛ بينما ضرره يلحق بالطفل الرضيع ؛ لأنه يؤدي إلى الإفراط في السمنة ، ويفتح الطريق في جسم الطفل إلى أمراض القلب ، وإن الرضيع الذي يعتمد على اللبن الصناعي أكثر تعرضاً للإصابة بإكزيما الجلد أو الربو وأمراض الجهاز التنفسي الأخرى .. والأهم أنه يشبّ أنانياً جافاً غليظ القلب قاسياً قليل التعاطف ، يفتقر إلى الارتباط الوجداني على نطاق واسع »[2] .

لقد غاب عن أمثال هذه الأم أن عملية إرضاع الطفل ليست عملية تغذية لجسمه فقط ، وإنما هي تغذية للجسم وتغذية للوجدان أيضاً ؛ لأن الصبي وهو يحتضن ثدي الأم يجد من الشعور بالدفء والاطمئنان والارتياح ما يملأ نفسه بهجة وانبساطاً لا يملؤها بهما تدفق اللبن وحده إلى معدته ..

عجز الأم العاملة عن التربية الناجحة

أما النوع الثاني من الأمهات اللاتي تطوعن لتربية أبنائهن في البيت فأكثرهن غير مؤهلات تماماً لأداء وظيفتهن بالكامل .. فهن إمّا أمٌ جاهلة تماماً لا تدري من شؤون التربية شيئاً ، تعامل أطفالها معاملة تكاد لا تتعدى نطاق ما تمليه الغرائز البدائية ، وإمّا أمّ نصف مثقفة نجدها تبالغ في العناية بجسم الطفل وملابسه وفراشه ولا شيء بعد ذلك ، لأنها تكرس الجزء الأوفر من وقتها للاعتناء بزينة وجهها وزينة ملابسها ومتابعة آخر تقليعات الموضة والثرثرة مع جاراتها .. وإمّا أمّ خالية من الإيمان تربَّت على أيدي مدارس التنصير ، فينشأ أطفالها على عقيدتها .. يقول « مورو بروجو MORO BERGER » اليهودي في كتابه (العالم العربي اليوم) : « إن المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين ، وأقدر أفراد المجتمع على جرّ المجتمع كله بعيداً عن الدين » وتقول المنصِّرة « آنا ميلغيان » في تقرير لها : « في صفوف كلية البنات في القاهرة ، بنات آباؤهن باشوات وبكوات وليس ثَمَّ مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وليس ثَمَّ طريق إلى حصن الإسلام أقرب مسافة من هذه المدرسة »[3] ، وجاء في كتاب « عمر فروخ » (التبشير والاستعمار) ما يلي :

« ... ومن أجل ذلك طلب المنصِّرون الأمريكيون منذ عام ١٨٧٠م مبلغ (٣٠) ألف دولار لمدرسة دينية للبنات في بيروت ؛ وعللوا طلبهم هذا بقيمة المرأة في الحياة البيتية ، وبأن تلك المدرسة ستساعد على تنصير سورية في المستقبل » .

إن وجود مثل هذا النوع من الأمهات في مجتمعنا لا يقل خطورة عن النوع الأول .. إن وجودهن أوجد نوعاً من الأطفال فاقدي الهوية ، محطمي الشخصية ، يجهل أغلبهم لفظ الشهادة وحياة الرسول ﷺ ؛ بينما تاريخنا الإسلامي يروي لنا أمثلة عن الأمهات المسلمات اللواتي ينبغي أن نرفع لهن تحية إكبار ووفاء .

قال أبو قدامة الشامي : « كنت أميراً على قوم ، فدعوت الناس إلى الجهاد ، فجاءت امرأة بورقة وصرّة ، فإذا في الورقة : إنك دعوتنا للجهاد ولا قدرة لي ، وهذه الصرّة فيها ضفيرة شعري فخذها ، ولعلّ الله يرحمني بذلك .. قال أبو قدامة : فلما صادفنا العدو رأيت صبياً يقاتل فزجرته رحمة به ، فقال :

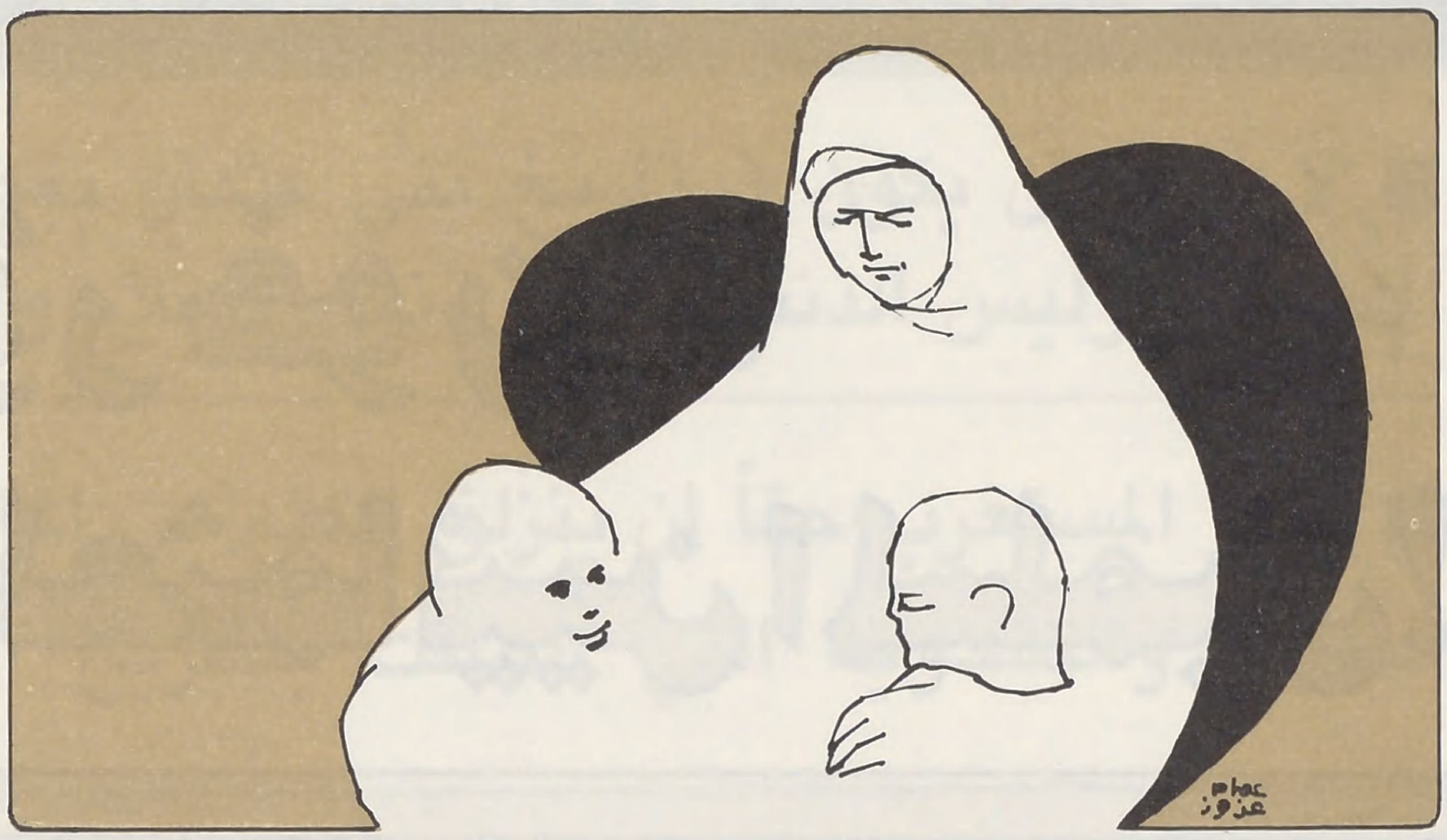

كيف تأمرنا بالرجوع وقد قال تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴾ ؟ ، ثم قال الصبي لي : أقرضني ثلاثة أسهم .. فقلت بشرط إنْ مَنَّ الله عليك بالشهادة أن أكون من شفاعتك ، قال نعم ، فقَتَلَ الصبي ثلاثة من العدو ، ثم أصابه سهم ، فقلت : لا تنس .. قال : لا ، ولكن لي إليك حاجة ، اقرىء أمي السلام وادفع لها متاعي ، فهي التي أعطتك ضفيرة شعرها » ثم قال أبو قدامة : رجعت إلى أمه ، فقالت : أتعزيني أم تهنئني ؟ فقلت ما معنى ذلك ؟ فأجابت : إن كان مات تعزيني وإن كان قُتل تهنئني »(٤) .

خطورة الزواج بغير المسلمة على تربيـــة الأولاد

أما النوع الثالث من الأمهات وهو الأخطر بكثير فهنَّ هؤلاء الأمهات النصرانيات .. إن أعداداً كبيرة من أبنائنا الذين سافروا إلى أوروبا وأمريكا للدراسة أو للعمل ، قد فضَّلوا الزواج من بنات البلد الذي يعملون فيه ؛ حتى يضمنوا بعض حقوقهم المدنية هناك ، أو ليسدوا بعض احتياجاتهم المالية التي سافروا من أجلها .. ولا شك أن مثل هذه الأم ستعمل على زرع كراهية الإسلام والمسلمين في قلوب أبنائها ، أو ستعمل على إبعادهم عن تعاليم إسلامهم على الأقل .

وإذا ركزنا حديثنا على المرأة ، فإن ذلك لا يعني أن الرجل بمعزل عن هذا الخطر ، بل لأن المرأة هي الأقرب إلى حياة الطفل من غيرها ، وهي التي ترسم في حياة الطفل بصمات شخصيته الأولى ، وبالتالي نوع المجتمع المستقبلي ..

تعاليم المرأة المعاصرة بين الإيجابية والسلبية

وإنه لمن المؤسف جداً أن نرى تعليم البنت في بلادنا لا يختلف تماماً عن التعليم الذي يتلقاه الشاب ، دون احترام لشخصية كل منهما وتكوينه الفسيولوجي وواجبه المستقبلي .. فلا عجب أن نرى الفتاة تطالب بالعمل نفسه الذي يحصل عليه زميلها الرجل ما دام الاثنان قد تلقيا التعليم نفسه ؛ وقد تكون هي المتفوقة في الامتحان .. إن تعليمنا يتجه نحو محو شخصية البنت التي ستكون أمّاً وربّة بيت ، وتزيد وسائل الإعلام الغربية في دفعها إلى التمرد ، وقد ظهر لدينا نساء يتنكرن لواجبهن المقدس ؛ يرددن شعارات جوفاء ، وما درين أنهنَّ قد وقعن في شراك نصبوها لهن بإحكام .

كيــف السبيــل لأسرة مسلمة ناجحة

أمام استفحال هذا الخطر الذي ما ينفك ينخر أسس الأسرة المسلمة ، ويدك كيانها دكّاً ، لا يسعنا إلَّا أن نرفع أصواتنا بالتحذير ، وندعو كل ذوي الضمائر الحية في حكومات البلاد الإسلامية إلى الوقوف إلى جانب الصحوة الإسلامية للتصدي لهذا الخطر ، والعمل على تجاوزه عبر برامج عمل مكثفة ومدروسة بوعي وإخلاص ، الخص بعض عناصرها في ما يلي :

- إعادة النظر في برامج التعليم في بلادنا في مراحله جميعها ، فنعطي للبنت تعليماً نراعي فيه شخصيتها الأنثوية وتكوينها الفسيولوجي ، ويؤهلها لأن تصبح أمّاً وربة بيت .
- أن نعمق التعليم الإسلامي في مدارسنا ونصبغ به دروسنا جميعها ؛ فيكون لأبنائنا حصناً يقيهم شر الذوبان في الغرب والانبهار بمنجزاته .
- أن نخصص للأسرة دروساً في تعليمنا ، تعطى للبنات والفتيان على السواء ؛ تعمق لديهم مفهوم الأسرة وقيمتها في المجتمع وواجبات كل واحد كما حددها الإسلام ...
- أن نقدم لأبنائنا وبناتنا عبر المسلسلات التلفزيونية التي تدخل بيوتنا يومياً ، وعبر القصص المقروءة ، المثل القدوة للأسرة المسلمة ، وإذا اضطررنا إلى عرض نماذج من الأسرة الغربية فذلك بقصد نقدها والبحث عن مكمن الفساد فيها .
- أن نحدّ من زواج أبنائنا بغير المسلمات وذلك بتوعيتهم قبل سفرهم إلى الخارج وإشعارهم بأن ما يفعلونه يعد جرماً في حق عقيدتهم وحق أوطانهم .
- أن نمتن الصلة بأسر أبنائنا المهاجرين في البلاد الغربية عبر الجمعيات الإسلامية والثقافية الموجودة هناك حتى لا يشعروا أنهم مقطوعون عن أصلهم ودينهم وحتى لا يكونوا فريسة سهلة في أيدي المتربصين .
- أن نحد من خروج المرأة إلى العمل إلَّا عند الضرورة القصوى ، ونشجعها على البقاء في البيت ؛ وذلك بمنحها مرتباً محترماً مقابل بقائها بالمنزل ، وقد لاقى هذا الإجراء قبولاً حسناً لدى النساء العاملات في بعض البلدان الغربية .

المـــراجع

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب .

(٢) مجلة منار الإسلام ، العدد ٣ ربيع الأول ١٣٩٨هـ .

(٣) مجلة المدرسة المفتوحة ، العدد ٣٠ : محمد الهادي بو زيان .

(٤) حسن التومي : الطفولة في الإسلام .

من أجل قراءة منصفة لتاريخ الدولة العثمانية

أيها المؤرخون .. لا تظلموا العثمانيين المسلمين!

■■ قبل أن يدخل الأتراك العثمانيون في الإسلام ، لم يكونوا موضع اهتمام جاد من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين ، فلم يرد ذكرهم إلا من خلال إشارات عابرة .

وحين دخل الأتراك العثمانيون في الإسلام ، انقلبت الصورة ، وأصبحوا محط أنظار المؤرخين المسلمين وغير المسلمين ، بيد أن المؤرخين من غير المسلمين أبدوا اهتماماً ملحوظاً بدراسة تاريخ الأتراك العثمانيين المسلمين .

ولأول وهلة يخيل للمرء أن اندفاع المؤرخين من غير المسلمين في دراسة تاريخ العثمانيين المسلمين ، كان ينطلق من منطلق علمي سليم ، هدفه تتبع العثمانيين المسلمين بأمانة علمية منصفة ، ولكن ما أن يطلع المرء على ما أفرزته جهود المؤرخين من غير المسلمين من دراسات عن تاريخ العثمانيين المسلمين ، حتى يكتشف أن الغالبية العظمى منهم قد تجاهلوا ، وتناسوا ، مقتضيات الأمانة العلمية ، والإنصاف ، بل أطلقوا العنان لأحقادهم الظاهرة والباطنة ، لتكون هي المنطلق الذي ينطلقون من خلاله في تشويه تاريخ العثمانيين المسلمين وإلصاق عشرات الافتراءات التي لا تسندها أية بينات تاريخية ، بالأتراك العثمانيين المسلمين

ولئن كنا لا نستغرب أن تصدر مثل تلك الافتراءات عن أقوام فضح الله عز وجل نواياهم تجاه الإسلام والمسلمين في قوله تعالى جل شـأنه :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران : ١١٨) ■■

ولئن كنا لا نستغرب أن يحمل الحقد الأسود أولئك المؤرخين على تجاهل ، وتناسي ، أبسط قواعد مقتضيات الأمانة العلمية في عملية التاريخ للأتراك العثمانيين المسلمين ، فإن الذي نستغربه أشد الاستغراب ، بل ونستهجنه بشدة ، أن ينزلق الكثير من المؤرخين المسلمين ، في حماة عملية التزوير ، والتشويه ، والبهتان ، التي ألصقت بتاريخ العثمانيين المسلمين ..

من ذلك مثلاً ، تلك الفرية اللئيمة التي لا يكاد يخلو منها إلا النذر اليسير من الكتب التي تؤرخ للعثمانيين المسلمين ، والتي تزعم أن السلاطين العثمانيين كانوا يملكون الحق ، بموجب فتوى شرعية إسلامية ، في قتل من يشاؤون من إخوانهم أو بني رحمهم ، أو أقاربهم ، بحجة الحفاظ على وحدة المسلمين ، ولقطع الطريق على أية فتنة يمكن أن تبرز إذا حاول أحدهم المطالبة بالسلطة لنفسه .

وكان آخر ما وقع عليه نظري من ترديد لهذه الفرية ، ما جاء في مقال للأستاذ إبراهيم محمد الفحام في عدد المحرم ١٤٠٢هـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨١م من مجلة العربي التي تصدر في الكويت ، حيث ذهب إلى القول بأن السلاطين العثمانيين الجدد اعتادوا عند توليهم مقاليد السلطة أن يقتلوا إخوانهم جميعاً ، ليأمنوا محاولات اغتصاب الملك ، وأن هذه الظاهرة تكررت مراراً في تاريخ الدولة العثمانية حتى شمل القتل الإخوة الأصاغر سناً .

ولئن كنت لا أنفي ، ولا أنكر ، وقوع العديد من حوادث التصارع بين بعض السلاطين العثمانيين وبين بعض إخوانهم ، بل وأحياناً بينهم وبين أبنائهم ، وأن بعض هذه الصراعات كانت تنتهي بمقتل أحد الأطراف المتصارعة ، إلا أنني أنفي ، وبكل شدة ، وبإصرار ، ما يزعمه الزاعمون من وجود فتوى شرعية إسلامية تبيح لكل سلطان عثماني جديد أن يقتل من يشاء من إخوانه ، أو بني رحمه ، بحجة المحافظة على وحدة المسلمين ، منعاً لوقوع الفتنة .

أقول هذا ... وأتسـاءل :

أليس من مقتضيات أمانة التوثيق العلمي والتاريخي ، أن يُقدَّم بين يدي أية رواية تاريخية بالبينات التي تدعم صحتها ، من تحديد للأسماء ، والأمكنة ، والأزمنة ، وتبيان سلسلة الرواة الذين تناقلوا الرواية ، إلى أن وصلت إلى راويها الأخير .. ؟

ثم ، أليس من مقتضيات أمانة التوثيق العلمي والتاريخي ، أن لا يُكتفى بالتعميم المبهم ، بعبارات مبهمة ، في رواية تحمل تهمة خطيرة لشعب بأسره هو الشعب التركي المسلم ، بل الأمة بأسرها ، هي أمة الإسلام ، بل للإسلام ذاته الذي كان العثمانيون يحملون لواءه ويمثلونه آنذاك .. ؟

أين نص الفتوى الشرعية التي يزعم الزاعمون أنها تبيح للسلاطين

بقلم : زياد محمود أبو غنيمة

■ لا أنفي أن يكون في تاريخ بني عثمان بعض الأمور التي لا يقرها الإسلام ، وليس الذنب في ذلك ذنب الإسلام وإنما ذنب المسيء نفسه .

■ الأمر المستغرب حقاً أن ينزلق الكثير من المؤرخين المسلمين في عملية التزوير والتشويه التي أُلصقت بتاريخ العثمانيين المسلمين .

العثمانيين قتل بني رحمهم من غير أي مسوغ شرعي .. ؟

أين أسماء العلماء المسلمين الذين افتوا الفتوى المزعومة هذه ؟

وفي زمن أي من سلاطين بني عثمان على التحديد ، صدرت ؟

لقد قرأت بضعة وعشرين مرجعاً ، عربياً وتركياً وانجليزياً ، تؤرخ للعثمانيين المسلمين ، فما وجدت من بينها مرجعاً واحداً يذكر نص الفتوى المزعومة ، أو يذكر اسماً لعالم واحد تنسب الفتوى إليه ، بل لقد اكتفى كل مرجع عند ذكر هذه الفرية بسردها وكأنها يقين لا يرقى إليه شك ، فلا يحتاج إلى توثيق .

وقبل أن أتحدث بشيء من التفصيل عن تلك الأحداث التي تشبث بها الزاعمون ليرفدوا بها فريتهم ، يجدر بي أن أؤكد أن الإسلام يرفض رفضاً قاطعاً هذا الهراء ، ولا يقبل مطلقاً أن تهون حياة المسلم ، أي مسلم ، إلى درجة تباح فيها حياته لمجرد شبهة ، أو من أجل وساوس وأوهام تتستر وراء الزعم بالغيرة على جماعة المسلمين من أن تقع في فتنة مزعومة لم يقم على وقوعها ، أو على مجرد الشك بوقوعها دليل شرعي .

إن **طبيعة الإسلام** ، وأخلاق الإسلام ، وإنسانية الإسلام ، **ترفض** رفضاً قاطعاً **أن تصدر باسم الإسلام فتوى تبيح لأي إنسان مهما بلغ شأنه ، ان يقتل مسلماً إلا في الحالات التي نص عليها الشرع : الثيب الزاني ، والمفارق لدينه التارك للجماعة (المرتد) ، والقاتل عمداً (النفس بالنفس) .**

ألا ، وإن كل مسلم مهما كان مستوى علمه ، يعلم أن قتل النفس ، أي نفس ، محرم في شرع الله عز وجل إلا ضمن الحدود التي حددها الله عز وجل .

ولقد ندد الله عز وجل أيما تنديد ، بتلك الجريمة التي اقترفها **قابيل ابن سيدنا آدم** عليه الصلاة والسلام ، يوم طوعت له نفسه قتل أخيه هابيل فقتله :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّـكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَـافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَـوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (المائدة:٢٧-٣١) .

بل إن الله عز وجل ، لم يكتف بالتنديد بجريمة **قابيل** ، بل جعلها منطلقاً لحكم رباني يؤكد حرمة النفس البشرية تأكيداً قاطعاً لا لبس فيه ولا غموض :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَـادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (المائدة:٣٢) .

تلك هي الحقيقة ، حقيقة تؤكد براءة الإسلام من تلك الفتوى المزعومة ، وتؤكد رفض الإسلام لهذا الهراء .

فمن أين جاءت هذه الفرية إذن .. ؟

وما هي دوافعها ، وماذا يقصد مروجوها من ورائها .. ؟

أما الدوافع التي تكمن وراء ترويج هذه الفرية ، فلا أملك إلا أن أقول : **إنها نابعة من الحقد الأسود الذي تمتلىء به قلوب العديد من المؤرخين الصليبيين من أعداء الإسلام ، ضد الإسلام والمسلمين ..**

فلقد انتهز بعض المؤرخين الصليبيين الحاقدين ، وقلدهم في ذلك عن قصد أو عن غير قصد ، بعض المؤرخين الذين يحملون أسماء إسلامية ، وقوع بعض حوادث الصراع الدموي على السلطة في الدولة العثمانية ، وهو أمر لم تسلم منه أمة من الأمم على مدار التاريخ ، فوجدوا في تلك الأحداث متنفساً لينفثوا من خلاله أحقادهم الدفينة ضد الإسلام والمسلمين ، فوجهوا سهام افتراءاتهم ضد العثمانيين المسلمين ، وهم في حقيقة الأمر يوجهونها إلى الإسلام الذي كان العثمانيون يمثلونه آنذاك .

أقـــول هذا ، وبين يدي أكثر من دليل .

أبدأ بحادثة **مقتل الأمير دوندار عم السلطان عثمان** ، وهي حادثة أوردها المؤرخ التركي المعاصر **إسماعيل حامي دنشمند** في كتابه « **موسوعة التاريخ العثماني** » الذي ألفه عام ١٩٤٥م ، أي في الوقت الذي كانت فيه أنواء **الردة الأتاتوركية في أصخب حالات هبوبها على تركيا** ، بكل ما تحمله من مشاعر العداء للعثمانيين المسلمين ، وزعم فيها أن **عثمان بن أرطغرل استشار عمه دوندار البالغ من العمر تسعين عاماً ، في أمر عزمه على محاربة البيزنطيين ، فعارضه عمه في الراي ، فلم يتحمل عثمان معارضة عمه ، فقام بإعدامه بيده برميه بسهم انتقاماً منه بسبب هذه المعارضة .**

ولئن كانت هذه الرواية بنصها هذا من الضعف بحيث خلت منها معظم المراجع التي تؤرخ **لعثمان بن أرطغرل** ، ولئن كان من أدلة ضعفها أن **إسماعيل حامي دنشمند** لم يوثِّق روايته لهذه الحادثة بإيراد اسم المرجع ، أو اسم المؤرخ الذي نقل عنه الرواية ، فإن الحاقدين على العثمانيين المسلمين ، بل على الإسلام الذي يمثله العثمانيون ، تلقفوا هذه الحادثة ، ونسجوا من حولها من سواد حقدهم ما لا تحتمل ، فزعموا ، وبئس ما زعموا ، أن عثمان قتل عمه دوندار بناءً على فتوى شرعية تبيح له قتله خشية أن يزاحمه على السلطنة ، مما قد يؤدي إلى وقوع الفتنة بين المسلمين .

ولئن كان من الإنصاف أن نشير إلى أن ما نقلته معظم المراجع الموثوقة التي أرَّخت **لعثمان بن أرطغرل** ، عن شدة تعلق **عثمان بأحكام الشريعة الإسلامية** ، وعن التزامه الصادق بالإسلام ، عبادة ، وخلقاً ، وتواضعاً ، وما نقلته عن توقيره الشديد لعمه الشيخ الكبير دوندار ، يجعلنا نستبعد تصديق مقولة أن **عثمان قتل عمه لمجرد معارضته له في الراي** ، ويجعلنا على يقين أنه ما فعل ذلك **إلَّا لسبب جلل ، اكبر من مجرد الاختلاف في الراي .**

ويرسخ قناعتنا ما أورده المؤرخ التركي المعاصر **قادر مصر أوغلو في** كتابه : **« مأساة بني عثمان » المطبوع في استانبول عام ١٩٧٩م ، في** وقت كانت المشاعر الإسلامية في تركيا تشهد فيه شيئاً من أشكال الحرية التي تستطيع معها أن تعبر عن حقيقة رفضها لمشاعر العداء التي حاولت الردة الأتاتوركية ترسيخها ضد العثمانيين المسلمين في نفوس الأتراك .

ففي كتابه ذلك ، ينقل **قادر مصر أوغلو** ، عن المؤرخ التركي **خير الله افندي الذي عاصر عثمان بن أرطغرل** ، أن دوندار كان طرفاً في مؤامرة اتفق على تدبيرها بالتعاون مع حاكم مدينة « **بيله جك** » البيزنطي ، تستهدف **اغتيال عثمان** ، تمهيداً **لوثوب دوندار إلى الزعامة خلفاً لعثمان** ، فلما انفضح أمر المؤامرة ، أصر عثمان ، وهو الحريص على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، على تنفيذ حكم الله في عمه جزاء اقترافه لجريمة موالاة أعداء الإسلام ، والتآمر معهم ضد جماعة المسلمين .

وتلك لعمري ، نقطة بيضاء ، ووقفة شماء شامخة ، تُسـجَّل في حسنات **عثمان بن أرطغرل** ، إذ أكد من خلال حرصه على تطبيق شرع الله في عمه ، على صدق التزامه

بالإسلام ، وصدق خضوعه لحكمه ، وصدق تفضيله لوشيجة العقيدة ، وارتباطه بها ، فوق وشيجة الدم والقرابة .

تلك هي حقيقة قصة السلطان **عثمان بن ارطغرل مع عمه دوندار** ، تتهاوى أمامها أباطيل الحاقدين وأراجيف المرجفين .

أما قصة السلطان **مراد بن أورخان مع ولده الأمير ساوجي ، فهي أيضاً** علامة بارزة تؤكد صدق التزام مراد بالإسلام ، وصدق خضوعه لأحكام شريعته .

ففي الوقت الذي كان السلطان **مراد** يواجه أشرس الحملات المتلاحقة التي تمثلت في العديد من الأحلاف الصليبية التي تجمع تحت ألويتها ملوك وأمراء **المجر والصرب والبلغار والأرناؤوط (ألبانيا)** ، بمباركة من **بابا روما أوربيان الخامس** ، وبتحريض سافر منه [٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م] .

وفي الوقت الذي كان فيه السلطان **مراد** يواجه فيه خطراً تمثل في قيام الأمير الإيطالي **أميديو** بتجميع جيش من الإيطاليين تحت شعار الانتقام للصليب من العثمانيين المسلمين [٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م] .

وفي الوقت الذي ازداد فيه الخطر ضد الدولة العثمانية المسلمة ، بقيام **امبراطور بيزنطية يوانيس** الخامس بزيارة روما عام [٧٧١هـ/ ١٣٦٩م] مستنجداً بالبابا ضد العثمانيين المسلمين ، ومعلناً تحوله عن مذهبه **الأرثوذكسي إلى المذهب الكاثوليكي في محاولة لاسترضاء بابا روما** لإقناعه بمده بالنجدة التي يطلبها ضد العثمانيين المسلمين .

وفي الوقت الذي كان السلطان **مـراد** يواجه خطراً داهماً جديداً تمثل في نجاح البابا بتجنيد أكثر من **ستين ألف مقاتل صليبي** بقيادة ملك بلاد الصرب الجديد **ووقاشتين** [٧٧٣هـ/ ١٣٧٠م] .

في ذلك الوقت كان السلطان **مـراد** لا يكاد ينجح في التغلب على إحدى مكائد الأعداء ، حتى يواجه مكيدة أخرى ، كان ولده الأمير **ساوجي** يتآمر سراً مع الأمير البيزنطي **أندرونيقوس** ، الابن الثاني للامبراطور **يوانيس** ، لتدبير مؤامرة للإطاحة بالسلطان مراد ، وتسليم السلطة للأمير ساوجي ، وسرعان ما انتقلت المؤامرة من مرحلة التدبير ، إلى مرحلة التنفيذ ، فسار الأميران **ساوجي وأندرونيقوس** على رأس جيش كانت غالبية جنوده من **البيزنطيين** ، وتمركزا بجيشهما في منطقة لا تبعد كثيراً عن **القسطنطينية** ، فسارع السلطان مراد لملاقاتهما ، فما كاد يقترب منهما حتى خارت معنويات المتآمرين ففر الجنود **البيزنطيون من أنصار أندرونيقوس** ، ولجأ الجنود **العثمانيون** من أنصار الأمير **ساوجي** إلى جيش أبيه السلطان **مـراد** ، فأصبح **ساوجي وأندرونيقوس** من غير جيش ، فلم يجدا أمامهما مفراً من الهرب ، ففرا إلى مدينة « **ديموقة** » ، فلحق بهما السلطان **مـراد** ، واضطرهما إلى الاستسلام .

وجمع السلطان نخبة من القادة والعلماء والقضاة لمحاكمة ولده **ساوجي ، فحكموا** عليه بالموت جزاء خروجه على طاعة ولي الأمر ، وجزاء موالاته للكفار أعداء الإسلام والتحالف معهم قولاً وفعلاً في محاربة المسلمين .

وأمر السلطان **مـراد** بتنفيذ حكم الشرع في ولده ، مسجلاً بذلك صدق ولائه لحكم الشريعة ، وصدق التزامه بالإسلام ، ولكأني به وهو يفعل ذلك ، كان يستشعر قوله تعالى عز وجل :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:٢٢) .

ولقد كان من الطبيعي أن يستغل الحاقدون حادثة مقتل **سـاوجي ، فتلقفوها** وطفقوا ينسجون من حولها الأقاويل والافتراءات ليرفدوا من خلالها فريتهم عن الفتوى الشرعية المزعومة التي تبيح للسلطان العثماني المسلم قتل من يشاء من بني رحمه .

وكان من الطبيعي أن يشتط الحقد بأعداء الإسلام ، فينفثوا حقدهم ضد السلطان **مـراد** ويتهمونه بالوحشية ، وتحجر عاطفة الأبوة في قلبه ، وما دروا أن صدق الالتزام بالإسلام يجعل وشيجة العقيدة فوق كل وشيجة ، **وصلوات الله وسلامه على نبينا محمد** الذي علم المسلمين هذه الحقيقة الإيمانية ، حين قال : « **والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » .

وأنتقل إلى حادثة قتل السلطان **بايزيد بن مـراد** (الصاعقة) لأخيه الأصغر **يعقـوب** ، فلا أجد غضاضة في تأكيد وقوعها ، ولا أجد حاجة إلى محاولة تبريرها ، فقد استهل **بايزيد** عهده فعلاً بارتكاب جريمة بشعة حين أقدم على قتل **أخيه الصغير يعقوب** ، بتحريض من بعض أنصاره الذين طفقوا يوغرون صدره ضد أخيه ، الذي كان شجاعاً ، قوي الشخصية ، ووجدت وشاية المغرضين هوى في نفس **بايزيد** الذي خشي أن يزاحمه **يعقوب** على السلطنة ، واشتطت به وساوسه حين أخذ الوشاة يذكرونه بأن جده **أورخان بن عثمان** ولي السلطنة رغم كونه الأصغر سناً من أخيه الأمير **علاء الدين** .

ولئن كنت أنكر أن **بايزيد** قد ارتكب جريمته البشعة فعلاً ، بعد أن غلبه هواه ، وزينت له وساوسه أن يقترف تلك الجريمة ، وطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله . **فالجريمة يتحمل وزرها بايزيد وحده ، وليس من العدل ولا من المنطق أن يزج بالإسلام في عملية تبريرها** .

وينبغي أن أشير هنا إلى أن الجفاء كان مستحكماً بين العلماء والسلطان **بايزيد** ، لدرجة استبعد معها أن يجد **بايزيد** عالماً واحداً يستجيب له فيصدر تلك الفتوى التي ينسب استصدارها في بعض المراجع إلى **بايزيد** .

ولقد بلغ من حدة ذلك الجفاء ، أن العالم المؤمن القاضي **شمس الدين محمد حمزة الفناري** ، رد شهادة السلطان **بايزيد** في إحدى القضايا ، فلما راجعه **بايزيد** في ذلك ، أجابه القاضي المؤمن بأنه رد شهادته لأنه تارك لصلاة الجماعة .

بل لقد بلغ الجفاء بين العلماء والسلطان **بايزيد** إلى حد أقرب ما يكون إلى القطيعة بسبب استنكارهم لوقوعه تحت سيطرة وتأثير زوجته النصرانية الأميرة « **أوليفيرا** » شقيقة ملك الصرب لازار ، وتماديه بتحريض منها على إدمان شرب الخمر ، وإقامة حفلات اللهو ، ويذكر المؤرخ التركي المعاصر **إسماعيل حامي دنشمند** في كتابه « **موسوعة التاريخ العثماني** » . أن بايزيد ذهب ليتفقد العمل في بناء مسجد « **أولو جامع** » في بورصة ، وكان قد أوشك بناؤه على الانتهاء ، فالتقى خلال تجواله في المسجد بالعالم المؤمن **محمد شمس الدين البخاري** ، فسأله على مسمع من الناس عن رأيه في بناء المسجد ، وهل يرى في البناء أي نقص .. ؟ ، فأجابه العالم المؤمن بجواب ساخر يحمل بين طياته مشاعر عدم الرضى عن سيرة **بايزيد** المنافية للإسلام ، فقال له : **بالنسبة لنا نحن المسلمين ، فإننا لا نجد أي نقص في بناء المسجد ، أما بالنسبة إليك يا بايزيد ، فإنني أخشى أن تكون قد نسيت أن تضع خزانة تحفظ بها خمورك بجانب المحراب** .

أفيعقل بعد هذا ، أن يجد بايزيد ، عالماً واحداً يفتي له بقتل أخيه من غير مسوغ شرعي ..؟!!

ولقد وجد الحاقدون رافداً جديداً يدعمون به فريتهم فيما وقع من صراع دموي بين أبناء **بايزيد** الصاعقة ، حين قتل **محمد بن بايزيد إخوته عيسى ، ثم سليمان ، ثم موسى ، لينفرد بحكم السلطنة** .

ولئن اشتط المغرضون في حقدهم فزعموا أن **محمد بن بايزيد قد قتل** إخوته بموجب تلك الفتوى الشرعية المزعومة ، فإن الحقائق التاريخية تؤكد أن ما جرى بين أبناء **بايزيد** من اقتتال دموي ، كان اقتتالاً مصلحياً من أجل الطموحات الشخصية لكل واحد منهم للجلوس على عرش السلطنة ، وليس من العدل والإنصاف أن يزج بالإسلام في هذا المقام .

وينبغي أن أشير إلى أن شهوة الجلوس على عرش السلطنة قد اشتطت بأبناء **بايزيد** لدرجة لم يجدوا معها غضاضة في الاستعانة بأعداء الإسلام من **البيزنطيين** ضد بعضهم بعضاً ، كما فعل **سليمان بن بايزيد** حين تنازل لملك الروم « **إيمانويل الثاني** » عن مدينة **سلانيك** وسواحل البحر الأسود مقابل الوقوف إلى جانبه ضد أخويه الآخرين **عيسى ومحمد** .

هذا ، وينبغي أن أشير إلى أن بعض المؤرخين المغرضين ، زعموا أن الفتوى الشرعية المزعومة التي تبيح للسلطان قتل بني رحمه من غير مسوغ شرعي ، هي تلك الفتوى التي أصدرها الشيخ سعيد أحد تلاميذ الشيخ **التفتازاني** ، والتي ورد نصها على النحو التالي : « **من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم ، ويفرق جمعكم ، فاقتلوه** » .

والحقيقة أن هذه الفتوى قد صدرت عام [٨٢٣هـ / ١٤٢٠م] كما يورد المؤرخ التركي **عبد القادر داده أوغلو** في كتابه « **التاريخ العثماني المصور** » ضد أحد قضاة العسكر وهو الشيخ **بدر الدين** ، الذي ثار على السلطان ، وتزعم حركة تنادي بإلغاء التفرقة بين الأديان ، وبتوزيع الأموال سواسية بين الناس ، وقد اندس في حركة الشيخ **بدر الدين** ، كما يروي **الأستاذ محمد فريد في كتابه « تاريخ الدولة العلية العثمانية** » عدد من اليهود والنصارى ، وعندما وقع **بدر الدين** في الأسر بعد معركة حامية الوطيس ، حوكم أمام هيئة من كبار العلماء والقضاة ، فصدرت بحقه الفتوى

أيها المؤرخون .. لا تظلموا العثمانيين المسلمين!

بنصها الذي أوردته آنفاً ، وبتوقيع الشيخ **سعيد** ، ويروي المؤرخ التركي المعاصر **إسماعيل حامي دنشمند** في كتابه : « **موسوعة التاريخ العثماني** » أن الشيخ **بدر الدين** قد وقع بنفسه أيضاً على الفتوى اعترافاً بذنبه ، وتم إعدامه شنقاً على ملأ من الناس في السوق الرئيسي في مدينة **سراز** .

ولقد وجد المغرضون مبرراً آخر لرفد بهتانهم بخصوص الفتوى المزعومة ، في حادثة إعدام السلطان **مراد الثاني لعمه مصطفى بن بايزيد** .

وحقيقة الأمر أن **مصطفى بن بايزيد** كان قد اختفى وانقطعت أخباره بعد هزيمة **بايزيد** (الصاعقة) في معركة **انقرة** أمام **تيمورلنك** ، ثم ظهر فجأة في زمن أخيه السلطان **محمد جلبي بن بايزيد** مطالباً بالسلطنة لنفسه ، واستنجد بأعداء الإسلام من البيزنطيين فأمدوه بالمساعدات ، وأوعزوا لأمير بلاد **الفلاخ** بإمداده بجيش كبير ، ولكن **مصطفى** فشل في تحقيق أي نجاح ، واضطر إلى اللجوء إلى **سلانيك** التي كان الأمير **سليمان بن بايزيد** قد أعادها إلى السيطرة البيزنطية مقابل وعدهم له بمساعدته ضد إخوته ، كما أسلفت قبل قليل ، واتفق السلطان **محمد جلبي** مع امبراطور **بيزنطيه** على إبقاء أخيه **مصطفى** في **سلانيك** تحت مراقبة الامبراطور ، مقابل مبلغ من المال ، واستمر الأمر على هذا النحو إلى أن ولي السلطنة **مراد الثاني بن جلبي** ، فتحرش به الامبراطور « **إيمانويل الثاني** » في محاولة منه لإعادة هيبة الامبراطورية ، وطلب منه عقد معاهدة يتعهد **مراد** بموجبها بعدم القيام بأية محـاولة لغزو **القسطنطينية** ، فلما وقف السلطان **مـراد** ، موقفاً حازماً في وجه « **إيمانويل** » ورفض مطالبه ، عمد « **إيمانويل** » إلى استدعاء الأمير **مصطفى** وأمده بعشر سفن حربية مدججة بالجنود والسلاح ، فتمكن **مصطفى** من الاستيلاء على مدينة وميناء **غاليبولي** ، ثم تمكن من التغلب على الجيش العثماني الذي أرسله السلطان مراد لمحاربته بقيادة وزيره **بايزيد باشا** ، فسار السلطان **مراد الثاني** بنفسه لملاقاة عمه **مصطفى** الذي لم يلبث أن وقع في أسر **مـراد** ، ليواجه عقوبة الإعدام شنقاً ، جزاء **خيانته لله ولرسوله وللمؤمنين** ، وهل من خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين أعظم من موالاة في جماعة المسلمين ، ينبري هؤلاء ليزعموا أن الإسلام يبيح للسلطان قتل بني رحمه كيفما يشاء ..؟

فريــة باطلــة ... وبهتان عظيم ..

وأجدني هنا مضطراً للتوقف وقفة أرد بها فرية خبيثة الصقت بالسلطان **محمد الفاتح** ، فقد درج بعض المؤرخين ، وهم يؤرخون لحياته ، على الزعم بأنه قام بقتل أخيه الرضيع **أحمد جلبي** بعد أيام قليلة من تسلمه مسؤولية السلطنة بعد وفاة أبيه السلطان **مراد** ، خشية أن يزاحمه على السلطنة ، ومن المؤسف أن هذا الزعم لم يقتصر على المؤرخين غير المسلمين ، وإنما وقع في أحبولته عدد من المؤرخين المسلمين .

ولئن كانت هذه الفرية التي الصقت بالسلطان **محمد الفاتح** تكاد تكون أوهن من بيت العنكبوت ، إلا أنني أجد من الواجب التوقف عندها ، وتفنيدها ، لكي لا يبقى بعد ذلك عذر لأي مؤرخ يحترم نفسه ، ويحترم شرف الكلمة التي يؤرخ بها ، أن يستمر في ترديد هذا البهتان العظيم ضد السلطان **محمد الفاتح** .

هل يعقل ان سلطاناً ولي السلطنة في عهد ابيه ، وتحت كنفه ، ثم وليها من بعد وفاة ابيه ، وقد اشتد ساعده ، ونضجت خبرته ، والتفت الامة من حوله تحوطه بالحب ، والطاعة ، هل يعقل ان هذا السلطان يغار من اخ له رضيع ، فيخشى ان ينازعه على السلطنة ..؟ وكيف يتسنى لطفل رضيع ، وانى له ، ان ينازع على السلطنة ، وهو الرضيع الذي إن تاخرت امه عليه بالحليب يوماً مات جوعاً .

ثم ، هل يصدق إنسان عاقل ، أن **محمداً الفاتح** ، الذي تربى على مائدة القرآن ، على يد خيرة علماء عصره ، أمثال الشيخ **أحمد بن إسماعيل الكوراني** الذي كان الفاتح يسميه « **ابا حنيفة زمانه** » ، والشيخ **تمجيد اوغلو** ، والشيخ **محمد جلبي زاده** ، والشيخ **مولا إياس** ، والشيخ **الغـوراني** ، والشيخ **سراج الدين الحلبي** ، والشيخ **اق شمس الدين** ، يمكن **ان يفكر بمثل هذا الأمر الفظيع ...؟!!**

بل ، لنفرض جدلاً أن **محمداً الفاتح** كان يوجس خيفة أن ينازعه أخوه الرضيع على السلطنة ، أفما كان يستطيع أن يحتويه تحت كنفه ، ويربيه على الإخلاص له ، بدل أن يقتله ...؟

ولماذا يستبق **محمد الفاتح** الأمور فيقتل أخاه الرضيع ، وقد كان بإمكانه أن ينتظر وهو مطمئن البال بضعة عشر عاماً حتى يكبر أخوه ، فيتحقق من نوازعه ونواياه ...؟؟

من هنا نستطيع أن نتبين انتفاء المصلحة الشخصية للسلطان **محمد الفاتح** من قتل أخيه الرضيع .

ولننتقل الآن إلى مناقشة الطريقة التي تمت بها عملية القتل المزعومة ، فقد زعم مروجو هذه الفرية أن السلطان **محمداً الفاتح** أرسل أحد قواده ، واسمه **علي بك** ، إلى جناح النساء لقتل أخيه الرضيع ، فلما علم **علي بك** أن الطفل موجود في حمام النساء حيث تقوم مربيته بغسله ، اقتحم الحمام وأمسك بالطفل الرضيع وغطسه تحت الماء حتى مات مختنقاً غرقاً ...

هل يصدق عاقل ان محمداً الفاتح ، وهو الذكي المحنك ، يقدم على قتل اخيه الرضيع بهذه الصورة المكشوفة الساذجة ...؟ وهل كان عاجزاً عن تكليف إحدى النساء ، كزوجته ، أو إحدى خادماتها ، بتنفيذ عملية القتل دون إثارة انتباه أحد ، بدل أن يرسل رجلاً إلى جناح النساء وهو أمر غير مألوف ، بله أن يسمح بأن يقتحم هذا الرجل حمام النساء ، حيث يكنّ فيه متحللات من حجابهن ، ومتخففات من كثير من ملابسهن ، وفي ذلك ما فيه من خروج مستهجن عن المألوف ، من شأنه لو تحقق فعلاً أن يثير من هياج النساء ، وضجيجهن ، وصخبهن ، ما يضطر ذلك الرجل إلى الفرار قبل أن ينفذ مأربه ، مهما بلغت به الجراة والنذالة ؟

إذن ، **ما هي حقيقة هذه الفريـة ...؟؟**

الحقيقة هي أن المربية التي كان موكلاً إليها أمر العناية بالطفل الرضيع **احمـد** ، انشغلت عنه لبعض شأنها بينما كانت تغسله ، فوقع في حوض الماء ، فمات **مختنقاً غرقاً قبل أن تتداركه الأيدي التي امتدت لإنقاذه بعد فوات الأوان .**

وتصادف بعد غرق الطفل بأيام قليلة أن أحد ضباط الجيش ، واسمه **علي بك** ، ارتكب جريمة عقابها الإعدام ، فلما أعدم ، وجد الحاقدون مادة جديدة خيل إليهم أنها تدعم بهتانهم ، فطفقوا يزعمون أن **علي بك** هو الذي أغرق الطفل الرضيع **احمد** ، وأن السلطان **محمداً الفاتح** خشي أن يفشي هذا الرجل سره ، فقتله ، ومن هنا جاءت الفرية على النحو الذي أشرت إليه ، وينبغي الإشارة إلى أن « **إدوارد سي.كريسي** » يتبنى هذا الزعم في كتابه : « **تاريخ العثمانيين الاتراك** » المطبوع بالانجليزية في بيروت في عام ١٩٦١م ، ويدعي أن السلطان **الفاتح** أقدم على قتل الضابط **علي بك** متهماً إياه بقتل أخيه الرضيع **دون أن يكون للسلطان علم بذلك** .

ولو انهم توقفوا عند هذه الفرية وحدها ، لهان الأمر ، ولكنهم ما برحوا ان بدأوا ينسجون من حولها المزيد من الافتراءات ، فزعموا أن **محمداً الفاتح** ، لم يكتف بقتل أخيه ، بل أصدر قانوناً أعطى للسلطان الحق في قتل من يشاء من إخوته وأبنائه وأبناء عمومته وخؤولته ، لقطع الطريق على أي منهم أن ينافسه على السلطة .

ولقد أوضح المؤرخ التركي المعاصر **إسماعيل حامي دنشمند** في كتابه : « **موسوعة التاريخ العثماني** » الدافع الذي جعل السلطان **محمد الفاتح** يصدر هذا القانون فقال :

« حين وجد السلطان محمد الفاتح ان اكبر خطر يهدد الدولة العثمانية في الفترة التي سبقت توليه مقاليد السلطنة ، نجم عن تكرار حوادث الانشقاق التي كانت تقع بين الأمراء العثمانيين ، والتي كانت تصل في اكثر الاحيان إلى درجة الاقتتال ، وتؤدي إلى انقسام الدولة إلى فريقين او اكثر ، مما كان يؤثر على وحدة الدولة ، ويغري خصوم الإسلام بها ، فقد راى السلطان محمد الفاتح ، ان يضع قانوناً أسماه « قانون حفظ النظام للرعية » ، اكد بموجبه ان الموت سيكون مصير كل من يعلن العصيان المسلح ضد السلطان ، ويتعاون مع اعداء الإسلام ضد المسلمين » .

ويردف **إسماعيل حامي دنشمند** ، أن هذا القانون كان سبباً في انحسار ، أو على الأقل في تقليص حوادث العصيان المسلح ، التي كادت أن تصبح أمراً شائعاً في الدولة العثمانية قبل صدور هذا القانون .

وإن المرء لتتملكه الدهشة ، حين يرى أن كل دول الدنيا ، قديمها وحديثها ، لا تخلو قوانينها من مثل هذا القانون ، ومع ذلك لا تجد أحداً يعترض عليها أو يشوه مقاصدها ، كما يفعل المغرضون تجاه الدولة العثمانية ...!!!

وبعـــد ...

فإني احسب أن القارىء الفطن ، يدرك من خلال ما اوردت من حقائق ، ان الحاقدين إنما يهدفون من وراء التركيز على تحريف تاريخ الأتراك العثمانيين المسلمين إلى الإساءة إلى الإسلام ذاته ، من خلال الإساءة إلى الاتراك العثمانيين المسلمين ، حين يظهرونهم بمظهر القوم المتوحشين الذين انعدمت الرحمة من قلوبهم ، ومن خلال الإيحاء بان مسالة قتل السلاطين لإخوانهم كانت امراً عادياً مالوفاً عندهم .

اقــول هذا ، ولا انفي ، ان يكون في تاريخ بني عثمان ، وخاصة في عصورهم المتاخرة ، بعض الأمور التي لا تنسجم مع الإسلام ، وتتعارض مع احكامه ، وليس الذنب في ذلك ذنب الإسلام ، وإنما الذنب ذنب المسيء نفســه .

نحـــو وعي قـــرآني متجـــدِّد

■■ ساهمت مدرسة الإصلاح منذ ظهور (محمد إقبـــال) في إرساء دعائم فكر إسلامي مستنير ، وبعث جوانب من مذهبيته الخالدة إلى الوجود .

وقد اعتبرت كتب « تجديد الفكر الديني » لإقبال ، و « رسالة التوحيد » للشيخ محمد عبده و « فلسفتنا » للإمام محمد باقر الصدر أهم جهد عقلي صدر عن تلك المدرسة الفكرية التي عملت على إحياء المأثور من فلسفة الإسلام ، وربطه مع تطورات المعرفة الإنسانية في نواحيها المختلفة . ■■

بقلم : محمد بدر الدين بن حسن

حتمية المتابعة والإثراء

إن ذلك الجهد الهام يتطلب اليوم متابعة أخرى واعية لعرض دراسة متكاملة في المعرفة الإسلامية ، تنفذ إلى صميم فلسفة القرآن وجوهر الهدي النبوي للخروج بثروة حقيقية تزوِّد الإنسان بنظرة جديدة للكون والحياة ، وتمنحه معالم التربية الحقَّة والتشريع الأرقى . ولا مجال لاعتراض القائل بأن ذلك كلّه مسطور في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ .

فالمطلوب هو إحياء وبعث تلك الثروة الهائلة التي حولت طاقات معطلة في الجاهلية إلى فعالية حضارية سامية . وبكلمة أخرى : **إنه لا بد من الكشف الجديد والمستمر عن طبيعة الرؤية الإسلامية في التغيير وابعادها في الأنفس والآفاق .**

إن القرآن الكريم يقول :

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت : ٥١) .

إن الانتفاع الحقيقي بالقرآن يتجاوز مجرد القراءة والحفظ . ولكونه كتاب الحياة الأصلي ينبغي أن نحرص أنْ يمدنا بالحلول الصالحة لنا ، ولا يتحقق ذلك إلّا بالغوص العميق في بحاره النورانية .

وعلى سبيل المثال يمكن عن طريق التأمل في المصطلحات القرآنية ، مثل : الأمَّة ، أو الهجرة ، أو الطغيان ، وتتبع دلالاتها في سياقاتها المختلفة استخراج أحكام اجتماعية ، وقوانين مهمة وخطيرة في مباحث التاريخ والاجتماع . ولكن هل عندنا من يتجشم مكابدة هذا النوع من العمل الفكري الرائد ؟.

إن مكر الأعداء وأساليبهم الفتّاكة تعمل باستمرار على عزل الإسلام وتحنيطه ضمن قوالب كهنوتية تخالف روح العصر ، وتصادم جوهر الفكر .

بصـــائر القرآن

إن التبصر بالقرآن وبعث مباحثه من جديد مطلبان تقتضيهما ظروف مرحلتنا الراهنة ؛ لأن الأساليب القديمة في التعامل معه ـ وبالأخص أساليب القرنين الماضيين ـ باتت عديمة الجدوى .

إن العالم بأسره اليوم يبحث عن الجديد ، والقرآن هو كتاب الله الحي المتجدد : **﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف : ٢٠٣) .**

وصياغة رؤية إسلامية قائمة على أسس قرآنية كافية وحدها على الأقل لهداية آلاف البشر . إن المسلمين الأوائل قد تمتعوا ولا شك بروح الإسلام المتجددة ؛ مما جعلهم يُقبلون عليه في لهفة وتعطش ؛ ذلك لأن الخاصية الأولى للإسلام أنه يمنح معتنقيه روحاً جديدة ، ويكوِّن لديهم تفاسير جديدة عن الكون والحياة . وعلى الدعاة إلى الإسلام اليوم فرض الاقتباس من هذا المنهج حتى لا تُهدر طاقات ، وتضيع تجارب بسبب تخليها عن سنن القرآن .

على أن القول بعرض الإسلام وفق معطيات العلم ، وتغيرات العصر ؛ لا يعني أبداً مسايرة مقتضياتهما ، بل تُفهم الأصول والوسائل قصد استغلالها ومغالبتها ، وتطويعها في آخر الأمر . وهذا من خصائص منهج الإسلام القائم على الواقعية ؛ إذ من المسلمات البدهية لكسب قضية أو مغالبة موضوع النفاذ إلى جوهره ، واستكشاف بواطنه .

■ إن عقلية الانصراف عن مشاغل الفعل والعمل إلى مباحث التجريد والجدل لا تزال تسيطر على قطاع كبير من شبابنا مع أن القرآن يرفض هذا المسلك ويقاومه .

■ إقبال ـ محمد عبده :
ربط الإسلام بتطور المعرفة الإنسانية ■

ولكن المسلم المعاصر بحكم استجابته لواقع معتاد ، ونظراً لخضوعه لنظام مألوف ؛ تعوَّد على الاكتفاء بحقيقة مجزَّأة عن الدين ؛ حجبت عن عينيه لذَّة البحث والتأمل في رحاب القرآن الكريم .

فهو يفضل أن ينشغل بمسألة « **رؤية هلال رمضان** » في كل موسم رمضان أكثر من أن يبحث مثلاً عن حلول قرآنية تهديه إلى سبل التعامل الصحيح مع الناس وقضايا المجتمع .

إن عقلية الانصراف عن مشاغل الفعل والعمل ، إلى مباحث التجريد والجدل لا تزال تسيطر على قطاع كبير من شبابنا ؛ مع أن القرآن يرفض هذا المسلك ويقاومه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾ (**المائدة** : ١٠١) .

إن أشكالاً عديدة من القصور ناتجة أصلاً عن التعود غير الشعوري لأنماط الفكر السائد الذي يطرق وجدان المسلم بلا استئذان .

وهذه الأشكال منها ما يسمى بالقابلية للهزيمة ، ومنها ما يرجع إلى جملة الرواسب الضارة ، الناشئة في ظل تربية غير إسلامية .

وفضلاً عن هذا فإن تلك الرواسب ـ وإن كانت تتصارع فينا مع قيم الإسلام الأصلية ـ تعدمنا فرصة ممارسة عالم التجربة الروحية الصادقة التي عايشها الفرد المسلم زمن الرسول ﷺ ، ولكن الأقوياء وحدهم يفلحون في الوصول إلى مرتبة الإحسان الكاملة ، وتذوق ثمار الارتفاع الذي هو الهدف الأسمى للدين ؛ ولذلك يصحُّ القول بأن المسلم بين معركتين دائمتين : مقاومة رواسب الماضي لتزكية النفس منها ، والتطلع إلى مرتبة الكمال الإسلامي .

■ المودودي
لا بد من التمكن باستيعاب معارف العصر ■

نحو صياغة مبرهنة للدين

إن التعاليم الإسلامية في عملية توجيهها لخطى البشر ترشدهم إلى أقرب مسالك الحقيقة ، ولذلك تهتم بإبراز جوانبها العملية أكثر مما تُعنى بالتصورات النظرية .

ولعلَّ (الغزالي) هو أول من أدرك ذلك من فلاسفة الإسلام ؛ فقد ولىّ وجهه شطر الرياضة الباطنية بعد أن تحقق من جفاف منطق العقل وعجزه عن استكناه جوانب الحقيقة الشعورية الحية ؛ والمثير في تجربته أنه لمَّا استمتع بظلال التجربة الدينية واطمأن إليها عن ممارسة واقتناع ، أحسَّ أنها المعبر الوحيد للحقيقة ؛ السبب الذي جعله يقلل من شأن العقل والتعويل عليه في مثل هذا الميدان .

وليس المطلوب من مسلم اليوم أن يقتنع بدينه بتجربة مبرهنة على طريقة الغزالي ، وإنما غاية المطلوب أن يعرض حقائق دينه في صورة علمية تقبلها كل العقول ؛ لأن أساليب التعبير والتواصل قد تغيرت كثيراً عما كانت عليه في أزمنة سابقة ؛ ولذا لا بدَّ للمسلم أن يستفيد من واقعية التعاليم الإسلامية في توجهاتها ومقاصدها العامة .

الاقتباس من القـــرآن

إن الاقتباس من مناهج القرآن وطرائقه الفذّة كفيل بمنحنا قدراً كبيراً من الموضوعية والعمق لفهم قوانين الحياة والمجتمع .

وعلى سبيل المثال فإن تبيان وجهة نظر القرآن في مسألة من المسائل التربوية أو الاجتماعية ؛ تحتاج إلى خطة دقيقة تتجاوز بكثير مسلك القراءة العادية أو البسيطة ؛ فيجدر بمن يريد تحقيق ذلك كما يلاحظ الإمام (المودودي) رحمه الله أن يحدد بوضوح ما لتلك المسألة المدروسة من نواح أساسية ، ونقاط رئيسة ، ويتعرف كذلك على مبلغ ومدىً ما توصل إليه الفكر البشري في تلك المسألة ، وما جوانبها التي تتطلب حلولاً ؟ وما النقطة التي لم يستطع التفكير الإنساني تخطيها حتى اليوم ؟

فإذا ما حقَّق ذلك فله أن يدرس القرآن واضعاً أمام عينيه الجوانب التي تتطلب الحلول .

وفي تجربة (**المودودي**) أن المرء إذا درس القرآن باحثاً في مسألة على نحو ما ذُكر يفاجأ بالردود على أسئلته في آيات قد قرأها عشرات المرات من قبل ولم يخطر بباله أن تلك الآيات تكمن فيها تلك الردود[1] .

وهذا هو السر في أن الرسول ﷺ كان كثيراً ما يردد : « **اقرؤوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتَبَاكَوْا** » وفي رواية لأبي ذرّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام بآية يُردِّدها حتى أصبح ـ ولما سُئل (**عليٌّ**) رضي الله عنه ـ : هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيء أهل البيت ؟ قال : لا . إلَّا فهماً أوتيه رجل في كتاب الله .

على أن الصفاء الروحي لا يكفي وحده لاستثمار معاني هدي الكتاب المبين ، بل لا بد من تقويته بالتمكن من استيعاب معارف العصر ؛ التي هي خلاصة الفكر البشري على مر العصور .

وعلى سبيل البيان فإن القارىء العادي ليس بوسعه أن يدرك من قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ أكثر من إشارة إلى قصة الخليقة ، وتعليم آدم أسماء الأشياء ؛ أما العارف فيخلص منها إلى نظرية في تحصيل المعرفة الإنسانية هي كونها إدراكية ، وأن منشأ العلم الأسماء التي هي المدخل الأولي لكل أنواع

نحـــو
وعي قـــرآني متجـــدِّد

■ **إنَّ الصفاء الروحي لا يكفي وحده لاستثمار معاني هدي الكتاب المبين ، بل لا بد من تقويته بالتمكن من استيعاب معارف العصر .**

التحصيل التي وفرها الله للعقل البشري .

إن طريقة القرآن في عرض معالم الوجود تجعل فهم حقائق الدين أيسر منالاً للإنسان ، واقرب إلى طبيعته وليس حكراً على الأنظار الفلسفية ؛ لأنها توافق عقله وقلبه إلى حدّ بعيد ، وتستجيب لشهادة الحواس ومنطق العقل ، ولذلك يحفل القرآن بما يحض على مشاهدة صفحات الكون ، وتفهم أسراره ، ويفتح الأبصار والبصائر للتحليق في رحابه الفسيحة .

ولأن طريق الملاحظة يؤدي إلى المعرفة الصادقة ؛ فإن العلم المكتسب من التجربة يقتحم بدوره أبواب الإيمان ، ويفسح له مجالاً أرحب من محيط المادة ؛ لأنه يقوده إلى ما وراء العلم ، أو الغيب كما يسميه القرآن : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ (البقرة : ٣) .

ولأن الحقيقة في شمولها واحدة ؛ فأيّاً كان الطريق الذي يسلكه المرء فإنه سيلاقي الله جل جلاله المتفرد بالخلق والتدبير .

وكما أن هناك صلة بين الإنسان والعالم الطبيعي فثمة أيضاً صلة تربط حقيقة هذا العالم بأصل الوجود . قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ . ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (غافر : ٦١ ـ ٦٢) .

إن المعرفة المتكاملة وفق هذه الآيات هي وسيلة الاتصال المباشرة مع الحقيقة الكلية ، وإن توسيع دائرة مجالات التجربة الإنسانية في كشف تلك الحقيقة من صميم مقتضيات الدين ؛ لأنها مسالك تؤدي في نهاية المطاف إلى معرفة الله تبارك وتعالى .

وما التصدع الذي تشهده نظريات هذا العصر ، وقلق أصحابها إلّا دلائل على ذلك ، لأن التطور المذهل في كشف حقائق الطبيعة ، والإحاطة بنظام الكون مرحلة أولى لتلاقي حقائق العلم مع الدين .

ولهذا لا ينبغي للمسلم أن يخشى الأفكار أبداً مهما كانت طبيعتها ؛ لأنها خاضعة لجريان سيادة الحق عليها ؛ وفق قوانين الحركة والجدل المنتهية حتماً إلى التوحيد : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ (الطلاق : ٣) .

مبحـث الألوهيـــة

إننا لو طبّقنا منهج الاقتباس من القرآن الكريم على مسألة معينة ، وبشروط مضبوطة ؛ نحصل حتماً على نتائج أقل ما يقال فيها إنها جماع ما يمكن أن يتوصل إليه الفكر الإنساني على الإطلاق .

ولتكن هذه المسألة تتناول في دراستنا على سبيل المثال مبحث « الألوهيـة » باعتباره أعظم مبحث في الفكر العقيدي الإسلامي ، إننا نجد أن القرآن الكريم قد عرض لهذه المسألة في مستويات ثلاثة من الاعتقاد الديني .

(أ) مســتوى التجربـــة الإنسانيـــة :

وهي التي أظهرت على مر الزمان أن فكرة الله القادر المبدع ملازمة للطبيعة الإنسانية ، وما رسالة الأنبياء والرسل جميعاً إلّا مخاطبة عقلية ووجدانية لهذه الطبيعة ، وآيات القرآن حافلة بهذا التوجه . وهذه بعض منها على سبيل الاستشهاد .

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (إبراهيم : ١٠) .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (العنكبوت : ٦٣) .

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل : ٥٩) .

(ب) مســتوى التجربـة الكونيـة :

إذا كان محور التجربة الإنسانية هو الإنسان في سيره إلى الله جلّ جلاله ؛ فإن المستوى الثاني للتجربة يتكشف للذهن ؛ كانتقال مباشر هذه المرة للكون الفسيح ذاته ؛ باعتبار صدوره عن خالقه ومبدعه .

واغلب آيات القرآن تحفل أيضاً بما يحض على هذا التوجه الرشيد . وهذه بعض الأمثلة :

ـ ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد : ٣) .

ـ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (الملك : ١٩) .

ـ ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل : ٦١) .

(ج) مستوى الوحي النبـوي :

وهو أرقى صور الدين التي تربط المخلوق بحقيقة الألوهية ، وهو المستوى المباشر لتلقي الحق عن طريق الوحي ، وهو حجة الله البالغة على البشر ، وهو عدل الله المطلق ، ولطفه المقدس القاضي بتعريف البشرية بذاته ، والتكرم عليهم بصور العبادة .

إن القرآن كله مقتضى هذا المستوى وحجة هذا التكليف . قال تعالى ممتناً على عباده بهذه النعمة العظمى :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (آل عمران : ١٦٤) .

واجب مسلم اليوم

إن التمحيص النهائي لخلاصة النتائج العلمية الهامة تهدينا إلى تفهم عميق لمعظم آيات القرآن ؛ فضلاً عن النصرة الحقيقية التي يتيحها للمسلمين . إن مسار العلم المعاصر يتجه دون قصد منه نحو إثبات حقائق الدين ، وواجب المسلم اليوم أن ينهض للكشف عن معالم دينه ليساهم في النهاية في التقاء العلم بحقيقة دينه الخالدة .

---

(١) راجع كتاب المبادىء الأساسية لفهم القرآن : الدار الكويتية/ط ١ ١٩٦٨م ـ ص ٥٢ .

بريد الأمة

●● كان المفروض أن تأتي هذه الكلمة في مقدمة باب « بأقلام القراء » ، خاصة بعد أن استكمل مقوماته كزاوية لها ذاتيتها الخاصة وطروحاتها المتميزة ، ولم تعد جزءاً من باب « بريد الأمة » ـ وإن جاءت بعده مباشرة لأسباب فنية تتعلق بنظام ترتيب الصفحات ـ وذلك لأننا نتوجه بهذه الكلمة إلى الإخوة القراء الذين يسهمون بنتاج أقلامهم في إثراء الزاوية بالمعاني المفيدة ، إلَّا أننا نعتبر أن كلمة باب البريد في هذا الموقع هي المنبر الذي نخاطب منه جميع الإخوة : قرَّاء وكتاباً ومفكرين ومتعاملين مع أبواب المجلة كافة ، بما في ذلك باب « بأقلام القراء » فنطلب إليهم توجيه مراسلاتهم باسم الباب مباشرة ، ونؤكد لهم ما سبق أن ذكرناه من أنه تقرر تخصيص مقابل مادي عن مساهماتهم ، كما ندعوهم إلى أن يحرصوا على كتابة أسمائهم وعناوينهم واضحة ، ونطلب ذلك بصفة خاصة من الإخوة والأخوات الذين نُشر إنتاجهم ابتداءً من العدد الخمسين ـ صفر ١٤٠٥هـ ـ ●●

رسـالـة ..

■■ بعث أحد الإخوة ـ بتوقيع « مسلم مغترب » بهذه الرسالة ، من القاهرة .. يقول فيها :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ؛

إن السبب الذي اضطرني للكتابة إليكم هو ما نشر بالعدد الخمسين (بالصفحة ٣٠) من « الأمـة » حول النشاط الصليبي للجامعة الأمريكية في بيروت ـ من ناحية ـ ومن ناحية أخرى ما ورد بالعدد نفسه (بالصفحة ٨٢) ، حيث اقترح بعض الإخوة القراء ، تخصيص زاوية تضم عناوين الجامعات التي تهتم بإعداد كوادر إسلامية مؤهلة » .

اقـول ، وقلبي يمزقه الأسى : إنني أحد المسلمين الذين انهوا دراستهم الجامعية ويرغبون في متابعة دراستهم العليا الإسلامية التخصصية ، مع العلم بأن البلد الذي أحمل جنسيته قد وفَّر لي منحة دراسية كما تعهَّد بدفع رسوم الدراسة .. واتصلت بعدد من الجامعات في العالم الإسلامي التي توصف بانها « حصون ثقافية » للمسلمين ، وقضيت صيف عام ١٩٨٤م في إعداد الوثائق والمستندات المطلوبة .. ولم أحصل على اكثر من الوعود ...

وخلال حوار مع أحد الزملاء ، أشار علي بالاتصال بمكتب الإعلام الجامعي الفرنسي ففعلت ، وجاء الرد سريعاً يعرض عليَّ اختيار واحدة من أربع كليات فرنسية متخصصة في الدراسات الإسلامية ! واتصلت بها بالفعل ، ولم يخطر ببالي في يوم من الأيام ان يبلغ الاهتمام بي ان تغرقني كليات فرنسا بسيل من المطبوعات لإقناعي بمزايا متابعة الدراسة فيها !.

فكرت في الأمر ملياً .. كيف اتابع دراستي العليا في المواد الإسلامية تحت إشراف من يجاهر بمحاربة الإسلام ؟ استغفرت الله .. وقررت إلغاء الفكرة ، وجمعت وثائقي وسافرت جواً إلى إحدى الدول العربية للاتصال بالكلية المعنية ، وبعد تقديم الوثائق المطلوبة واجهتني بطلب القيام ببعض الإجراءات ، وقضيت حوالي أسبوعين اتردد بين مقر الكلية وعدد من الجهات الرسمية لإتمام الإجراءات وتوفير الشروط ، غير انه قد تبين لي اخيراً ان المسؤولين في الكلية ليست لديهم الرغبة في تسجيلي ويحاولون إقناعي بان السبب خارج عن إرادتهم .

وقفت أمام بناية الكلية أودعها .. ومخيلتي تستعرض أحداث الماضي القريب : كليات فرنسا تحاول إغرائي بكل الوسائل ، بينما إحدى الكليات الإسلامية التي يحلو للقائمين عليها ترديد عبارات فقدت طعمها مثل : « محاربة الغزو الفكري والاستلاب الثقافي وذوبان الهوية » ترى انني لا أستحق مقعداً دراسياً بالرسوم المقررة .

واتسـاءل : ترى كم من الوقت يلزم مثل هذه المواقع لتتخلص من الواجهات المخادعة ؟ وإذا كانت هذه حال الذي وجد من يتكفل له بالمنحة وبالرسوم الدراسية ، فكيف حال من يريد الدراسة على نفقته الخاصة أو من يطمع في منحة من الكليات الإسلامية ؟

رسـائل .. رداً على رسـالـة ..

●● وردت رسائل كثيرة ترد وتعقب على رسالة الأخت رضا عيسى محمود التي نشرت تحت هذه الفقرة من « بريد الأمة » بالعدد الحادي والخمسين (ربيع الأول ١٤٠٥هـ) .. وقد رأينا أن المكان المناسب لنشر هذه الردود هو باب « الأسرة المسلمة » نظراً لطبيعة القضية التي تعالجها ، وهي قضية تعليم الفتاة المسلمة .. بين المسؤولية الإسلامية وظروف المجتمع الجامعي المعاصر ، ومع ذلك فقد يكون من المناسب نشر إحدى الرسائل التي تتناول هذه القضية من بعض جوانبها .. لنذكر بها قبل أن نطرحها للمناقشة على صفحات « الأسرة المسلمة » ، وندعوا ـ بهذه المناسبة ـ الإخوة من المفكرين والمعنيين بالقضية للمساهمة برأيهم وعلمهم وفكرهم لإثراء المناقشة ..

جاء ضمن رسالة مطولة بعث بها الأخ لحروش عبد الله .. من المغرب :

[... إلى التي حرصت على الالتزام بالإسلام فكراً وسلوكاً ، وعملت على تحقيقه في واقعها ـ قدر استطاعتها ـ وعملت على تعميق معرفتها بالإسلام عبر قنوات الفكر والثقافة الإسلامية لمواجهة تحديات العصر ... ثم في غمرة هذا الشعور المرهف ، وبعد مسيرة خمس سنوات من الاجتهاد الدؤوب تُدعى ـ أختنا ـ إلى التوقف عن الدراسة وعدم الالتحاق بالجامعة والقعود في البيت إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً !!

قد لا أحتاج إلى البرهنة على مدى حث الإسلام على طلب العلم ، فلقد أغنى الصباح عن المصباح .. ولو أننا قلبنا الفكر في عرصات هذا العصر ـ عصر التحدي ـ كما شهدت بذلك ـ أختنا ـ لرأينا أن المسلمين يمرون بمرحلة خطيرة من تاريخهم ، فجميع القوى المادية قد كشرت عن أنيابها ... لهذا كان لزاماً عليك ـ بل لزاماً علينا جميعاً ـ أن ننزل إلى الساحة .. ولا شك أن البيت ساحة ، والمدرسة ساحة ، والشارع ساحة ، والجامعة ساحة ، حيث مرجل الحروب الفكرية يغلي وحيث السموم الناقعات تسيل من أقلام الكتاب ..

إننا لو فرضنا ـ جدلاً ـ أنك ـ أيتها الأخت ـ قبعت في بيتك ، وأختك الأخرى في بيتها وهكذا وانزوى الشباب المسلم .. آنذاك خبروني بربكم من سينزل الساحة ، ومن سيمثل الإسلام قلباً وقالباً .. جوهراً ومظهراً ، من سيقض مضاجع الملاحدة والمارقين ..

بل خبروني بربكم .. ما الذي يدفع المسلم إلى أن يضع حليلته تحت إشراف طبيب أجنبي غريب .. لا شك أن مرد هذا هو غياب الطبيبة المسلمة والممرضة المسلمة .. ولقد ضاق العالم الإسلامي باستيراد المنحلين المفسدين ..

إن خروج الفتاة المسلمة الملتزمة هو نوع من الدعوة إلى الله .. وقد يستنكف عباد الهوى والملاحدة عن أن يقرؤوا كتاب الله تعالى إلَّا أنهم سيقرؤونه وبحروف بارزة في زي المرأة المسلمة ، وفي غض المسلم والمسلمة لأبصارهم وسيقرؤونه وهو مترجم إلى سلوك حي وإلى واقع ملموس وسيرونه يمشي في الأسواق وفي الجامعات .. وهذا لا يعني ـ ضمنياً ـ أن تهجر أختنا البيت هجراً مبيناً ، إذ لا يقول هذا إلَّا من ضاق بصره وبصيرته ، فنحن مطالبون بالنظر إلى هذه الحياة نظرة شاملة كاملة ، نظرة تجعل الحياة شريحة واحدة .. وهذا هو منطق الإسلام في كل شيء . ■■

أصداء

●● تعقيب ...

● الأخ الدكتور غريب جمعة بعث إلينا برسالة تتضمن تعقيباً علمياً على المقال الذي نُشر تحت عنوان « التبرع بالدم بين الدين والعلم » بعدد شهر صفر ١٤٠٥هـ للكاتب الدكتور نبيل سليم علي .. يقول فيها :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

يقول الكاتب في مقاله : « إن الدم المأخوذ من الوريد يضاف إليه مادة تمنع تجلطه ويترك حيناً فينفصل إلى طبقتين ، طبقة عليا صفراء شفافة أو فاقدة لبعض شفافيتها ، فهذه الطبقة المعروفة بالبلازما PLASMA ، أو الجبلة أو مصل الدم BLOOD SERUM ، وهي تؤلف من حيث الحجم قليلاً من نصف حجم الدم ، ثم طبقة سفلى ... » .

ولي ملاحظة على هذا القول ، وتتلخص في انه قد جاء في صفحتي ٣٧ ، ٣٨ من كتاب :

PHARMACOLOGY FOR MEDICAL STUDENTS

(RESPIRATION, KIDNEY, & BLOOD)

للدكتور أحمد عبد السلام مدرس الفارماكولوجي بجامعة عين شمس ـ طبعة (١٩٨٤م) ما يلي :

« المصل يساوي البلازما مطروحاً منها مادة الفَيْبرِينْ » ونص العبارة هو :

« SERUM = PLASMA MINUS FIBRIN »

وعلى ذلك فإن البلازما ليست هي المصل كما أن المصل ليس هو البلازما .. وهناك إضافة لا بد منها إتماماً للفائدة ، حيث إن الكثير من الإخوة القراء يخلط بين كلمتي المصل واللقاح ، وقد يستعمل إحداهما مكان الأخرى ...

فاللقاح هو مادة خاصة بالميكروب سواء بصورة مُضْعَفة أو مقتولاً أو خلاصة منه أو سموماً منه ثم يحقن ذلك في الجسم للوقاية من المرض .. أما المصل فهو ذلك السائل الذي يمكن فصله من الدم بعد أن يتجلط ، وإذا كان المصل يحتوي على أجسام مضادة نتيجة لحقن أحد اللقاحات في الجسم فإنه يسمى مصلاً مضاداً .

وعلى ذلك فلا يصح أن يقال : إنه تم التطعيم بمصل شلل الأطفال أو مصل الكوليرا مثلاً ، وإنما الصواب أن يقال : لقاح شلل الأطفال ،ولقاح الكوليرا ..

●● ونحن إذ نشكر للأخ الدكتور غريب اهتمامه بتصحيح المعلومات والإضافة إليها ، ندعوا الإخوة الذين يساهمون بالكتابة إلى تحري الدقة فيما يتناولونه من موضوعات ، خاصة إذا كانت المعلومات الواردة فيها يمكن أن تغيب إلَّا عن المتخصصين ..

● وارسل الأخ عبد الرحيم شراقي من مصر يقول :

[... عند صدور العدد الخمسين لشهر صفر من « الأمــة » .. كان اغتباطي شديداً حينما وجدت فيها عرضاً لرسالة ماجستير مقدمة من الباحث علي حسن القريشي عن « الأسس التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي » .. وقد كنت ارسلت من قبل لمجلتكم اطلب التنويه بفكر مالك بن نبي ونشر افكاره ومعالجتها من خلال ابواب المجلة وموضوعاتها .. ولكن اعجب ما تصورته ان ياتي العرض خالياً من الحديث عن شروط ميلاد المجتمع التي وصفها هذا المفكر .. وهي : عالم الأشخاص ـ وعالم الأفكار ـ وعالم الأشياء .. حيث يـرتبط الجميع بما يسمى شبكة العلاقات الاجتماعية .

واقترح ان تقوم « الأمة » بنشر نص الرسالة ضمن سلسلة « كتاب الأمة » حتى يجد الإخوة القراء فيها ما ينفع بإذن الله ..

● ومن المغرب ، بعث الأخ رشيد احمد رسالة مطولة ، يتناول فيها « الأمــة » بالنقد الموضوعي والتحليل ، كنا نود ان تسمح المساحة المخصصة للأصداء بنشرها كاملة ، ونقتطف منها بعض الفقرات ..

يقول الأخ رشــيد :

[... الاحظ ان اهتمام « الأمــة » بشؤون المسلمين ومشكلاتهم يكاد يكون اهتماماً محدوداً بالنسبة للأصل الأصيل في عالمنا الإسلامي ليشتغل بمناطق غير إسلامية تضم اقليات مسلمة ، وبعبارة اوضح ، فإن مشاكل المسلمين ليست منحصرة فقط في الهند والصين الشعبية او الاتحاد السوفييتي وافريقيا ، ولكن المسلمين يعانون ايضاً في كثير من مناطق العالم العربي والإسلامي من اناس يدَّعون الإسلام ويتكلمون العربية ، فحبذا لو امتدت واتسعت تقارير المجلة لتشمل محنة المسلمين كافة ابتداء من عالمنا العربي الذي لا شك انه يعيش صنوفاً من القهر والظلم والاستبداد اضعـاف ما تعيشه المناطق الأخرى ...] .

● وقضية اخـرى يطرحها الأخ رشيد حول « كتاب الأمة » الذي يرى فيه انه « يؤدي دوراً هاماً في مجال التوعية والتوجيه الإسلامي لا يقل اهمية عن دور المجلة نفسها » ويرى ان يكون موضوع الكتاب القادم ـ بإذن الله ـ يتعلق بالـدراسات الادبية الإسلامية ، « وذلك إيماناً بالدور الفعَّال والخطير للأدب على الساحة الثقافية في غياب الأدب الإسـلامي ، الذي يمكن ان يعبـر عن امجـاد وتطلعات الأمة الإسلامية » .

● ويقول الأخ ناجي ناصر سالم من السعودية :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

لا اذكر انني فرحت بشيء مثل فرحي بميلاد « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » التي اجريتم حولها « اكثر من حوار » في عددين متتاليين ، وسوف تبقى مسؤولية التعريف بهذا المشروع العظيم ملقاة بـالـدرجة الأولى عـلى عاتق الصحـافة الإسلامية ، وجزاها الله خيراً فقد قامت بتغطية جوانب عديدة في هذا المجال ، ولكني اعتقد ان مسؤولية « الأمــة » مضاعفة حيث كتب الله لها القبول والانتشار في جميع انحاء العالم الإسلامي ، والذي نرجوه هو متابعة النشر عن الهيئة وإجراء مقابلات مستمرة مع العاملين بها وان يكون ذلك باسلوب سهل وميسر ومفهوم لكل من يقراه] ..

ردود خاصة

■ الأخ محمـد عبـد العظيم جـادو ـ القليوبية ـ جمهورية مصر العربية ..

●● أبواب التبرع لإغاثة المسلمين في أفريقيا وأفغانستان مفتوحة عن طريق قنوات كثيرة ليس من ضمنها مجلة « الأمة » .. ويمكن لجميع المسلمين الاتصال في هذا الشأن بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية على العنوان التالي :

دولة الكويت ـ الصفاة

ص . ب ٥٧١٨

وأرقام الحسابات هي :

في الكويت : بيت التمويل الكويتي

حساب رقم ٣/٢٣ للتبرعات والهبات

وحساب رقم ٥/٩ للزكوات

وفي دولة قطر : مصـرف قطـر الإسلامي

حساب رقم ٧١٧

■ الأخ نـور الدين عمار السالمي ـ القيروان ـ تونس :

●● لا يتوفر نظام الدراسة بالمراسلة في جامعات الخليج أو مصر ، وفي مصر يمكن الـدراسة بنظام « الانتساب » في كليات الدراسات النظرية فقط . وتؤدى الامتحانات في مقر الكلية بمصر مع الطلبة المنتظمين .

■ الأخ : موهوم عبد الحكيم ـ الجزائر ..

●● يمكنكم الاتصال بالمركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي على عنوانه :

جامعة الملك عبد العزيز

جدة ـ المملكة العربية السعودية

■ الأخ أحمد عبد الله الطاهر الربيع ـ عرعـر ـ السعـودية ، الأخ : فـؤاد الخضري ـ الرباط ـ المغرب ..

●● من المتعذر إجابة طلبكما .

■ الأخت أمة الله الودود ـ القاهرة ..

●● يرجى إرسال الاسم كاملاً والعنوان بالتفصيل لنتمكن من إرسال المكافأة المالية المستحقة عن المقال الذي نشر لك ضمن باب « الأسرة المسلمة » في العـدد الحـادي والخمسين .

■ الأخ : الجنيوي حسنه ـ فرنسا ..

●● عنوان الدكتور يوسف القرضاوي : جامعة قطر ـ كلية الشريعة

■ الأخ عبد الرازق .. ت ـ المغرب ..

●● عنوان الدكتور نجيب الكيلاني :

دبي ص . ب ٤٣٠٩

دولة الإمارات العربية المتحدة

واحة الإخاء

○ الأخ الدكتور ـ صيدلي سعيد قطب ، المعيد بكلية الصيدلة ـ جامعة الأزهر ـ قسم العقاقير والنباتات الطبية ـ بعث برسالة يتناول فيها قضية التخلف العلمي في بلاد المسلمين ، كما يراها .. يقول فيها :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ؛

... من خلال عملي في مجال البحث العلمي ، وجدت ان هناك فجوة كبيرة في هذا المجال بيننا وبين الدول المتقدمة علمياً في الغرب ، وقد قررت في يوم ما ان اترك العمل العلمي في الجامعة بسبب بعض المشاكل وفي مقدمتها المشاكل المادية ، على اساس ان البحث العلمي إنما هو فرض كفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين ، ولكني اخذت اتأمل مشكلات امتنا الإسلامية وكيف اننا نعتمد على الغرب في قضايانا العلمية ، وكيف تراكمت المصائب حتى اصبح الناس يموتون بالآلاف وهم نيام في بيوتهم كما حدث في مدينة « بوبال » الهندية ـ وفيهم اعداد كبيرة من المسلمين ـ بسبب الجهل والتخلف والرغبة بنقل التكنولوجيا دون ان يتحقق شرط استيعابها ، ثم كيف تبعثرت ثرواتنا الاقتصادية ومواردنا الطبيعية في اسواق الصناعة الاوروبية لترجع إلينا اغلالاً باعلى الأسعار العالمية ...

وأخيراً تراجعت عن قرار ترك عملي في مجال البحث العلمي ، فقد وجدت ـ اجتهاداً مني ـ أن الفرض الكفائي صار فرض عين حتى تتحقق الكفاية للأمة الإسلامية .. ولكن هذه الخطوة تظل قاصرة حتى يتفق المسلمون بصورة او بأخرى ، ويقومون بتأسيس مركز للبحوث العلمية الإسلامية في بلد متوسط للعالم الإسلامي ، تتوفر فيه شروط وإمكانات العمل العلمي لنخبة من العلماء المسلمين المخلصين .. بهذا نبدأ في استعادة مجد حضارتنا ونخرج من مأزقنا ...

○ وارسل الأخ عبد الكريم عمَّار ـ من تونس يقول :

[... السلام عليكم ورحمة الله .. وبعد :

أنا شاب مسلم ، وواحد من مئات بل آلاف الذين استهدفتهم الحملة التنصيرية في تونس ، فقد بدات تصلني منذ شهور دروس تنصيرية تزخر بالعبارات والشعارات الإسلامية في البداية ، وموقعة باسم « الشيخ عبد الله » ولكن في النهاية أماطت القناع عن وجهها التنصيري بوضوح .. وأنا اتساءل في حيرة : من أين وكيف حصلوا على عنواني ؟..] .

ويضيف الأخ عمَّار : [... إن الحملة التنصيرية التي توجه إلى تونس ظاهرة خطيرة تستهدف طمس الشخصية الإسلامية لهذا البلد ومن مظاهرها :

- نشر عناوين مؤسسات تنصيرية وتعليقات للدعاية لها في الصحف التونسية عن قصد أو غير قصد .. الله اعلم .
- تشدق بعض الشباب بعبارات نصرانية وترديد مقولات عقيدة التثليث
- عدم مواجهة اهل الحق هذه الحملة وانعدام التصدي لها ..] .

○ ويقول الأخ حسن إسماعيل ابو إسماعيل من ـ دمياط ـ مصر :

[... المستكشفون الاوروبيون اسموها « القارة العذراء » ، والاستعماريون اسموها « القارة السوداء » .. واليوم يمكن ان تسمى بحق « القارة الجائعة » ... والثابت ان كارثة المجاعة قد بدات فعلاً في إثيوبيا منذ فترة ، ولكن حكامها الماركسيين لم يعلنوا هذا لان الجوع والماركسية نظرياً لا يتفقان ، ولان المجاعة التي حدثت هناك عام ١٩٧٤م ـ ولم تكن اسوأ من المجاعة الحالية ـ قد ادَّت فيما ادَّت إلى الإطاحة بالإمبراطور الصليبي « هيلاسلاسي » ـ وبالطبع لا يمكن السماح بتكرار ما حدث .. والسوفييت ـ اصدقاء النظام الإثيوبي الذي اعلن ـ في عيد الثورة الأخير ـ عن شيوعيته ، يرفضون مساعدة حليفتهم الافريقية بـ « روبل » واحد ، فهم محتاجون لكل « روبل » لقتل شعب افغانستان وتلقينه درساً في احترام الحكَّام ...] .

مقترحات

- يقترح الأخ عبد الكريم مزغيش ـ من الجزائر :

[التعريف بخريطة العالم الإسلامي من أُزبكستان المسلمة إلى جزر الكناري عن طريق استطلاعات تنشر تباعاً ، تتضمن الثروات ، والشعوب وأحوالها ..

- ومن الجزائر أيضاً يقترح الأخ محمد روابح :

[طبع مجلدات سنوية من مجلة « الأمة » وتوفيرها لتكون في متناول الإخوة القراء الذين لا يستطيعون الحصول عليها شهرياً] .

- ويرى الأخ ابو طلعت محمد البكري من إيران :

[استحداث باب للتعريف بالحركات الإسلامية الحديثة وتجاربها ، وتخصيص مساحة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي الذي امتلأ بالروايات المزيفة عن طريق المستشرقين واعداء الأمة ، خاصة في الفترات الحرجة من هذا التاريخ .

- ويقترح الأخ حسن باشا من المنيا ـ جمهورية مصر العربية :

[عودة باب « من عجائب المخلوقات » ؛ وان تتناول الاستطلاعات المصورة بلدان أفريقيا التي تعاني من الجفاف والمجاعة وبلدان آسيا التي يعاني المسلمون فيها من كثير من الهموم ..

●● ونقول للأخ حسن : إن مادة « من عجائب المخلوقات » موجودة بالمجلة ، ولكن ضمن باب أكبر يستوعبها كفقرة إلى جانب الموضوعات العلمية .. وهو باب « العلم والحياة » ..

- ومن المغرب .. يقدم الأخ جعفر محمد بن العربي مقترحات باسمه ونيابة عن مجموعة من إخوانه :

[إصدار عدد من « كتاب الأمة » يتضمن تراجم هادفة عن عشرات من الشخصيات الإسلامية المشهورة في العلوم والمعارف ، كالتفسير والحديث والفقه واللغة والرياضيات والفلك ...

- جمع مسابقات « الأمة » وحلولها وإصدارها في كتاب يقدم هديَّة مع المجلة او بمقابل .
- ويقول الأخ عبد اللطيف إبراهيم ـ من صفاقس ـ بتونس :

[... اقترح طبع قسيمة مساهمة ضمن المجلة لصالح المجاهدين الأفغان وإذا كان هذا غير ممكن ارجو نشر عنوان إحدى الجمعيات الإسلامية ـ إن وجدت ـ التي تهتم بمساعدة إخواننا المجاهدين] .

●● يرجى من الأخ عبد اللطيف الرجوع إلى عنوان « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » المنشور تحت فقرة « ردود خاصة » .

باقلام القراء

[المسلمون والإسلام]

●● تحت هذا العنوان .. كتب الأخ : عبد القادر الشوادفي ، من جامعة الأزهر بالقاهرة :

ننظر بأعيننا إلى الصراعات والاتجاهات التي تتنازع الأمة الإسلامية فيصدم مشاعرنا هذا التفرق يدب في أمة أمرها الله تعالى أن تتوحّد ، وحذَّرها من أن تتفرق فتفشل ويذهب ريحها هباءً .. وصار المسلمون في شتى بقاع العالم نهباً للصراعات والأطماع الأجنبية . متى تعود للمسلمين شخصيتهم القوية التي فتحوا بها أنحاء العالم من مشارقه ومغاربه ؟

متى نعود ونتمسك بحبل الله المتين حتى لا نترك الثغرات في وجوه أعدائنا فينفذوا منها ويبثُّوا السموم والتفرقة بين المسلمين إن ما يحدث لنا اليوم هو لتركنا تعاليم الله وسنة نبيه ﷺ ، فيجب علينا معشر المسلمين التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ؛ عملاً بقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ . فالذي يحدث لنا اليوم هو ابتلاء من الله سبحانه وتعالى لنا لأننا لم نعمل بتعاليم كتابه وسنة نبيه .. فعلينا ـ كمسلمين موحّدين قائلين : لا إلـه إلَّا الله محمد رسول الله ـ أن نلتزم بكتاب الله في عملنا ، فالإسلام دين المحبة والإخاء وليس دين الحقد والكراهية .. الإسلام يامرنا بالتعاون على البر والتقوىٰ ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولقد وضع الإسلام أسساً راسخة شيَّد عليها المسلمون الأوائل بناء الأمة الإسلامية في أرجاء الأرض بقوة الإيمان .

يجب على المسلمين العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ونعود سوياً إلى الطريق المستقيم والنهوض بالعمل من أجل الإسلام دين الحرية والإخاء . فنحن معشر المسلمين ألف مليون مسلم في شتى بقاع العالم لو اتحدنا وصرنا قوة واحدة لغيَّرنا مجرىٰ الأحداث في جميع أنحاء العالم وأصبحنا قوة يحسب لها العالم ألف حساب ، لو فعلنا ذلك لكنَّا الفائزين بالدنيا والآخرة ، ولتحقق فينا قول الله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ وقول الرسول ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي » .

فحقاً من تمسك بكتاب الله وسنة رسوله لا يضل ولا يشقىٰ ؛ لأنهما السلاح له في الدنيا والنجاة له من النار في الآخرة ●●

كتب الأخ الفلبزوري محمد ـ من المغرب تحت عنوان :

الخـــوف أخطـر سـلاح

يقـــول : أيها الأخوة .. أيها المستضعفون في كل مكان .. الجهاد الجهاد .. وإياكم والخوف من الأعداء وما يمتلكون من أسلحة مختلفة فتَّاكة مدمرة .. إن العدو يسعىٰ من ورائها إلى بث الخوف والرعب في نفوس المسلمين ، وهذا ما تقوم به الصهيونية العالمية في فلسطين المحتلة ولبنان ، وما تقوم به الشيوعية في أفغانستان ؛ لأن السلاح الخطير الحقيقي هو الخوف والرعب الذي يقتلع جذور الرجاء والعزيمة والإرادة من أعماق القلوب الخاوية من الإيمان بالله .. يقول الشاعر والفيلسوف المسلم (محمد إقبـال) :

إني رأيت الخوف في الدُّنيا عدواً للعمل
هو مطفئُ نورَ الرجاء ، وسالبُ كنْزَ الأمل
يرمي الإرادة بالتزلزل ، والعزيمةَ بالخَوَرْ
ومن احتواه الخوفُ لا يجني من الرَّوض الثمر

أما المؤمن الصادق فلا يجد الخوف إلى قلبه المليء بالإيمان سبيلاً ، بل هو سلاحه الذي ينتصر به على أعدائه رغم كثرة عددهم وعدتهم ، وقلة عدده وعدته .. يقول تعالى : ﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ... ﴾ (الأنفال : ١٢) ويقول تعالى للمؤمنين : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال : ٦١) .

من هنا تدرك أخي المجاهد خطر الخوف على نفس الإنسان حين يتسرب إليها فينسفها نسفاً ، ويذرها قاعاً صفصفاً ..

وحين يقوم المؤمن يجاهد في سبيل الله ويسعىٰ للشهادة ويستجيب لنداء ربه : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (الحديد : ٢٠) ، عند ذلك لا تثنيه عن عزمه المواد الكيماوية ولا الذرّة والصواريخ وغيرها ..

وأخيراً أذكرك أخي بقول الإمام أحمد بن تيمية ، لما ورد الأمر بسجنه بقلعة دمشق : « ما يصنع أعدائي بي ، أنا جنَّتي وبستاني في صدري أين رحت ، فهي معي لا تفارقني ، أنا حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلادي سياحة ... » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

لَوْ كُنَّا مُؤْمنين

ضياءٌ مِنْ سَمائِكَ يَحْتَوينا — يُنيرُ لَنا الطَّريقَ إذا ابْتُلينا
وَيَبْعَثُ أكْرَمَ النَّزَعاتِ فينا — وَيَنْصُرُ سَيْفُهُ الحَقَّ المُبينا
لَوَ انَّا قَدْ بَقينا مُؤْمِنينا
لَوِ اخْتَرْنا لَنا الإسْلامَ دِينا
لَوَ انَّا قَدْ رَضِينا الحَقَّ حَقّاً — وَرُحْنا نَبْتَغي الإسْلامَ صِدْقاً
وَلَمْ نَغْتَرَّ بِالدُّنْيا فَنَشْقى — وَسِرْنا في طَريقِكَ مُخْلِصينا
وَلَكِنْ غَرَّنا غَرْباً وَشَرْقاً
دُعاةُ السُّوءِ وَالأهْواءِ فينا
فَيا خَيْرَ النَّبِيِّينَ الكِرامِ .. ! — وَأعْظَمَ مَنْ مَدَحْتُ مِنَ الأنامِ
إمامي أنْتَ يا بَدْرَ التَّمامِ — إذا اتَّبَعَ الغُواةُ المارِقونا
بِهذا أو بِذاكَ مِنَ اللِّئامِ
إذا اتَّبَعوا الطُّغاةَ المُرْجِفينا
تَرَكْنا الأمْرَ بِالمَعْروفِ جَهْراً — وَجِئْنا كُلَّ ما حَرَّمْتَ نُكْراً
فَلَمْ نَحْفَظْ لِعَهْدِكَ قَطُّ ذِكْراً — وَلَمْ نَصُنِ الأمانَةَ شاكِرينا
لِرَبِّ العَرْشِ نِعْمَتَهُ عَلَيْنا
وَصِرْنا نُنْكِرُ المَعْروفَ فينا
بَلِيَّتُنا .. وَقَدْ عَمَّتْ .. شِقاقٌ — يُغَذِّيهِ مِنَ المَلَإِ النِّفاقُ
وَفِتْنَةُ قَوْمِنا كاسٌ دِهاقٌ — مِنَ الأهْواءِ تُسْكِرُهُمْ عِزينا
فَلا يَفْنى الشَّرابُ وَلا يُراقُ
وَلا يُرْوى السُّكارى المُحْتَسونا

حسين الفخري [المدينة المنورة]

وطني السعيد

حَيِّ السَّعيدةَ عَرْضَها والطُّولا — واحْمِلْ إليها الحُبَّ والتبجيلا
وانْقُلْ إليها الشَّوقَ مِنْ أعْماقِنا — ومِنَ القُلوبِ إلى القُلوبِ ؛ رَسُولا
فالحُبُّ لِلأوْطانِ فَرْضٌ واجِبٌ — لا يَقْبَلُ التَّغْييرَ والتَّحْويلا
فَإلَيْكَ يا وَطَني تَفيضُ مَشاعِري — ويَتوقُ قَلْبي بُكْرَةً وَأصيلا
وإليكَ أُهْدي كُلَّ قَوْلٍ قُلْتُهُ — حَتّى ولو كانَ العطاءُ قليلا
فالحُرُّ مَنْ يَهَبُ البلادَ حَياتَهُ — وَيَصُدُّ عنها غازِياً وَدَخيلا
إنّا خَطَوْنا لِلأمامِ وَلَمْ نَعُدْ — نَخْشى الطُّغاةَ وَنَرْهَبُ التَّنْكيلا
الشَّرْعُ والقُرْآنُ مَصْدَرُ نَهْجِنا — والفِكْرُ في الإسلامِ كانَ دَليلا
ماذا يقول الحاقِدونَ فَحَسْبُهُمْ — أنّا رَفَضْنا قَوْلَهُمْ والقِيلا
إنّي أُهيبُ بِشَعْبِنا وَشَبابِنا — أنْ يَحْذَرُوا التَّشْكيكَ والتَّضْليلا
واللّهُ يَحْفَظُنا وَيَحْمي شَعْبَنا — وَيُزيلُ عَنّا الحِقْدَ والتَّجْهيلا

نبيل خالد محمد عثمان [الجمهورية العربية اليمنية]

الإعلام العربي .. وأمريكا

●● تحت هذا العنوان كتب الأخ : يوسف جبريل :

يصور لنا الإعلام العربي التعاون بين أمريكا وإسرائيل بأنه مجرد حرص من الرئيس الأمريكي ـ كل رئيس أمريكي ـ على كسب أصوات اليهود إلى جانبه ، وذلك لضمان فوزه برئاسة أمريكا .

هكذا يصور لنا إعلامنا هذا الأمر الخطير ويصر في تحليله على تأكيد ذلك .

وبناء على هذا التحليل الخاطىء وُجدت فكرة أخرى خاطئة تركز على أن الحل يكمن في أن يتخلص الرئيس المرشح أو المنتخب من ابتزاز اليهود لرئاسة أمريكا ، وذلك ناتج من استفحال التصور عندنا بأن الخير هو من أمريكا وأن الشر منها كذلك ، فحتى نضمن الخير ونُبعد الشر فلا بد من أن تكون أمريكا معنا ـ أو على الأقل ـ على الحياد ، فكانت الدعوات لإنشاء « لوبي » عربي مقابل « اللوبي » اليهودي .

إنهم لا يريدون أن يضعوا أيديهم على الحقيقة الساطعة بأن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض ، وأن الكفر ملة واحدة ، وأنه إذا كان الإسلام هو العدو لهم فالضرورة عندهم تحتم وقوف هؤلاء مع بعضهم ؛ ولا غرابة في ذلك بل هذا هو الأصل وديدن الأعداء منذ إشراق كلمة التوحيد .

ثم إنهم لا يدركون أنه في أمريكا لا يقرر رئيسها ولمجرد غاية في نفسه سياسة أمريكا ، ولا يمكن أن يقبل الشعب الأمريكي الذي يعيش الحرية في شتى مجالاتها أن تكون مقدرات أمريكا نهباً مقسماً لشخص رئيس يوزعها كيف يشاء لمجرد أنه يرغب في الفوز بالرئاسة .

إن الشعب الأمريكي الذي أسقط أحد رؤسائه بسبب ما يعرف بفضيحة « ووترجيت » قادر أن يوقف رئيسه عند حدّه إذا تجاوز مصالح الشعب الأمريكي ، لكن الشعب الأمريكي يفهم أن مصلحته أيضاً في دعم إسرائيل ودعم رئيسه ، فمصلحته تمليها عليه معتقداته ومبادئه ، ولا محل للعواطف عندهم ، بل مصالح ومصالح فقط .

أما إعلامنا فهذه طريقته في تبرير الهزائم ، كلما تلاحق الفشل انبرى داعياً إلى امتلاك أمريكا حيث يمكن بعدها إضعاف إسرائيل ومن ثم تحقيق الأماني العربية في « السلام العادل » . ●●

المؤتمر الخامس عشر

لوزراء خارجية الدول الإسلامية

■■ عُقد في صنعاء بالجمهورية العربية اليمنية في الفترة ٢٦ - ٣٠ ربيع الأول ١٤٠٥هـ [١٨ - ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٤م]، المؤتمر الخامس عشر لوزراء خارجية (٤٦) دولة إسلامية اعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي .. حيث اشتمل جدول اعماله على (١٠٦) بنود تتناول قضايا سياسية واقتصادية وثقافية وغيرها .. وكانت هناك قضايا اكثر إلحاحاً طغت على مناقشات المؤتمر وعبّرت عنها توصياته في صيغ مختلفة تتراوح بين الإدانة والمناشدة والمطالبة ..

واكد المؤتمر ان قضية فلسطين ـ قضية المسلمين الأولى ـ هي جوهر مشكلة الشرق الأوسط ولب الصراع العربي - الإسرائيلي .. وان قضية فلسطين ومشكلة الشرق الأوسط كلّ لا يتجزأ بالمعالجة والحل .. ودعا إلى عقد مؤتمر دولي تحت إشراف الإمم المتحدة لحلها ..

كما قرر تشكيل لجنة خماسية من الدول الإسلامية طبقاً للتوزيع الجغرافي، أطلق عليها اسم لجنة « مراقبة تحركات العدو الصهيوني » تكون مهمتها رصد نشاطاته في مختلف المجالات واقتراح السبل الكفيلة بمواجهتها ..

وادان المؤتمر التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والكيان الإسرائيلي، والموقف الأمريكي المعادي للحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني مطالباً في الوقت نفسه المجموعة الأوروبية باتخاذ مواقف اكثر إيجابية ..

وكانت القضية الأخرى التي تطرق إليها المؤتمر، الحرب العراقية الإيرانية، حيث دعا البلدين إلى التعاون الكامل والمخلص مع لجنة المساعي الإسلامية الحميدة من أجل التوصل إلى وقف فوري للحرب، وحل النزاع القائم بين البلدين على اساس عادل ومشرف .. كما ناشدهما مراعاة مبادىء الشريعة الإسلامية واتفاقية جنيف حول أسرى الحرب « وبروتوكول » جنيف حول الأسلحة الكيماوية .

وفي نطاق التضامن مع شعوب الساحل الافريقي، أكّد المؤتمر أهمية استمرار برنامج المعونة الغذائية الطارئة وبرنامج المعونة للمشروعات الإنمائية العاجلة في دول الساحل الأفريقي العشر وأهمية تبني البرامج التي وضعتها بلدان الساحل لمكافحة الجفاف وتعزيز قدرات الإنتاج الغذائي الذاتية .

وقد اختار المؤتمر شريف الدين بير زادة - وزير العدل الباكستاني السَّابق - لمنصب الأمين العام خلفاً للحبيب الشطي الذي عُيِّن في منصب أمين عام شرف دائم .. كما تم الاتفاق على أن يعقد المؤتمر السادس عشر هذا العام (١٩٨٥م) في المغرب، وأن يعقد مؤتمر القمة الإسلامي في الكويت في يناير [كانون الثاني] ١٩٨٧م . ■■

الكونجرس لا يناقش

المساعدات لإسرائيل !

■■ لأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة، تُثار قضية المساعدات الأمريكية لإسرائيل وذلك من خلال حوار تلفزيوني بثّته في اواخر عام ١٩٨٤م شركة التلفزيون الأمريكية «سي . بي . إس» وجاء في اعقاب إعلان اذاعته محطة «دبليو . إم . سي . آي» لحساب الجمعية الوطنية للعرب الأمريكيين، طرح من خلال قضية المساعدات .

وكشف الحوار الذي شارك فيه عدد من الشخصيات الأمريكية، كثيراً من الحقائق التي يغفل عنها العرب في تقديرهم للنظرة الأمريكية لإسرائيل، كما كشف النقاب عن الأسباب الحقيقية التي تجعل إسرائيل تحصل على كل ما تطلبه من امريكا من مساعدات .

وقال متحدث باسم اليهود في أمريكا تعليقاً على نشر الإعلان ورد الفعل العنيف الذي ابداه اليهود إزاءه : [إن مسالة بقاء إسرائيل هي مسالة حيوية ليهود امريكا، وحين يصل الأمر إلى حد تهديد بقاء إسرائيل فلنا الحق في الدفاع عنها] .

وكشف « بولي فندلي » عضو الكونجرس السابق الذي فقد مقعده في مجلس النواب بسبب انتقاده للغزو الإسرائيلي للبنان عن الإرهاب الذي يمارسه اللوبي الصهيوني ضد المسؤولين الأمريكيين في مختلف المؤسسات الحكومية والخاصة . وقال :

[... إن هدف اللوبي الإسرائيلي هو إسكات أيّ نقد موجه لإسرائيل في انحاء الولايات المتحدة، لا في المؤسسات الحكومية فحسب، بل وفي وسائل الإعلام ايضاً] .

واضاف : [... ليس هناك نقاش قط في الكونجرس الأمريكي حول المساعدات الأمريكية لإسرائيل، وان القضية الوحيدة التي تثار بهذا الصدد هي : كم سندفع هذه السنة لإسرائيل ... لقد عبر لي « هاملتون » رئيس اللجنة الفرعية لشؤون اوروبا والشرق الأوسط المنبثقة عن لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس النواب، عن الموقف تعبيراً دقيقاً حين قال في وصف نقاش الكونجرس للمساعدات الأمريكية لإسرائيل : إن كل ما يفعله الكونجرس هو زيادة المساعدات لإسرائيل] .

بقي أن نشير إلى أن المساعدة الأمريكية لإسرائيل في السنة المالية الحالية تبلغ (٢ر٦) مليار دولار .. بينما المطلوب للسنة القادمة (٤) مليارات دولار وإن كان هناك من يقول بانها (٨) مليارات حيث إن ما يعلن من ارقام لا يمثل الرقم الحقيقي لحجم المساعدات .. ويتم ذلك في وقت تسعى فيه الحكومة الأمريكية للتخلص من العجز في الموازنة العامة الذي يقدر بحوالي (١٠٠) مليار دولار، وذلك بتقليص الإنفاق على المرافق والبرامج الحكومية وخاصة برامج الإصلاح والضمان الاجتماعي التي يستفيد منها المرضى والعَجزة والعاطلون عن العمل وغيرهم من الشعب الأمريكي . ■■

الانتخابات العامة وقضايا المسلمين في الهند

■■ جرت في الهند مؤخراً الانتخابات العامة لاختيار النواب لـ « لَوك سَبْها » اي مجلس الشعب او البرلمان الهندي المركزي التي فاز فيها « راجيف غاندي » رئيس حزب المؤتمر وابن « انديرا غاندي » رئيسة وزراء الهند سابقاً بأغلبية المقاعد (٤٠١ مقعد من مجموع ٥٤٤ مقعداً) .

وكان هذا النجاح الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الانتخابات الهندية متوقعاً ومنتظراً حسب التقديرات والدراسات لمختلف الجهات لعدة اسباب منها :

١ ــ تعاطف معظم فئات الشعب مع « راجيف غاندي » بعد مقتل والدته « انديرا غاندي » على يد اثنين من حراسها من طائفة السيخ وما اعقبه من موجة الانتقام من السيخ .

٢ ــ إعجاب اغلبية الشعب الهندي ـ وهم من الهندوس ـ بالخطوات التي اتخذتها « انديرا غاندي » ـ قبل بضعة شهور من مقتلها ـ ضد طائفة السيخ بإصدار الاوامر للجيش باقتحام معبدهم الرئيس ـ المعبد الذهبي ـ في مدينة « امْرِتْسار » في ولاية بنجاب ، كما استطاعت إجراء تغيير في الحكومة القائمة في ولاية كشمير ، إذ دبرت عزل السيد « فاروق عبد الله » رئيس الوزراء الذي كان لا يرىٰ رايها في كثير من القضايا المتعلقة بمسلمي كشمير مثلما كان والده الشيخ عبد الله الملقب باسد كشمير رحمه الله ، وكان عزل السيد فاروق عبد الله وتعيين زوج أخته ـ غلام محمد شاه ـ الذي يؤيد ويساير حزب انديرا غاندي خطوة اولى نحو القضاء على الامتيازات الخاصة الممنوحة لأهالي كشمير بموجب دستور الهند ، فهذه الإجراءات ضد الاقليتين الرئيستين من قبل « انديرا غاندي » اوجدت رصيداً من الإعجاب من قبل الأغلبية الهندوسية . وعلى كل فقد استفاد منها ابنها « راجيف غاندي » بل تضاعف هذا العطف والتقدير بسبب هذه النهاية لحياة والدته .

٣ ــ عدم وجود المعارضة القوية ، لان الأحزاب الأخرىٰ تسلك مسالك متباينة بحيث لا يمكن تحقيق الوئام ولا التفاهم بينها باي شكل من الأشكال .

إن نتائج هذه الإنتخابات قد تحمل بعض المؤشرات الهامة بالنسبة للمسلمين :

● هُزم في هذه الانتخابات الحزب الهندوسي المتطرف المسمى بـ « بهارتيا جنتا بارتي » وخسر كبار زعمائه المعركة الانتخابية ، ويعتبر انهزامهم ـ وما يترتب على ذلك من غيابهم عن ساحة الأحداث ـ فترة هدنة للمسلمين رغم ان هؤلاء الزعماء لن يكفوا عن الاستمرار في نشاطاتهم السياسية خارج القنوات الرسمية . ومن المعروف ان هذا الحزب مدعوم بتنظيم إرهابي يسمى بـ (آر . يس . يس) الذي يحيك المؤامرات ضد المسلمين ويدبر لهم المجازر بشكل مخطط ، وقد زار زعماء هذا الحزب إسرائيل سراً عدة مرات وهم على اتصال دائم بالتنظيمات الصهيونية الإرهابية .

● كما هزم في هذه الانتخابات الحزب الشيوعي الذي كان في مركز قوي في ولايتين هما : « بنغال » و « كيرالا » .

ولكن الناظر لأوضاع المسلمين في الهند يتالم لأمرين اثنين : أولهما : تفرق المسلمين وتشتتهم وعدم وجود الرابطة القوية بينهم .

■ المرأة المسلمة في الانتخابات الهندية .. ماذا بعد التصويت ؟! ■

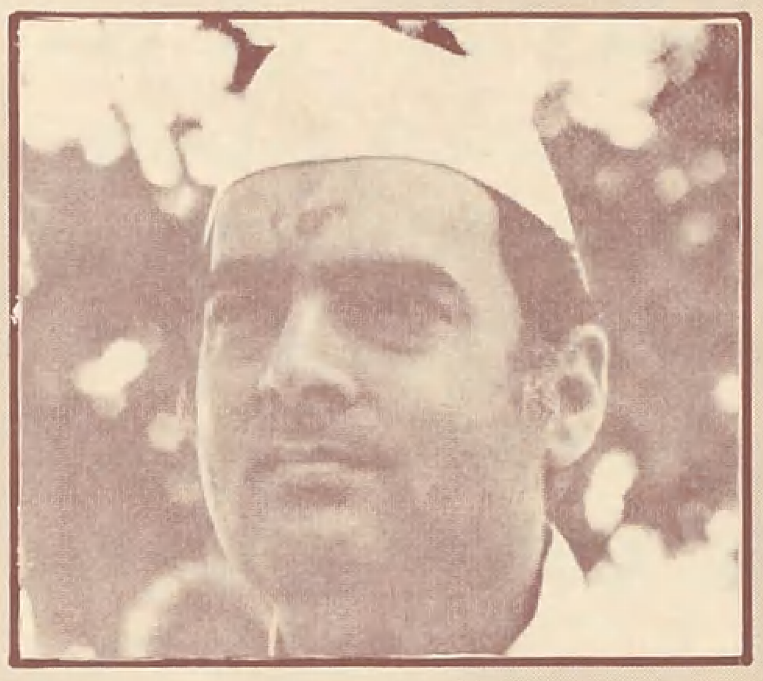

■ راجيف غاندي ■

وثانيهما : الحقد المستمر من قبل الهندوس على المسلمين ، وهو حقد اعمى ناتج عن جهل بدين الإسلام ، وتشويه لحقائق تاريخ شبه القارة الهندية ـ وفترة تاريخ الحكم الإسلامي خاصة ـ الذي استمر فيها سبعة قرون .

ويلاحظ أن بعض مسلمي الهند كانوا يميلون إلى مساندة حزب المؤتمر لأنهم كانوا يظنونه الحزب الذي يمكن ان يكون منصفاً او محايداً إزاء كثير من قضاياهم . ولكن الأحداث التي وقعت خلال السنوات الأربع الأخيرة ـ وخاصة مذابح المسلمين في « آسام » و « حيدر آباد » وفي اماكن اخرىٰ ـ قد اثارت سخط المسلمين وبدؤوا يفقدون الثقة في حزب المؤتمر شيئاً فشيئاً .

وإذا رجعنا إلى تاريخ الهند الحديث ـ خاصة إلى عهد ما قبل الاستقلال ـ نجد ان حزب المؤتمر كان يضم في كنفه جميع الطوائف الدينية والاتجاهات السياسية ، وكان للمسلمين دور هام في بروز هذا الحزب كجبهة وطنية قوية ضد الانجليز ، وكان الزعيم المسلم « محمد علي جناح » ـ مؤسس دولة الباكستان نفسه ـ من ابرز اعضاء حزب المؤتمر ورئيساً له لفترة من الزمن .

وقد اشترك المسلمون في الانتخابات الأخيرة في الهند بشكل غير منسق وبدون إدراك لمقتضيات الأحوال السائدة لأنهم كما قلنا آنفاً غير متحدين فيما بينهم .

ونلاحظ ان المجلس الوزاري الذي اعلن عنه « راجيف غاندي » يضم اثنين من المسلمين (احدهما سيدة) بمنصب وزير ، واربعة بمنصب وزير دولة . هذا ولم يتضح بعد مدى اهتمام هؤلاء الزعماء المسلمين الجدد بقضايا إخوانهم ، فهل يكون هؤلاء مسلمين حقاً ، يدركون مشكلات المسلمين في الهند ويعملون على معالجتها ويكونون عوناً لإخوانهم ؟ ■■

الداخلية الإسرائيلية تقوم

بدور الجماعات « المتطرفة »

■■ تناقلت وسائل الإعلام الإسرائيلية - مؤخراً - خبراً مفاده أن وزارة الداخلية الإسرائيلية قامت بعمليات فحص وتدقيق أماكن إقامة وسكن حاملي الهوية الإسرائيلية من سكان القدس ، وذلك بغية إسقاطهم من سجلات هذه المنطقة تمهيداً لسحب هوية القدس منهم ، واستبدالها بهوية الضفة الغربية بحجة سكنهم خارج منطقة القدس .

ويعتبر هذا الإجراء حلقة جديدة من حلقات التهويد والتشريد ومحاولات طمس الهوية الفلسطينية .. وسيترتب على هذا الإجراء « المخطط » حال اكتمال تنفيذه أضرار جسيمة تمتد لقطاع كبير من أهالي القدس الذين يحملون هويتها ، لا سيما أولئك الذين كانوا يقطنون في السابق في البلدة القديمة من المدينة ولهم فيها ممتلكات .. وسيتأثر بهذا المخطط قطاع واسع من الفلسطينيين في القدس في مناطق : الضاحية ، الرام ، وبيت حنا ممن يحملون هويات القدس .

ويشير هذا المخطط إلى أن وزارة الداخلية قررت القيام بالدور نفسه الذي كانت تقوم به في السابق الجماعات اليهودية ، المسماة « بالمتطرفة » ، في الاستيلاء على الأراضي العربية والبيوت القديمة واستملاكها إحكاماً لسيطرتها على المدينة المقدسة .. ■■

نفقـــات

التســلح العــالمي !

■■ اكدت إحصائية صدرت عن الاتحاد الامريكي اللاتيني لحقوق الإنسان والتنمية الاجتماعية ان العالم ينفق كل (٢٤) ساعة ملياري دولار على التسليح .. وان ثمن صاروخ واحد عابر للقارات يمكن ان يزوّد (٥٠) مليون طفل يتضورون جوعاً بالغذاء ، ويشيّد (٦٥) الف مركز طبي و(٣٤) الف مدرسة ابتدائية ، وان ثمن قاذفة نووية يمكن ان يقام به (٧٥) مستشفى يسع الواحد (٧٥) سريراً .. وان ثمن غواصة ذرية يمكن ان يشيّد به (٤٠) الف مسكن شعبي .

وإذا كانت منظمة الصحة العالمية انفقت خلال عشر سنوات (٨٣) مليون دولار للقضاء على الجدري فإن مكافحة الملاريا تراجعت منذ عدة سنوات بسبب نقص الاعتمادات المقدرة بـ(٤٥٠) مليون دولار ، وهو ما يوازي نصف ما تنفقه جيوش العالم خلال عشر ساعات .

واكد الاتحاد ايضاً انه يوجد في العالم جندي واحد لكل (٢٥٠) مواطن مقابل طبيب واحد لكل (٢٧٠٠) مريض . وبينما ينفق (١٦) الف دولار سنوياً على تدريب جندي واحد ، ينفق (٢٦٠) دولاراً على تربية طفل واحد ! ■■

التعبير بالصورة

« جورج شولتز » وزير الخارجية الأمريكية

[أداء طقوس الولاء للصهيونية !]

قراءة ثقافية

اليونسكو والدور المفقود

■■ في نوفمبر ١٩٤٥م ـ وبدعوة من فرنسا وبريطانيا ـ وقع ممثلو (٤٤) دولة في لندن على الميثاق التاسيسي لمنظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، وانطلقت الفكرة الرئيسة للمنظمة من مبدأ : « بما أن الحرب تولد في عقل البشر ، فإن السلام يجب بناؤه في عقل البشر » ودعا الميثاق إلى بناء سلام قائم على التضامن المعنوي والثقافي للإنسانية .

وطبقاً لانتماء المنظمة للمنظمة الأم ـ هيئة الأمم المتحدة ـ فإن « اليونسكو » منظمة دولية ، وهي غير مختصة بقضايا العالم الإسلامي التربوية والعلمية والثقافية فقط كما هو الحال لدى منظمة (الأسيسكو) التي تتبع منظمة المؤتمر الإسلامي ، ولكن دولاً إسلامية كثيرة مشتركة في منظمة اليونسكو ، مما يجعل لهذه القضايا التي تخص العالم الإسلامي جانباً في برامج المنظمة الدولية ..

وفيما عدا اعتماد اللغة العربية لغة دولية في اليونسكو ، والاهتمام بالآثار ، والإعلان عن إنشاء مركز إقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية للبلاد العربية ـ وهي بلاد إسلامية ـ يكون مركزه بغداد ، لا نستطيع أن نرى أثراً فعالًا لليونسكو في المجالات التربوية والعلمية والثقافية في البلاد الإسلامية .

ورغم أن قروضاً ليست قليلة قد حولتها بعض الدول الإسلامية إلى هبات لا ترد لليونسكو ، فإن الأخطاء العلمية التي تقع فيها المنظمة الدولية لا تنتهي ، وتغلغل الاتجاهات والعناصر الهدامة داخلها وهي تلبس ثوب العلمية لا ينقطع .. وليس المال ـ الذي أرادت الولايات المتحدة بانسحابها الأخير أن تمنعه عن المنظمة لتعرقل نشاطها ـ بقادر على التأثير ـ بصفة عامة ـ على المنظمة ، بجانب الإنفاقات الرغيدة التي تدفعها دول إسلامية لليونسكو ولا يقابلها اي مردود ثقافي أو علمي او تربوي بالحجم نفسه ، وهذا ما جعل دولاً ـ غير الدول الغربية ـ تفكر مؤخراً في القيام بنفسها بالإنفاق لهذه الأموال التي تدفعها لليونسكو في المجالات التي تحتاجها هذه الدول .. وهو اتجاه آخر للانسحاب من المنظمة الدولية .

ورغم أن حجية الانسحاب الذي أعلنته الولايات المتحدة ، وهو ما تنويه بريطانيا قريباً ـ في أن المنظمة قد تدخلت فيما لا ينبغي لها أن تتدخل فيه من أمور سياسية ، وأنها ارتكبت مخالفات مادية ، وأن عناصر التجسس السوفييتي قد سيطرت عليها ، رغم ذلك فإن الدافع الأول لانسحاب الولايات المتحدة ـ فيما يراه المراقبون ـ يتلخص في اتجاهات المنظمة لنصرة قضايا العالم الثالث ، ومحاولة التدخل لوقف خطط إسرائيل للقضاء على الآثار العربية في فلسطين وتهويد كل شيء في الأرض المحتلة ، ومعاداة الغرب بصفة عامة ، مما ورّث انطباعاً بأن المحاولات الأولى للضغط على الولايات المتحدة لكي تنسحب من اليونسكو قد جاءت من إسرائيل .

فإذا كانت هذه هي اتجاهات الغرب وأسبابها حول المنظمة الدولية ، فقد كان واجباً على المنظمة الدولية أن تكون دائماً في حيدة وبمنأى عن سيطرة أية اتجاهات داخلها تؤثر على إنتاجها ومطبوعاتها التي جاءت في أكثر من مرة مهاجمة للإسلام ، ومليئة بالمغالطات والأخطاء .. ، فمنذ أكثر من ثماني سنوات أعلن أكثر من كاتب ومفكر إسلامي احتجاجه على مغالطات اليونسكو في حق الإسلام في بعض مطبوعاتها ، وأصدر أحدهم (محمد عبد الله السمان) كتاباً خاصاً رداً على المنظمة الدولية ، وكان من المفروض أن تتدارك المنظمة ذلك وتسحب مطبوعاتها تلافياً للخطأ ، ولكن ذلك لم يحدث .. ومؤخراً كتب مجموعة من العلماء اليهود الذين استكتبتهم المنظمة تعريفاً للقرآن الكريم فذكروا أنه نسخة مشوهة من التوراة .. ولولا تنبه لجان التدقيق العلمية لذلك لكانت مغالطة وجرماً كبيراً في حق الإسلام .. ■■

متابعة ثقافية

■ قررت اللجنة المختصة بجائزة الملك فيصل العالمية بالسعودية اختيار عبد رب الرسول سياف رئيس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي افغانستان فائزاً وحيداً بالجائزة في مجال خدمة الإسلام ، كما قررت حجب جائزة الأدب العربي هذا العام ـ وكانت مخصصة لموضوع « النقد الأدبي عند العرب » ـ لعدم رقي الأعمال المقدمة لمستوى الجائزة ، واختارت لجائزة الدراسات الإسلامية ثلاثة هم : الدكتور فاروق الدسوقي (مصر) والدكتور محمد رشاد سالم (السعودية) والدكتور مصطفى محمد حلمي سليمان (مصر) .. ومن المعروف أن مقدار الجائزة هو (٢٥٠) الف ريال سعودي .

■ ازدياد الوعي بأهمية الإعلام الفعَّال والمؤثر وحاجة المسلم إليه انعكس على الساحة في صورة صحف ومجلات إسلامية الرؤية والتناول .. ففي المغرب ، صدرت مجلة « الفرقان » ، إسلامية ، ثقافية ، شهرية .. وفي السودان ـ وفي إطار الاحتفال بمرور عام على إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية ـ صدرت صحيفتا « الصحوة » و « الأصالة » ، وهما إسلاميتان سياسيتان ، اسبوعيتان ..

■ يبذل الدكتور محمد سعيد الأعظمي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية جهداً عظيماً لجمع وتصنيف الأحاديث النبوية وحفظها في « الكومبيوتر » .. وقد تم حتى الآن إدخال كتب الأحاديث الستَّة ومسند الإمام احمد بن حنبل ، إضافة إلى المعلومات المتعلقة بالأحاديث الموجودة في تلك الكتب .

■ ترجم المستشرق الفرنسي « بيير كود » تفسير الطبري للقرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية .. الترجمة في خمسة مجلدات ، نشرت هيئة التحرير الفرنسية المسماة « الساعات النيرة » مجلدين منها ..

■ صدرت مؤخراً الترجمة الفرنسية الجديدة لمعاني القرآن الكريم ، قام بها الدكتور صلاح الدين كشريد

في عالم الاقتصاد

« أوبك » في مواجهة مخططات « كيسنجر »

■■ يعتقد كثير من المراقبين ان «الأزمة» التي تعانيها منظمة الأقطار المصدرة للنفط «اوبك» لهي اقوى مؤشر على بوادر نجاح مخطط القضاء على «اوبك» الذي وضعه « هنري كيسنجر » عام ١٩٧٤م في اعقاب الحرب الإسرائيلية ـ العربية الثالثة (١٩٧٣م) والتي استُخدم فيها النفط لأول مرة كسلاح من اسلحة العرب .. ذلك ان الارتفاع المفاجيء لسعر برميل النفط من (٣) دولارات تقريباً إلى (٣٠) دولار ، لم يكن بإرادة من «الأوبك» بقدر ما كان فرضاً من الولايات المتحدة وشركاتها النفطية التي تسيطر على معظم التجارة العالمية للنفط ..

وقد انساقت دول «اوبك» وراء موجة ارتفاع الأسعار دون ان تفطن لأبعاد ذلك وغمرت السوق بكميات ضخمة من النفط ، وفي سنة واحدة ـ فيما بين عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩م ـ قفز إنتاج «اوبك» اليومي من (١٩) مليون برميل إلى (٣٢) مليون برميل وهو ما منح الدول الصناعية قوة هائلة بان امتصت هذه الزيادة في الإنتاج ، ليس للاستهلاك وإنما للتخزين لاستعمالها في الوقت المناسب ، وفقاً لمخططات كيسنجر ..

ويبدو ان الوقت المناسب حان الآن ، حيث وجدت «اوبك» نفسها فجاة في مواجهة مع « وكالة الطاقة الدولية » التي اسستها في عام ١٩٧٤م الدول الصناعية بهدف السيطرة على سوق النفط وتحويله من سوق بائعين إلى سوق مشترين .. وبدات «اوبك» شيئاً فشيئاً تفقد سيطرتها على السوق الدولية للنفط التي تخضع لقانون العرض والطلب ممّا ادى إلى تدهور الأسعار وانخفاضها .. ولم تعد «اوبك» التي قدمت نصف إنتاج النفط العالمي عام ١٩٧٩م ، تمثل الآن سوى ثلث إنتاج السوق .. بينما لم يتجاوز صافي دخل المنظمة من مبيعات النفط عام ١٩٨٤م حدود الـ(١٥٨) مليار دولار مقابل (٢٨١) مليار دولار عام ١٩٨٠م .

ولم تجد «اوبك» امامها من سبيل لحل مشكلتها ومواجهة الضغوط التي تمارس عليها لخفض الأسعار إلَّا بالمحافظة على سقف للإنتاج لا يتجاوز (١٦) مليون برميل يومياً .. وقد انشات في اجتماعها الاخير الذي عقد في جنيف اواخر عام ١٩٨٤م جهازاً لمراقبة كميات واسعار النفط ، منعاً لأية دولة من تجاوز حصة إنتاجها او خفض اسعار نفطها .. ومع ان جهاز الرقابة لا يملك سلطة معاقبة اية دولة تتجاوز حدود ما تم الاتفاق عليه إلَّا انه يعتبر محاولة لتماسك «اوبك» من اجل التغلب على مخططات « كيسنجر » . ■■

هامر ينقب عن النفط في فلسطين المحتلة

■■ أعلن الدكتور « أرماند هامر » ـ وهو يهودي أمريكي ـ عن عزمه تشكيل شركة خاصة تتفرع عن شركته « أوكسيدنتال » للنفط وبالتعاون مع شركات أخرىٰ ، من أجل البدء بالتنقيب عن النفط في فلسطين المحتلة ، وذلك ابتداءً من شباط (فبراير) المقبل وبعد أن يزور الاتحاد السوفييتي في محاولة لإقناع أصدقائه من القادة السوفييت بالسماح بالمزيد من هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل وبإعطاء اليهود الباقين نوعاً من الامتيازات الخاصة . ■■

تعاظم مشكلة الغذاء في العالم العربي

■■ تعتبر الحبوب من المحاصيل الاستراتيجية في العالم العربي ؛ إذ تعد مصدراً لحوالي ٦١٪ من إجمالي السعرات الحرارية ونحو ٧٠٪ من إجمالي البروتين في غذاء الإنسان العربي . إلَّا ان العالم العربي يواجه مشكلة اتساع الفجوة الغذائية وذلك بسبب قلة الإنتاج من ناحية وزيادة الطلب عليها من ناحية اخرىٰ ، ممّا ادىٰ إلى تزايد الاعتماد على العالم الخارجي في توفير مجموعة من السلع الاستراتيجية وهو ما قد يعرض الأمن الغذائي العربي للخطر بل وينال من الاستقلال السياسي وحرية الإرادة والكلمة للأمة .

وتشير دراسة صدرت مؤخراً عن « المنظمة العربية للتنمية الزراعية » حول الوضع الراهن والمستقبلي لإنتاج واستهلاك الحبوب في العالم العربي إلى اتساع الفجوة الغذائية العربية من حوالي ٦ر٥ مليون طن خلال الفترة (٧٠ ـ ١٩٧٢م) إلى حوالي ١ر١٩ مليون طن خلال الفترة (١٩٧٩ ـ ١٩٨١م) ، الأمر الذي ادى إلى انخفاض نسبة الاكتفاء الذاتي من الحبوب من حوالي ٣ر٧٨٪ إلى ٨ر٥٥٪ .. وتشكل الفجوة الغذائية في القمح النسبة الكبرىٰ من إجمالي الفجوة الغذائية في الحبوب .

وتتوقع الدراسة ان إنتاج الحبوب في العالم العربي عام (٢٠٠٠م) سيكون حوالي ٣ر٢٦ مليون طن بينما تصل الاحتياجات إلى حوالي (١١٠) ملايين طن ، هذا إذا استمرت الظروف الإنتاجية والعوامل المؤثرة على الطلب التي سادت عقود السبعينات ..

ويتضح من ذلك مدىٰ تدهور نسبة الاكتفاء الذاتي من السلع الاستراتيجية «الحبوب» .. وتنصح الدراسة بضرورة البحث عن الوسائل الممكنة الهادفة إلى تحسين نسبة الاكتفاء الذاتي من هذه السلع وتقليل الاعتماد على العالم الخارجي في توفير الغذاء ، لا سيما ان لدى العالم العربي الإمكانات المتاحة لتحقيق هذا الهدف .

من جهة اخرىٰ حذَّر الدكتور عبد المحسن زلزلة الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية من تعاظم الفجوة الغذائية مشيراً إلى انها تضاعفت اكثر من عشر مرات خلال العقد الاخير ، بحيث اصبحت قيمة المستوردات الزراعية تتجاوز (٢٥) بليون دولار ، وان الحصة العربية من بعض المواد الغذائية في السوق الدولية تجاوزت ٣٦٪ بكل ما يعنيه ذلك من تبعية خطيرة يتوقع تفاقمها إن لم يتم تدارك الأوضاع الحالية ..

وقال : إن نهاية هذا القرن ستشهد صعوبة في حصول الدول العربية على حاجاتها الغذائية من السوق الدولية حتى ولو كانت الدول العربية تملك الموارد المالية لسداد ثمنها .

واوضح انه من المفارقات ان الدول العربية التي تملك جميع مقومات تحقيق نهضة زراعية شاملة واكتفاء ذاتي في عدد مهم من المنتوجات الزراعية تواجه اليوم مثل هذه المشكلة الخطيرة وتتسامح في استمرارها ! ■■

●● ورد في آخر تقرير لمنظمة «اليونيسيف» التابعة لمنظمة الامم المتحدة تحت عنوان «وضع الأطفال في العالم ١٩٨٥م»، أن في العالم العربي وحده يموت سنوياً مليون ومائتا ألف طفل، بينهم (٧٨٠) ألفاً تحت السنة الأولى من العمر، والبقية بين السنة الأولى والرابعة .. وأن أكثر التقديرات تفاؤلاً تشير إلى أن هذا الرقم لن يكون أقل من (٦١٠) آلاف مع نهاية القرن الحالي .. وتعني تلك الأرقام أن (٣٢٠٠) طفل تحت سن الرابعة يموتون يومياً في العالم العربي بينهم (٢١٠٠) طفل تحت السنة الأولى !

●● على هامش مأساة «بوبال» التي راح ضحيتها أكثر من (٢٥٠٠) شخص، حذَّر خبراء من احتمال أن تكون مصانع امريكية أخرى خارج الولايات المتحدة بمثابة قنابل زمنية راقدة في أراضي المجتمعات النامية التي تفتقر إلى التقدم العلمي والتقني.

ويرى بعض المنتقدين ان المصانع المقامة في دول العالم الثالث يقتصر نفعها على الدول المتقدمة وحدها، هذا إذا استثني توفيرها فرص العمل للأهالي المحليين .. ويقول «ديفيد وير» مؤلف كتاب «دائرة السم» إن ٦٠٪ تقريباً من المبيدات الحشرية المنتجة في مصانع دول العالم الثالث، تستخدم في إنبات محاصيل غذائية تصدر إلى الدول الصناعية ..

●● حققت حرب الناقلات في الخليج التي تدخل في إطار الحرب العراقية الإيرانية، أرباحاً ضخمة لمؤسسات إصلاح السفن وشركات الإنقاذ البحري، وللأطقم التي تعمل بالمناطق الخطرة «مناطق العمليات الحربية» وورثة القتلى والمصابين خلالها .. وتقدر المصادر الملاحية بدولة الإمارات العربية المتحدة المبالغ التي تم إنفاقها لإصلاح وصيانة ناقلات النفط والسفن التي تضررت خلال النصف الثاني من ١٩٨٤م بنحو (٥٠) مليون دولار، وتقدر التكاليف الناجمة عن التعويضات التي صرفت عن الخسائر البشرية بستة ملايين و (٢٠٠) الف دولار حصل عليها ورثة القتلى من اطقم الناقلات والمصابون خلال الهجمات الجوية عليها ..

●● أعلنت القيادة السياسية لبنغلاديش تحويل مساجد الدولة البالغ عددها حوالي (٢٠٠) الف مسجد إلى مراكز للتعليم الإسلامي .. وفي هذا الإطار تم تعيين معلمين لتدريس الأطفال وتعليمهم قراءة القرآن ..

أخبار

قصيرة

●● تفيد نتائج الإحصاء السكاني الذي أجري عام ١٩٨٤م ونشر مؤخراً في كراتشي، أن الباكستانيين الذين يستطيعون قراءة القرآن باللغة العربية أكثر من الذين يستطيعون قراءة صحيفة بلغتهم .. فهناك حوالي ٣٨٪ من السكان أكَّدوا على انهم يستطيعون قراءة القرآن باللغة العربية، بينما هناك ٢٦٪ فقط يستطيعون قراءة صحيفة أو كتابة رسالة باللغة الأوردية ..

ولعلَّ من آيات حفظ الله سبحانه وتعالى لكتابه الكريم أن أعداداً كبيرة من الصغار والكبار في باكستان والهند وغيرهما يحسنون تلاوة القرآن وقراءته ويحفظون آياته، هذا في الوقت الذي لا يتحدثون فيه باللغة العربية.

●● قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي اتخذته في دورتها الأخيرة بالدعوة «إلى ضرورة الانسحاب الفوري للقوات الأجنبية من أفغانستان» وجاء باغلبية (١١٩) صوتاً في مقابل (٢٠) وامتناع (١٤) عن التصويت، هو سادس قرار من نوعه يحظى بهذه الأغلبية الكبيرة منذ غزو القوات السوفيتية لأفغانستان .. وما تزال هذه القوات تعمل على زيادة تواجدها دون أن تابه لما يطلقه المجتمع الدولي من نداءات ورجاءات، تماماً كما تفعل إسرائيل وأمريكا تجاه القرارات التي تصدر بشأن فلسطين ..

●● قرر مجلس كنائس ماليزيا والأساقفة الكاثوليك في «سنغافورة» و «ماليزيا» إنشاء جبهة لما أسمي «حماية الحقوق الدستورية للنصارى من النزعة إلى تطبيق النظم الإسلامية في البلاد».

وقد اتخذ القرار بالإجماع في اجتماع عقد مؤخراً في «منتونج».

[الغرباء] العدد ٤ السنة ١١ محرم ١٤٠٥هـ

●● وافق المجلس الوطني الاتحادي لدولة الإمارات على مشروع قانون اتحادي خاص بالمعاملات المدنية يضم (١٥٢٨) مادة، كأول تقنين للمعاملات في الدولة طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.

●● تقرر في دولة الإمارات العربية المتحدة إغلاق المحال التجارية خلال أوقات الصلاة يوم الجمعة.

●● جرى في جنيف انتخاب أمين عام جديد لمجلس الكنائس العالمي «إميليو كاسترو» (٥٧ عاماً) وهو من أورجواي، خلفاً «لفيليب بوتر» الذي ظل يشغل هذا المنصب الهام لمدة اثني عشر عاماً.

ومن المعروف أن مجلس الكنائس العالمي يمثل (٣٠١) كنيسة - بروتستانتية وأرثوذكسية - يبلغ مجموع اتباعها (٤٠٠) مليون نسمة.

وكان المجلس المذكور قد انشىء عام ١٩٤٨م، ويضم لجنة تنفيذية مكونة من (١٥٨) عضواً هي التي انتخبت الأمين العام الجديد.

ويعتبر «إميليو كاسترو» من اتباع التيار الكنسي الجديد الذي يدعو إلى «التحرر الديني»، والذي أصبح في نظر المحافظين في أمريكا وأوروبا - كما تقول مجلة «تايم» الأمريكية في تقريرها - رمزاً لتاييد النصارى للحركات الماركسية الثورية وتبنِّي العلمانية.

●● جامعة تل أبيب انشأت قسماً خاصاً لدراسة الأدب العربي ..

●● أعلنت «مالطة» اعتماد تدريس اللغة العربية في مدارسها الابتدائية اعتباراً من العام الدراسي الحالي، وأكَّد وزير الصناعة المالطي خلال زيارته للأردن في الفترة الأخيرة أن الجامعات المالطية ستبدأ تدريس اللغة العربية في وقت قريب .. تعيش في مالطة جالية عربية كبيرة ..

●● أعلن الشباب المسلم في إندونيسيا رفضه التام لما تزمع الدولة من إعلان «أحكام بانجاسيلا» لتكون أحكاماً للحياة في البلاد التي يشكل المسلمون فيها أكثر من ٩٠٪ (طبقاً لما نقلته صحيفة الوطن الكويتية).

وتقول هذه الأحكام - وهي مجموعة من الأفكار والأحكام الوثنية كانت تسود منطقة جنوب شرقي آسيا قبل دخولها الإسلام - تقول بوحدة الوجود وتعدد الآلهة وفصل العبادات عن الحياة والسياسة وغير ذلك من الأفكار الوثنية التي تتعارض بشدة مع الإسلام.

●● من المتوقع أن تتأزم العلاقات في الكاميرون مجدداً بين الشمال المسلم والجنوب النصراني بعد لجوء الرئيس «بيا» إلى إعدام (٣٥) شخصاً من مسلمي الشمال بتهمة محاولة الانقلاب التي وقعت في الشهر الماضي ..

متابعـــــات

●● برز التحرك الفرنسي تجاه قضية الشرق الأوسط في الشهور الأخيرة ، بشكل ملفت للنظر ؛ فالرئيس الفرنسي نفسه (ميتران) قام بزيارة بعض العواصم المعنية ، فيما قام عدد من كبار المسؤولين العرب ، ورئيس وزراء العدو (شمعون بيريز) ، بزيارة العاصمة الفرنسية ومقابلة ميتران . وقد رافق ذلك نشاط أوروبي واتصالات أوروبية عربية ، بخصوص القضية نفسها . وبطبيعة الحال نشط الحديث عن المبادرة الأوروبية التي تحدث عنها كثيرون منذ سنوات ، ولكنها لم تكن يوماً إلّا كالحمل الكاذب ، الذي تكون نتيجته استرخاء عربياً ووهماً مرضياً ، وأحياناً اقتتالاً على قبول أو رفض مبادرة لم تطرح .

حديثنا ينحصر بالموقف الفرنسي ، لأن فرنسا تتمتع منذ عام ١٩٦٧م بسمعة طيبة متميزة عن بقية الدول الغربية لدى الأوساط العربية الرسمية على الأقل . ولم يقصر العرب منذ ذلك الوقت بالإشادة بالموقف الفرنسي .

ولكننا نعتقد أن العرب قد بالغوا في تقدير ذلك الدور ، وبالغوا في توقعاتهم من باريس ، وتجاهلوا الحدود التي لا يمكن لفرنسا أن تتخطاها ، كدولة غربية أوروبية أطلسية ذات ماض استعماري في العالم العربي بشكل خاص ، وكدولة ساهمت ودعمت قيام إسرائيل انسجاماً مع ذلك الطابع .

ويخطىء كثيراً من يظن أن الغربيين يمكن أن ينسوا حقدهم على الإسلام والعرب ، وينخلعوا من ماضيهم . ولا أدل على ذلك من الاستنكار اليميني والاشتراكي الذي قوبل به اشتراك وزير الخارجية الفرنسي السابق « شيسون » ، في احتفالات الجزائر في نوفمبر [تشرين الثاني] الماضي . وقد صاحب ذلك قيام الرئيس الفرنسي بإعادة الاعتبار لضباط التنظيم السري ، الذين عارضوا استقلال الجزائر وقاموا بأعمال إرهابية لإحباط المفاوضات الفرنسية الجزائرية من أجل الاستقلال ، وبذلك اعتبرت حرب الجزائر « هزيمة وطنية » ، لا حرباً استعمارية . وهذا يذكرنا بقول « برجزنسكي » ، مستشار الرئيس الأمريكي السابق « كارتر » ، للأمن القومي : « الخطأ في حرب فيتنام ليس أننا خضناها ، ولكن أننا لم نكسبها » .

ويخطىء كثيراً من يتوهم أن زعماء إسرائيل يطوفون هنا وهناك من أجل السلام ، ففي الوقت الذي انحصرت فيه اللقاءات العربية الفرنسية بالبحث في إحلال السلام ، كان « بيريز » يفاوض فرنسا على شراء التكنولوجيا النووية . هكذا « المبادرات للعرب » و « التكنولوجيا النووية » لإسرائيل . ●●

القبس

العالم العربي على مشارف قرن جديد

■■ هناك دراسات مستقبلية تستشرف المستقبل العربي أجراها العديد من العلماء العرب حول جوانب شتى من الحياة العربية المعاصرة ، تعطينا صورة مخيفة حول حقيقة التخلف التنموي في عموم الوطن العربي .

والمتتبع لهذه الدراسات يخلص إلى أن مستقبل الوطن العربي برمته صار في خطر كبير ، إذا لم يبادر العرب منذ الآن ، بالتخطيط والتنفيذ له .

تؤكد هذه الدراسات المستقبلية بعض النقاط التي تستأهل الانتباه إليها وإمعان النظر فيها :

● فالعرب يصدرون للولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان ، ويستوردون السلع من هناك . فماذا يصدرون ؟ وماذا يستوردون في المقابل ؟ العرب يصدرون المال والنفط ويستوردون السلع الاستهلاكية .

فالمال العربي في مصارف الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وصل إلى (٢٥٠) مليار دولار . والعمال العرب ذوو المهارات الذين يعملون هناك بعد هجرتهم للعالم العربي بلغوا مليوني عامل وفني ومتخصص بين طبيب ومهندس ، أي حوالي ٥٪ من قوة العمل العربية ، وما بين ٣٠ ـ ٥٠٪ من العقول والأدمغة هاجرت لأسباب سياسية واقتصادية .

مقابل المال والنفط والفوسفات نستورد من أوروبا الغربية والولايات المتحدة وكندا واليابان السلع الغذائية والمصنعة والأسلحة والأدوية ... أي أننا نصدر كل ما يساعد الغرب على الإنتاج (نفط ، مال وعقول) ونستورد كل ما يغرقنا أكثر وأكثر في مستنقع الاستهلاك الآسن الراكد .

● عام ١٩٧٠م كان العرب (١٢٥) مليون نسمة ، وعام (٢٠٠٠م) سيصبحون (٣٢٣) مليون نسمة . أي سيكون هناك (١٣٠) مليون طفل في سن الالتحاق بالمدارس ، فهل هناك مدارس لاستيعاب هذا العدد الضخم ؟

● الوضع الصحي في العالم العربي غير مشجع ، فحوالي ٨٠٪ من العرب يعانون أمراضاً مثل البلهارسيا والسل وسوء التغذية والتراخوما والأمراض الباطنية والتناسلية .

● الوضع التعليمي أيضاً غير مشجع ففي نهاية القرن سيكون ٥٠ ـ ٦٠٪ من العرب أميين . والجامعات العربية التي تضم أعداداً ضخمة من الطلاب ، تفتقر إلى المكتبات والمختبرات والبحث العلمي المرتبط بالمجتمع العربي . ونتيجة لغياب الخطط لاستيعاب المتعلمين والمتخصصين فإن عدداً كبيراً من هؤلاء يهاجرون إلى الخارج .

● الهجرة من الريف إلى المدينة في الوطن العربي باتت تهدد الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمدن العربية الرئيسة .

وإذا استمرت معدلات الهجرة على ما هي عليه فسوف يكون لدينا (٢٠٦) ملايين عربي يقطنون المدن ، و (١١٧) مليوناً في الريف ، وهذا عدم توازن مخيف خطير لأنه ينهك المدينة ويهمل الريف ، ويعرض الأجيال العربية القادمة لأخطار التركز السكاني التي بدأت تتفشى ، مثل ظاهرة البطالة ومدن الصفيح وأحزمة الفقر والانهيار في مستوى أداء الخدمات . لا بد من التفكير في تنمية الريف واستيطان الصحارى ، فهذا هو الحل .

● قوة العمل العربية حوالي (٧٠) مليون عامل تعاني كثيراً في ظل الارتجال العربي الحالي ، ففرص العمل في ضمور مستمر بالنسبة لتزايد عدد السكان ، وتقدر نسبة البطالة في نهاية هذا القرن بـ ٥٠٪ من قوة العمل . ومع البطالة تأتي الأمراض كافة .

● الرقعة الزراعية في العالم العربي لا تستغل كما يجب ، ولو تم التخطيط لاستغلالها فإن الإنتاج الزراعي في العالم العربي بالإمكان مضاعفته إلى خمسين ضعفاً . ولا شك أن هذا يتطلب كثيراً من التخطيط والمثابرة والعمل من خلال التوعية العامة لأهمية النشاط الزراعي واستصلاح الأراضي ومكننة الريف وتنشيط البحوث العلمية وإقامة البنوك الزراعية ...

● الماء في العالم العربي من أثمن الثروات وأندرها . هذه الثروة يجب أن توضع السياسات والنظم والقوانين لترشيد إنفاقها . إننا بحاجة إلى متخصصين في ري المناطق الجافة والحارة وفي استحداث أساليب للحفاظ على الثروة المائية وتثميرها .

● رغم وجود المواد الخام والكثافة السكانية والمال العربي ، لم تنهض الصناعة كما يجب ، ولم يتم استثمار المورد البشري الاستثمار الأمثل . لدينا ثلاثة أرباع مليون خريج جامعي ٤٠٪ منهم متخصص في الفروع العلمية والتطبيقية ، ولدينا نصف مليون في الجامعات . فلماذا لم تنهض الصناعة العربية ؟ هل بسبب تدني المستوى التعليمي ؟ أم بسبب الموقف السلبي من الانخراط في الصناعة ؟ هل بسبب الأدمغة ؟ أو بسبب التقلبات السياسية ؟ أو غياب التخطيط والتبعية الاقتصادية للغرب ....!!

● من الثروات الأساسية النفط ، ولكننا تعاملنا معه كمصدر للطاقة فقط . لا بد من تأسيس المعاهد المتخصصة في شؤون النفط : إنتاجاً ونقلاً ، وتصنيعاً وتكريراً وتسويقاً . ولو استطاع العرب اكتساب هذه القدرة العلمية في فهم واستيعاب شؤون النفط وصناعاته لاستطاعوا الارتفاع بعوائده إلى ألف بليون دولار وتوظيف مليون عامل ومهندس وكيميائي وتشغيل خمسة ملايين عامل ، بدلاً من العدد الضئيل المشتغل حالياً في قطاع النفط والذي لا يتعدى مائة ألف عامل عربي في كل الدول العربية . ■■

[العدد ٤٤٩٤]

الاعتصام

العامل الديني في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية

■■ المسالة الحيوية المنسية عن الإعلام العربي الرسمي وغير الرسمي هي دور الكنيسة في تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية تجاه القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين . فالذين يدرسون الشؤون الأمريكية من بيننا لا يرون إلَّا ما يسمى اللوبي الصهيوني ، وما تقدمه إسرائيل من خدمات لأمريكا . ورغم انه لا يمكن إنكار اهمية هذين العاملين ، إلَّا ان تجاهل العامل الديني الذي يذهب عميقاً في جذور المجتمع الأمريكي ومسامه ، ويصوغ النزعة الجماهيرية المتميزة والمتحيزة لإسرائيل ، يؤدي إلى ان يظل فهمنا ودراساتنا للشؤون الأمريكية عائمة على السطح ودون فعل مؤثر .

ورغم أن الدين مفصول عن الدولة دستورياً في الولايات المتحدة إلَّا انه يمتزج بكل شيء في حياة الناس ، خاصة في المجال السياسي . وتنتشر المؤسسات الدينية بشكل واسع في المجتمع الأمريكي ، وتتجاوز فيه مسائل الصلاة والعبادة إلى حياة الإنسان اليومية . وكل الكنائس الأمريكية « مُسيَّسة » برغم ان اتباعها لا يدركون ذلك . وحديث السياسة الذي يقدمه الواعظ في الكنيسة هو حديث من غير مختص ، وهنا مكمن الخطورة . والكنيسة في الولايات المتحدة غنية جداً ، وهي تمتلك اراضي شاسعة وعقارات ووسائل إعلام .

تمثل الكنائس البروتستانتية معظم الشعب الأمريكي . وبينها وبين إسرائيل علاقة ذات جذور تاريخية عبرية تؤكد على الاختيار الإلهي لإسرائيل ، والصلة بين دولة إسرائيل الحديثة وإسرائيل التوراة ، فشروح الدين في امريكا موضوعة في قوالب يهودية مثل « الارض الموعودة » و « الشعب المختار » ، كما تقوم أسسه على فرضيات صهيونية وباقتناع نصراني من غير ضغوط إسرائيلية او صهيونية . وتقوم برامج الكنيسة الإنجيلية على اساس أن كل نصراني مخلص يجب أن يؤمن بقدوم المسيح الثاني ، وان اهم إشارة لهذا المجيء قد هلَّت حينما أسست « دولة إسرائيل » في الأرض المقدسة الموعودة ، وبالتالي فإن دعم وجود إسرائيل هو تاييد وتسريع في قدوم المسيح .

وتشمل البرامج الإنجيلية ايضاً الدعوة إلى دراسة اللغة العبرية والمساهمة في تنمية إسرائيل عن طريق التمويل والإصلاح الزراعي والسياحة والدعم السياسي والحربي والاقتصادي . وينص البرنامج العقيدي ايضاً على ان هذا التاييد النصراني لإسرائيل ليس اختيارياً بل إنه قضاء إلهي ، وبالتالي فإن « معارضة إسرائيل هي خطيئة في حق الله ذاته » .

ولقد عمَّق من هذه النزعة التوراتية الصهيونية عقدة الذنب تجاه ما عاناه اليهود على ايدي النصرانية الأوروبية . وقد نجح الصهاينة في استغلال هذه العقدة كدافع لدعم وتاييد إسرائيل بشكل متواصل .

وتعود جذور الصهيونية في الكنيسة إلى القرن السادس عشر عندما ظهرت حركات الإصلاح الديني ، وبرزت الكنيسة البروتستانتية واخذت تبحث عن إجابات لبعض المسائل الفلسفية من خلال التعاليم اليهودية ، وتبع ذلك استخدام اللغة العبرية في الكنيسة البروتستانتية ، ودخول الدراسات العبرية في الجامعات البروتستانتية ، مما ساهم في توثيق العلاقة بينها وبين اليهود ، حتى بدا عند بعض المؤرخين وكان جبهة نصرانية يهودية هي الطريق نحو خلاص العالم ، وظهرت ما تسمى بالصهيونية النصرانية ، ليس حباً باليهود كافراد ، وإنما لان إسرائيل صارت عنصراً اساسياً في آمالهم بعودة المسيح ثانية لخلاص البشرية . وانتشرت مئات المؤلفات النصرانية عن شعب الله القديم ، وإسرائيل ، وصهيون ، والقدس ، والعدو الأخير للمسيح ممثلًا بالامبراطورية العثمانية والإسلام والعرب . وبشكل عام تَرَسَّخ الاعتقاد لدى البروتستانت بان « استعادة مملكة إسرائيل من اجل ان تظهر مملكة المسيح امرواجب » ، وان ذلك يجب أن يتم بعودة جميع اليهود إلى فلسطين .

وقد انتشرت روح الصهيونية النصرانية على الساحة الأمريكية منذ بدايات تاسيس الدولة الأمريكية ، فقد كانت المواعظ الدينية خلال الحرب الأهلية الأمريكية تشبه امريكا « بالشعب اليهودي الذي يسعى لدخول الارض الموعودة » .

ومنذ ذلك الوقت استمر الدعم الامريكي لإسرائيل على المستوى الشعبي والرسمي بلا حدود . (ومن الصعب استعراض او تلخيص ذلك في مساحة محدودة) .

خلاصة القول : إن تغلغل النزعة المتحيزة لإسرائيل لدى الجمهور الأمريكي تتجاوز المسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية والمصالح المشتركة إلى اسس دينية لاهوتية عميقة الجذور تدعو دائماً إلى « إسرائيل اولاً » . ■■

مسابقة الأمة

الجوائز

• الفائز الأول
خمسمائة ريال قطري

• الفائز الثاني
ثلاثمائة ريال قطري

• الفائز الثالث
مائتا ريال قطري

• الفائز الرابع حتى العاشر
اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة

■ ترسل الإجابات إلى ■
مجلة الأمة
ص . ب ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

ويكتب على الغلاف :
مسابقة الأمة
ورقم العدد

حل مسابقة العدد ٥١

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآية :

○ في بِضْعِ سِنِينَ : في ما بين ثلاث إلى تسع سنين .

﴿ الٓمٓ . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ . وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ ... ﴾ (الروم : ١ ـ ٤)

○ انْبَجَسَتْ : انفجرت .

﴿ ... وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ... ﴾ (الاعراف: ١٦٠)

○ حِجَج : سنون .

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (القصص : ٢٧) .

○ تَزَاوَرُ : تميل .

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ... ﴾ (الكهف : ١٧)

○ مَسْغَبَةٍ : مجاعة .

﴿ ... أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ (البلد : ١٤)

٢ ـ الحادثة هي : شق صدره ﷺ ، وقيل : إنه كان يبلغ من العمر حينئذٍ : خمس سنين وشهراً ، وقيل : اربع سنين وقيل : سنتين وشهراً ، اما إخوته من الرضاعة فهم : عبد الله وأنيسة والشيماء « حُذافة » اولاد الحارث .. وايضاً عمه حمزة بن عبد المطلب الذي رضع مع الرسول ﷺ من « ثويبة » مولاة ابي لهب ومن حليمة السعدية ..

٣ ـ الصحابي الجليل البراء بن معرور ـ رضي الله عنه ـ .

٤ ـ مصطفي صادق الرافعي .

٥ ـ [المؤلف] : جمال الدين ابو محمد عبد الله بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الانصاري المصري .
[الكتاب] : « مغني اللبيب » .

٦ ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٥١

الفائز الأول :
● عبد المبين محمد صالح (الهند)

الفائز الثاني :
● عبد الناصر مرابيع (الجزائر)

الفائز الثالث
● صلاح محمد عبد الحبيب (الجمهورية العربية اليمنية)

الفائز الرابع :
● عز الدين عزت فارس (السعودية)

الفائز الخامس :
● برعي الحاج محمد عبد الله كوير (السودان)

الفائز السادس :
● خالد أحمد بشار (الإمارات العربية المتحدة)

الفائز السابع :
● أحمد محمد أحمد السمواتي (مصر)

الفائز الثامن :
● انشراح يوسف عثمان (الأردن)

الفائز التاسع :
● العمال لسان الدين (المغرب)

الفائز العاشر :
● محمد أحمد بنحامد (تونس)

مسابقة العدد ٥٣ السنة الخامسة

١ ـ قامـوس المسـابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة امـام كل كلمة ؟

.. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآيـة التي وردت فيها :

● كلالـة	: أن يموت الرجل ولا ولد له ولاوالد	تراكم	ثروة
● وفاقـاً	: موافقاً لسوء عملهم	جزاء حسناً	خلافـاً
● الجـودي	: الجواد القوي	الرجل الكريم	اسم جبل
● هشيم المحتظر	: المنقوص	ما يبس من النبت	اصابه خطر
● نَشْـرا	: طائر النسر	يسـر	اسم صنم

٢ ـ كان لرجل من إحدى القبائل ثمن لإبل باعها لأبي جهل ، وماطل ابو جهل في السداد ، فذهب الرجل إلى نادي قريش ، وقال : يا معشر قريش من رجل يعديني على ابي الحكم بن هشام ، فإني غريب وابن سبيل ، وقد غلبني على حقي . فقال اهل المجلس : ترى ذلك ـ يقصدون رسول الله ﷺ ـ اذهب إليه فهو يؤيدك عليه .

ما اسـم قبيلة هذا الرجل ؟ وكيف تصرف معه رسول الله ﷺ ؟ .

٣ ـ مـن هـو ؟ :

● من اهل البصرة ، ومن المحدثين والفقهاء والتابعين .

● وضعـه (ابن سعد) في « الطبقات الكبرى » في الطبقة الأولى .

● اعتقته امراة من بني رياح ، حيث دخلت المسجد وقالت : اللهم اذخره عندك ذخيرة ، اشهدوا يا اهل المسجد إنه سائبة لله ، ليس لأحد عليه سبيل .. ثم اعتق هو ايضاً بعد ذلك غلاماً شاباً عنده ، وقال له القول نفسه .

● من اقواله : ما ادري اي النعمتين علي افضل : إذ انقذني الله من الشر ، وهداني إلى الإسلام ؛ او نعمة إذ انقذني من الحرورية .

● يرى أن من اعظم الذنب أن يتعلم الرجل القرآن ، ثم ينام عنه حتى ينساه ، لا يقرا منه شيئاً .

● مات سـنة (٩٠هـ) في خراسـان .

٤ ـ مـن القـائل ومـا المناسبـة ؟ :

مَنْ قَـاوَمَ الأَسَدَ الغِضَـابَ مُسَلَّحاً بيقينـه وبِحَقّـه لَمْ يُهْـزَمِ
مـا الضَّعْفُ إلّا مـا تَـوَهَّمهُ الفتىٰ ضعفاً وَبِئْسَ تـوهُّم المُتَـوَهِّمِ
لا يَنْعَم المُخْتَـل بين ظهـوركم بـالاً وَكَيْفَ يقيم إنْ لَم يَنْعَمِ
بثّـوا لَـهُ الأشـواكَ إذْ يَمْشي وَإن يشـرب فشـوبـوا مـاءه بـالعلْقَمِ
وَدعوه إنْ يَيْقَظْ يَعِشْ فزعـاً وإن يَـرْقُـد بغـاراتِ الكَتـائِبِ يحْلمِ

● مؤلـف وكتـاب :

[المؤلـف] :

● عاش في فاس وتونس ، ورحل إلى مصر ، وقصد مكة لأداء فريضة الحج .

● من أسرة مغربية عريقة ، انجبت عدداً كبيراً من العلماء .

● يكنى بابي حفص .

● توفي في عـام (٨١٠هـ) .

[الكتـاب] :

● استولى عليه الإسبان ضمن صناديق الكتب التي اسروها من مولاي زيدان حاكم مراكش حتى عام (١٠١٢هـ) .

● بعد استقرار الكتاب في مكتبة الاسكوريال نجا من حريق اصاب المكتبة والتهم نصف ما فيها من مخطوطات عربية .

● عبارة عن رسالة في تاديب السلاطين ، وهو نوع من الكتابة شاع في هذه الفترة ، لما للدين من هيمنة على الحياة الخلقية والعملية .

● حقّقه وترجمه إلى الإسبانية المستشرق (براوليو خوستيل كلابوثو) .

٦ ـ لنظام الجاذبية بين الأجرام السماوية دقة بالغة تدل على قدرة الله عز وجل ، وكل يوم يعرف الإنسان شيئاً جديداً عن هذا النظام الكوني يزداد قرباً من الله .. والمد والجزر ظاهرتان معروفتان ، يكون المد عالياً عندما تكون الشمس والقمر والأرض على استقامة واحدة ، ويكون الجزر عندما تشكل هذه الأجرام الثلاثة مثلثاً قائم الزاوية . والشمس في هذا النظام الكوني تجذب الارض ، والقمر يجذب الارض ايضاً . والسؤال : ايهما يجذب الأرض اكثر من الآخر : الشمس او القمر ؟

اقرأ في الأعداد القادمة

□ أين الخـلل ؟
الدكتور يوسف القرضاوي

□ محاور المضمون الإسلامي للحرية الملتزمة
الدكتور محمد أحمد العزب

□ النقد الموضوعي منهج قرآني
السيدة حنان لحام

□ الإسلام ومتغيرات الأدب العربي الحديث
الدكتور عبد الباسط بدر

□ حول الالتزام الأدبي في منظوره الماركسي
الدكتور عماد الدين خليل

□ ظواهر اجتماعية في ألمانيا الغربية
الدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدي

□ أكثر من حوار حول « في أفغانستان : محاولة الحسم العسكري ومأزق الحرب الطويلة »

□ (استطـلاع) :
الكتاب الإسلامي .. دليل نهضة وشاهد إدانة ..
جولة في : المكتبة السليمانية في استانبول

خواطر وأفكار

«سيروا على بركة الله»

□□ لا شك أنه حدث يسرُّ كل مسلم ويسعده أن يقرأ خبر تكوين الجمعية الخيرية الإسلامية العالمية ، وعزمها على جمع مليار دولار في فترة وجيزة من أهل الخير من المسلمين لصرفها لتحقيق التكافل الاجتماعي في مجتمع المسلمين في أي مكان في العالم .

وإننا نهنىء الأعضاء المؤسسين الموقرين على غيرتهم على فقراء المسلمين واهتمامهم بأمرهم وتفكيرهم للقيام بعمل جبار لإغاثة المحروم والمصاب ، وكذلك الاهتمام بالأقليات المسلمة . هنيئاً لهم على جهدهم ، إذ يدلُّون الناس على فعل الخير ، وإن شاء الله لهم الثواب منه ، إذ أن الدال على الخير كفاعله . كما نهنئهم على ثقة أغنياء المسلمين بهم التي جعلتهم يتبرعون بهذه الأموال ؛ وهم واثقون من حسن استخدامها وصرفها في أوجهها الصحيحة ؛ هذه الأموال التي لها قيمة كبيرة في أنفس أصحابها كما وصفها الله تعالى بقوله : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الكهف : ٤٦) وهم يتبرعون بها استجابة لقول الله تعالى : ﴿ وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ (النور : ٣٣) ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (التوبة : ١٠٣) وهم يأملون في الثواب من الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ (التوبة : ١١١) .

ونحن بدورنا نثق في الأعضاء المؤسسين الموقرين وندعو لهم بالتوفيق في مشروعهم العظيم ، ونرى أنَّه إذا كان بإمكانهم جمع هذا المبلغ في زمن وجيز فلماذا التوقف عند هذا الرقم ؟ ولماذا لا يتكرر سنوياً ؟ إن أوضاع المسلمين في العالم تجعلهم بحاجة إلى أضعاف هذا الرقم . فهناك القحط والجفاف في أفريقيا الذي أثر على أعداد هائلة من المسلمين ، وهم بحاجة عاجلة إلى مساعدتهم بالأطعمة حتى يزول القحط بإذن الله ، ويمكن الاعتماد على الزراعة لإنتاج طعام كاف ... وهناك الفيضانات التي تغمر أماكن كثيرة في بنجلاديش ، يموت فيها مواطنون ، وتدمر بيوت ، وتغمر حقول ، وتتلف مزروعات . والمطلوب دراسة هذه الظاهرة ووضع علاج للحد من أخطار الفيضان ثم تنفيذه لمساعدة شعب وحكومة بنجلاديش ؛ ثم هناك مشاكل الأقليات الإسلامية التي كثيراً ما تتعرض ـ بسبب التفرقة العنصرية ـ للمظاهرات المعادية فيُقتل منهم أعداد كبيرة وتُهدم بيوتهم وتُتلف مزارعهم ومدارسهم ومتاجرهم .

وهؤلاء بحاجة ماسة إلى معونات هائلة لإعادة بناء منازلهم ومدارسهم ومتاجرهم ولمساعدتهم بزراعة محاصيلهم أو شراء أراضٍ لهم حتى يمكنهم الاعتماد على أنفسهم . وهناك دول إسلامية فقيرة تحتاج إلى معاهد عليا وجامعات . ونرى أن هذه الهيئة يمكنها أن تقوم بتمويل هذه المعاهد لتجهيزها واستخدام هيئات التدريس المناسبة .

ومن هنا نرى أنه توجد أوجه كثيرة تحتاج إلى أضعاف المبلغ المقترح ، ومن هذه الأوجه ما هو عاجل ، ولا يمكن الانتظار حتى يتم استثمار مبلغ المليار دولار وانتظار العائد الذي ربما يحتاج إلى ثلاث أو أربع سنوات حتى يتجمع مبلغ مناسب للصرف على بعض المشاريع . ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، فقد كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر [صحيح مسلم] ، علينا أن نثق بالله ونتوكل عليه فبمشيئته وقدرته يمكن الحصول على مليارات وليس على مليار واحد . وعلى السادة الأعضاء المؤسسين بذل المزيد من الجهود المتصلة للحصول على مليار دولار سنوياً ، وندعوا الله العلي القدير أن يوفقهم في جهودهم ، وأن يجزيهم أحسن الجزاء ، وأن يبارك لأهل الخير من المسلمين في أموالهم وينميها لهم جزاء عطائهم وكرمهم وأن يكونوا من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

بل إننا نطلب من السادة الأعضاء المؤسسين بعد أن حازوا ثقة أغنياء المسلمين ـ ومنهم رجال أعمال ـ مطلبين :

أولهما : العمل على إقناع أغنياء المسلمين باستثمار جزء من أموالهم ـ إن لم يكن كلها ـ في بلاد المسلمين حتى يعود ذلك بالفائدة على المجتمعات المسلمة وبالغنى والعزة والمنعة ، وأحب أن أروي خبراً عن « ويلي برانت » مستشار ألمانيا الغربية السابق إذ ينعى على الدول الغربية التي فضلت استثمار أموالها في أمريكا ، بدلاً من استثمارها في بلادها منتهزة فرصة ارتفاع أسعار الفائدة في أمريكا ووصف هذا الأمر بالوضاعة ثم أضاف : « إن الأمر ببساطة هو أن أغنى وأقوى دولة في العالم تسحب موارد الدول الفقيرة » .

والمطلب الثاني : هو حثّ هؤلاء الأغنياء على إقامة « قلاع » للصناعة في البلاد الإسلامية المختلفة ، فما أشد حاجتنا إلى إقامة مصانع سيارات جبارة لإنتاج جميع وسائل الانتقال من سيارات الركوب إلى سيارات النقل والسيارات الحربية والآلات الزراعية ، فإن الأمة الإسلامية تستورد سنوياً مئات الألوف من وسائل الانتقال المختلفة ، ونحن نطمح في أن يسد هذا المصنع جزءاً كبيراً من احتياجاتنا السنوية ، كذلك نحتاج إلى إنشاء ترسانة بحرية لإنتاج البواخر للاستعمال المدني والعسكري ، ومشاريع أخرى مثل معامل تنقية البترول ومصانع للبتروكيماويات وكذلك مصانع للأدوات الكهربائية والإليكترونية .

فعلى الأمة الإسلامية الاعتماد على سواعد أبنائها ـ بعد الاعتماد على الله ـ والبدء في العمل ، تنفيذاً لتوجيهات الله تعالى ، وبعدها ستحلّ علينا رحمة الله وبركته إن شاء الله تعالى . □□

الدكتور أحمد شوقي عرفه

صدر :

كتاب الأمة
Al Ummah

٩

أدب الاختلاف في الإسلام

الدكتور طه جابر فياض العلواني

□□ حري بنا ، ونحن نعيش الشتات في أمورنا كلها ، أن نعود إلى فيء تلك الدوحة المباركة ، ونلتقي على الآداب الكريمة التي خلفها لنا سلفنا الصالح إن كنَّا جادِّين في السعي لاستئناف الحياة الإسلامية الفاضلة .

□□ لقد خاف كثير من الصلحاء أن يلج باب الاجتهاد من لا يصلح له ، فقد تصدى للفتيا رجال صُنعوا على أعين السلطان فأصبحوا يلوون أعناق النصوص إلى حيث مالت بهم رياح الهوى ، وتفاوت العلماء بين مرخص ومتشدد ، وخشي صلحاء الأمة على مصيرها ومصير دينها ، وبدؤوا يبحثون عن العلاج فلم يجدوا منفذاً للخلاص إلَّا في إلزام الأمة بالتقليد ، ويالها من أزمة يكون المخرج منها درك التقليد !!

□□ إذا كانت للأئمة المجتهدين أسباب تسوغ اختلافهم ، وتساعد على وضعها ضمن ضوابط الاختلاف ، فإن أرباب الاختلاف المعاصرين لا يملكون سبباً واحداً من أسباب الاختلاف المعقولة ، فهم ليسوا بمجتهدين ، وكلهم مقلدون بمن فيهم أولئك الذين يرفعون أصواتهم عالياً بنبذ التقليد ونفيه عن أنفسهم ...

□□ ما يحز في النفس أن يعمل بعض أبناء المسلمين على تحطيم أجنحة الصحوة الإسلامية وتكبيلها بقيود الاختلاف غير المنضبط حول ما يستحق وما لا يستحق ، الأمر الذي شغل المسلمين بأنفسهم ، وبدد الكثير من طاقاتهم ، وخلط أمامهم الأشياء خلطاً عجيباً جعلهم لا يفرقون بين الهنات والهنَّات وعظائم الأمور ، وبين يسيرها وجليلها ، فكيف يمكن لقوم هذا شأنهم أن يعالجوا قضاياهم حسب أهميتها ، وأن يرتبوا الأمور بشكل يجعلهم قادرين على استئناف مسيرة الحياة الإسلامية ؟!

يطلب من وكلاء توزيع الأمة Al Ummah في العالم

■■ إن قضية أفغانستان وقضية فلسطين هما المحك الذي أسقط الكثير من الأقنعة ، ذلك أن « اليسار » في العالم الإسلامي لم يستطع التخلص من التبعية السياسية ، وعلى الرغم من كل دعاواه وادعاءاته للوطنية فقد كان عاجزاً حتى عن المواقف الإنسانية ، وعاجزاً عن الانسجام مع مقدماته ، وقد تكون مشكلته التي يعاني منها أنه لا يرى إلَّا بعين واحدة ، ولا يستطيع أن يرى إلَّا عدواً واحداً ، ذلك أن الذي يتحدث عن الغزو الاستعماري الشيوعي يجب أن يكون بالضرورة عميلاً أمريكياً !! فالذبح والدمار في أفغانستان إنما يتم على الطريقة التقدمية ؛ بينما كان في « فيتنام » استعماراً وغزواً رجعياً ... لقد كانت قضية الانتصار لـ « فيتنام » عند « اليسار » في العالم الإسلامي مقدمة على قضية المسلمين المركزية ـ فلسطين ـ وهو اليوم في وضع لا يحسد عليه ، فلا مجال عنده للحديث عن الغزو السوفييتي لأفغانستان المسلمة لأن ذلك سيكون ـ حسب زعمه ـ على حساب قضية فلسطين ، وهو الذي ساهم في تمييع مفهوماتها وتضييع هويتها ولا يزال يحاول ترويض أهلها على القبول بوجود عدوهم ... ■■

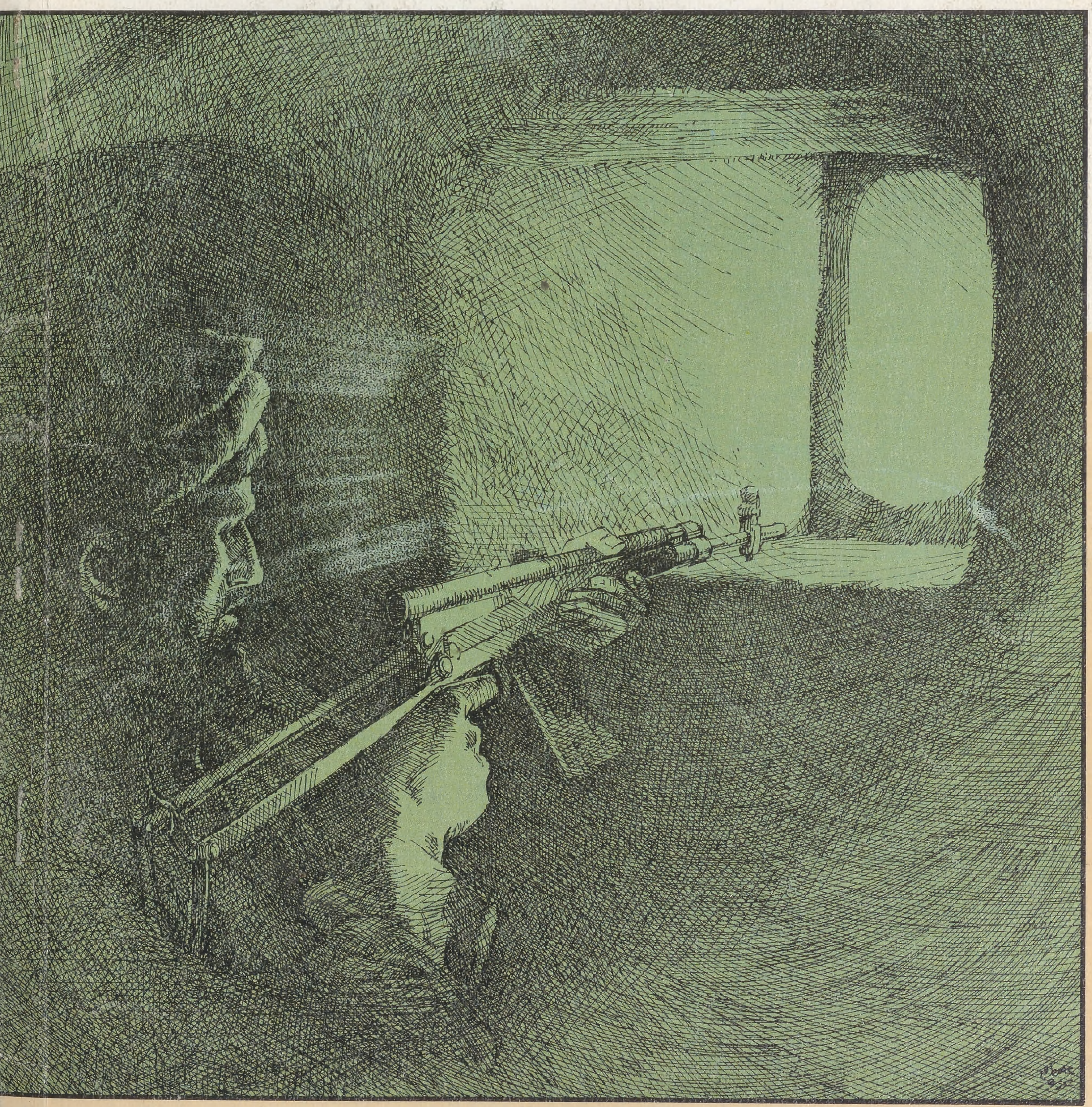

Al-Ummah - مجلة الأمة